

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة بابل / كلية الفنون الجميلة
قسم الفنون المسرحية / الدراسات العليا

سيمياء أداء الممثل في العرض المسرحي المونودرامي

أطروحة دكتوراه مقدمة
الى مجلس كلية الفنون الجميلة - جامعة بابل
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في الفنون المسرحية-تمثيل
من قبل

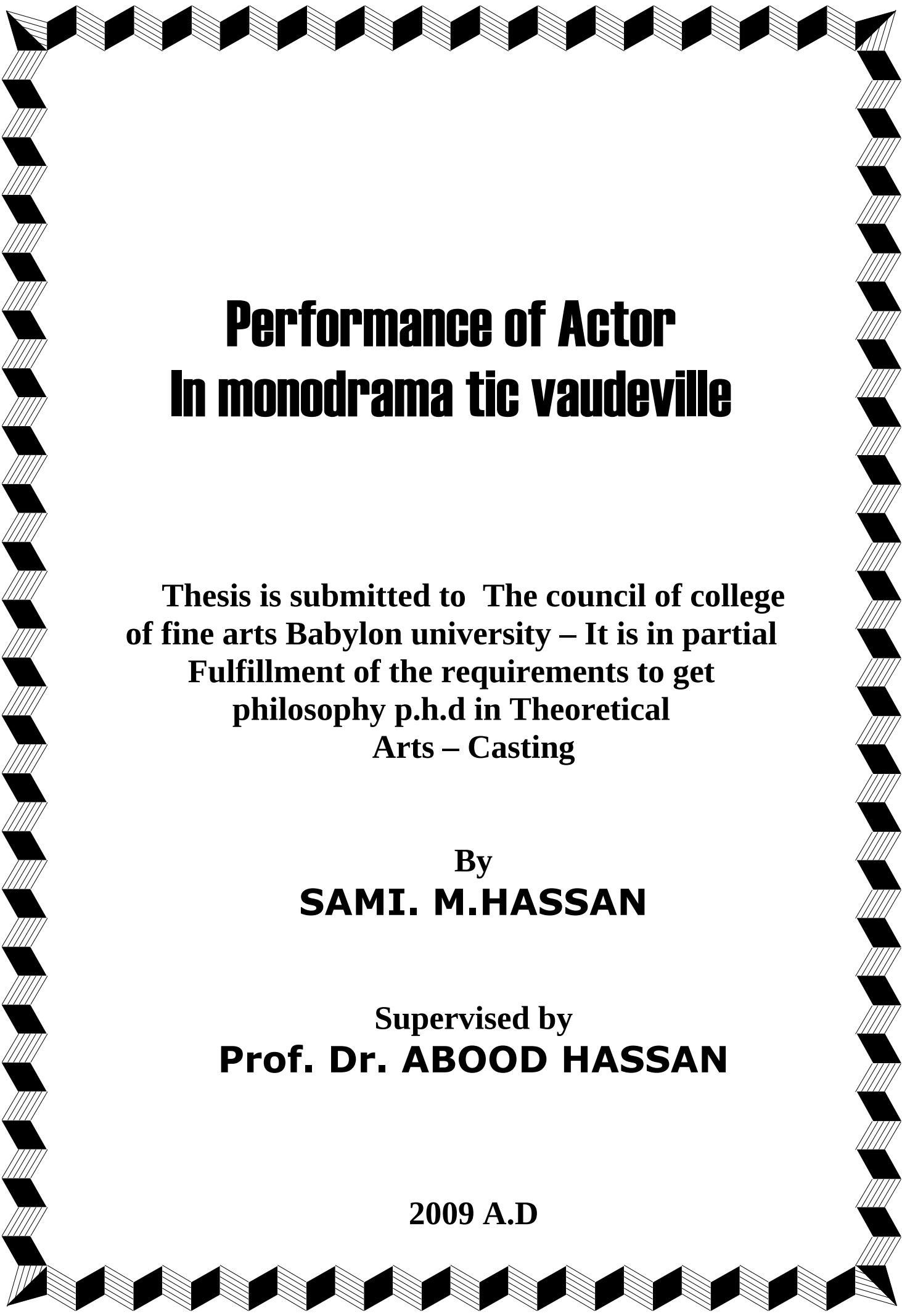
سامي محبس حسن الحصناوي

إشراف
**الأستاذ الدكتور
عبود حسن عبود المهنا**

2009م

بابل

1430هـ



Performance of Actor In monodrama tic vaudeville

**Thesis is submitted to The council of college
of fine arts Babylon university – It is in partial
Fulfillment of the requirements to get
philosophy p.h.d in Theoretical
Arts – Casting**

**By
SAMI. M.HASSAN**

**Supervised by
Prof. Dr. ABOOD HASSAN**

2009 A.D

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صدق الله العظيم

سورة: الفتح

الاية: 29

الاهداء

إلى من وهباني شعلة الحياة ومنحاني روحهما،
نبضهما الحي قبل أن يغادرا العالم، أمي... أبي
إلى إرجواني التي قطفها الموت مبكرا..
أختي(منى)

إلى شمسي.. زوجتي..
إلى أقماري الثلاثة...

أولادي: حسام، نورا، نورس
أهديكم حصاد صبركم، ولوعة بعدي عنكم..

الباحث

شكر وتقدير

يود الباحث أن يعرب عن شكره وتقديره إلى كل الجهود الطيبة التي ساعدت على رسم مسار البحث العلمي واطّلع بالذکر المشرف الأستاذ الدكتور (عبود حسن عبود المهنا) لما أبداه من مشورة وملاحظات علمية ومنهجية كانت نبراسا في تقويم بحثي... كما أقدم شكري إلى السيد رئيس قسم الفنون المسرحية الأستاذ المساعد الدكتور على الربيعي والأستاذ الدكتور حميد على حسون و الأستاذ الدكتور ضياء شمسي والأستاذ الدكتور سمير اللبان والأستاذ الدكتور عبد الكريم عبود والأستاذ المساعد الدكتور عباس محمد إبراهيم والأستاذ المساعد الدكتور محمد أبو خضير والأستاذ المساعد الدكتور كامل القيم والأستاذ المساعد الدكتور محمد فضيل والدكتور ناجح المعموري لدعمي معنويا، وكل الأساتذة والزملاء في قسم الفنون المسرحية لما زودوني من مصادر أعانتني في بحثي هذا، وأخيرا أتقدم بالشكر الجزيل إلى موظفي وموظفات مكتبة كلية الفنون الجميلة/جامعة بابل لما أبدوه من المساعدة.

والله ولي التوفيق

الباحث

إقرار المشرف

أشهد أن اعداد هذه الاطروحة والموسومة بـ(سيمياء اداء الممثل في العرض المسرحي المونودرامي) والتي قدمها الطالب (سامي محبس حسن الحصناوي) ، جرى تحت اشرافي في جامعة بابل/كلية الفنون الجميلة/ قسم الفنون المسرحية وهى جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه - فلسفة- في الفنون المسرحية-تمثيل.

التوقيع:

أ.د. عبود حسن عبود المهنا

المشرف

2009/ /

بناءً على التوصيات المتوافرة ارشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع:

الاستاذ المساعد الدكتور

على محمد هادى الربيعى

رئيس قسم الفنون المسرحية

2009/ /

Abstract

The schools of acting has been emerged in modern ago of casting arts , the features of particular scientific study and associated with conclusion of mark functions for acting stauzflafski studied the acumination , impersonate and Barkla imposed performance approaches towards expatriation .(Beckoner) has searched objective acting and its relation with political function forvaueleiville thus the conceptions and meanings have been varied secular , mental aesthetic of actor mission in the vediville . It is a mission that has been analyzed dashing from casting act with rooted duality is there absence for ego and presents of personality or in contrast .

In this duality the researcher begins to study subject of performs marks for actor in monodrama as it represents essential interlope between the actor himself and hardness of his fast recalling of his afar character and swing acting awareness to sort those characters due to represent unharmonic mixture from social, psychological and conductor shapes .

We establish two points for monodrama, first monodrama actor is exposed to problem second, establish for new conception Juxtapose from radical.

So the researcher try to dingoes his study and choose lie title performance vaudeville .

Is the actor in monodrama establish to recent speech for performance .

The significance of research is indicated from continuation of actor performance of vaudeville .

The objects of the research is recognizing on semian imprint of acting performance .

Limitations of the research were group of technical institutions I Baghdad and Babel from 1995 -2009 which related (performance) the theoretical frame consist of four sub-approaches first evolution of semia and its concept and philosophic sourcol second nature of semia in theate .

The third approach deals with acting work and its sign himself in addition to his production . The fourth approach deals with performance and signs, trans forming systems of monodrama vaudivi he .

Third chapter is talking about the collection of research and its sample and methods of research , its honor to analyze research sample .

The fourth chapter results of the research as follows

First :- beginning of ego and domination on other authority through aware comprehension to find mechanism of character recalling to realize meaning of trans forming time from character to other and duration of staying it during its vesting . second, the establishment in monodrama is formed through the linking of the performance sample, dancing activities singing and existing one actor and many church tars.

So ,the problem has been done afoul the enervation and repetition .

The researcher abridged two conclusion recommendations suggestions, bibliography list and references in Arabic and English ,and a annex is and conclusion of the research in summary in English language .

لقد أعطى ظهور مدارس التمثيل المتعددة في عصرنا الحديث لفن التمثيل ميزات الدراسة العلمية المتخصصة والمرتبطة باستنتاج وظائف العلامة للفعل التمثيلي، فدرس (ستانسلافسكي) الاندماج والتقمص وافترض (برخت) مقاربات أدائية باتجاه مفهوم التغريب وبحث (بيسكاتور) التمثيل الموضوعي وعلاقته بالوظيفة السياسية للعرض المسرحي، وهكذا تعددت المعاني والمفاهيم والأطروحات لكي تركز على مهمة الممثل الجمالية والفكرية والعلاماتية في العرض المسرحي، وهي مهمة يمكن تحليلها انطلاقاً من وعي فعل التمثيل بالثنائية الأزلية، هل هناك غياب للذات وحضور للشخصية أو بالعكس؟.

ومن هذه الإشكالية انطلق الباحث إلى دراسة موضوع علامات الأداء عند الممثل في المونودراما، كونها تمثل جوهر التداخل والتشابك بين الممثل نفسه وصعوبة استدعائه السريع لشخصياته المتنافرة، وتأرجح الوعي التمثيلي في فرز تلك الشخصيات، كونها تمثل خليطاً غير متجانس من الأنماط السلوكية والنفسية والاجتماعية، ولكي نضع أسساً علمية في فهم الأداء التمثيلي في المونودراما وفرزها باتجاهين، الأول: فهم إشكالية تعرض ممثل المونودراما لتجاربه الشخصية مع هذا النمط من التمثيل. والثاني: يؤسس لفهم جديد في الأداء، حيث تشكل العلامة إحدى ركائزه في إيجاد علاقة بين إنتاج الممثل للعلامة الدالة وبين عناصر العرض المسرحي، ومن ثم فهماً جديداً لبلورة أداء يبتعد شيئاً فشيئاً عن التمثيل السيكولوجي، حيث الاندماج الذي يصل إلى حد البكائية وغياب الذات، ومن ثم لا بد من الاقتراب والتداخل مع الأداء التشخيصي القائم على الوعي بما يجري في البيئة الحياتية والمسرحية ونقدها الموضوعي للأسباب والنتائج التي آلت إليها أحداث العرض وشخصه... ومن هنا حاول الباحث أن يشخص دراسته ويختار لها عنواناً موسوماً (سيمياء أداء الممثل في العرض المسرحي المونودرامي) وشملت هذه الدراسة مجموعة من الفصول والمباحث، تضمنت الفصل الأول وهو الإطار المنهجي للدراسة- تطرق فيه الباحث إلى مشكلة البحث التي صيغت بالشكل الآتي:

هل يمكن للممثل في المونودراما أن يؤسس لخطاب حداثي تتداخل فيه أنماط الأداء، عبر إفراز منظومات معلوماتية قابلة للانفتاح وذات تعددية دلالية مفتوحة الأثر؟ أما أهمية البحث والحاجة إليه فقد عنيت بتشكيل مختبر حقيقي لأنماط التمثيل الأخرى، من خلال التوصل لقراءة سيميائية لأداء الممثل في العرض المسرحي المونودرامي، أما هدف البحث فكان التعرف على ملامح أداء الممثل في العرض المونودرامي في ضوء علم العلامات، أما حدود البحث فكانت عروض الفرق القومية للتمثيل بحدود زمنية انحصرت بين عام (1995-2009) ثم تحديد لأهم المصطلحات التي تخص متن البحث مثل (السيمياء، الأداء، العرض المسرحي، المونودراما)، ثم انتقل الباحث إلى الفصل الثاني باحثاً الإطار النظري المكون من أربعة مباحث، أولها نشأة السيمياء مفهومها ومرجعيتها الفلسفية، وثانيهما مدخل إلى طبيعة اشتغال السيمياء في المسرح، وانتقل الباحث إلى المبحث الثالث إذ تناول فيه بشكل عام عمل الممثل وعلاماته في المونودراما من حيث كون الممثل علامة بحد ذاته، إضافة إلى إنتاجه وحمله وإيصاله لها، أما المبحث الرابع فقد تناول فيه الأداء ونظم التحول أعلاماتي للعرض المونودرامي من خلال علاقة الممثل بين إنتاجه للعلامة ومنظومة العناصر المسرحية، أما الفصل الثالث فقد اختص بإجراءات البحث والتي تتمثل في بيان مجتمع البحث وعينته وأداة البحث وصدقها وثباتها ثم تحليل عينة البحث.

وتضمن الفصل الرابع نتائج البحث ومناقشتها والتي خلص الباحث إليها ومنها:

1- انطلاق الذات وهيمنته على سلطة الآخر من خلال فهم واعٍ في إيجاد آليات استدعاء الشخصيات بادراك معنى زمن الانتقال من شخصية إلى أخرى وفترة المكوث فيها خلال تجسيدها.

2- ينشأ أسلوب الأداء المنوع في المونودراما من خلال ترابط أنماط الأداء وفعاليات الرقص والغناء والايماء، والذي حتمته جدلية وجود ممثل واحد وعدة شخصيات، مما اقتضى حل إشكالية ملل السرد والتكرار.

كما خلص الباحث إلى الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات وقائمة بالمصادر والمراجع العربية والانكليزية والملاحق ثم ختام البحث بملخص باللغة الانكليزية.

قائمة المحتويات

الصفحة	المحتوى
	الإهداء
	شكر وتقدير
١ - ج	ملخص البحث
د - هـ	المحتوى
9-1	الفصل الأول: الإطار المنهجي
2	1. مشكلة البحث
3	2. أهمية البحث والحاجة اليه
4	3. هدف البحث
4	4. حدود البحث
9-4	5. تحديد المصطلحات
131-10	الفصل الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة
44-11	المبحث الأول: السيمياء - مفهومها - مرجعيتها الفلسفية
68-45	المبحث الثاني: السيمياء واشتغالها في المسرح
88-69	المبحث الثالث: الممثل وعلاماته في المونودراما
126-89	المبحث الرابع: الأداء ونظم التحول أعلاماتي للعرض المونودرامي
128-127	مؤشرات الإطار النظري
131-129	الدراسات السابقة
173-132	الفصل الثالث: إجراءات البحث
133	مجتمع البحث
133	عينة البحث
134	أداة البحث
134	صدق الأداة
135	تطبيق الأداة
136	طريقة المقياس
136	الوسائل الإحصائية
174-137	تحليل العينة

180-176	الفصل الرابع:
176	عرض النتائج ومناقشتها
178	الاستنتاجات
179	التوصيات
180	المقترحات
188-181	المراجع والمصادر
196-189	الملاحق
A-B	ملخص اللغة الانكليزية

الفصل الأول

الإطار المنهجي

- **مشكلة البحث**
- **أهمية البحث والحاجة إليه**
- **هدف البحث**
- **حدود البحث**
- **تحديد المصطلحات**

مشكلة البحث

يؤسس الخطاب المسرحي بأنواعه وأساليبه على كم كبير من العلامات البصرية والسمعية (حركية ولفظية)، فضلاً عن تداخل الحواس الإنسانية التي تشترك بحضورها الفعلي (الأنفي والبعدي)، لما يضمه ذلك الخطاب من مفاهيم ورؤى وثقافات، بالإضافة إلى الجانب الجمالي، إذ يطرح العرض المسرحي فكرته عبر جملة من العلامات الايقونية والاشارة والرمزية المحملة بالدلالات المباشرة وغير المباشرة، من خلال أداء الممثل وعلاقته بموجودات الخشبة وعناصر عرضه المسرحي، هذه العلامات تبنى على انساق ونظم دلالية تحتل إنشاء فرص التأويل والتواصل، ولذلك فإن الخطاب المسرحي ذا الأثر السيميائي أكثر أنواع الخطابات المسرحية قدره على إرسال تعددية معنائية (بصرية سمعية) لتوافره على الإشارة والرمز وقدره فائقة على إنشاء المعنى وإنتاجه من خلال سيميائية أداء الممثل وعلاقاته في محيط الفضاء المسرحي.

وعلى هذا الأساس يكون الخطاب المسرحي المونودرامي واحداً من بين أنواع الخطابات المسرحية سيميائي الأثر، وما يمكن أن يقدمه الممثل الوحيد من طرائق متفردة في الأداء وإنتاج المعنى خلال تعامله مع مفردات الخطاب ومجوداته، فضلاً عن آليات تجسيد ذاتية الشخصية لينتج أداءاً سيميائياً فعالاً ومحدثاً العديد من الأفكار والمعاني... هذا الأسلوب في العروض يقوم على إرسال العديد من الرسائل البصرية والسمعية على وفق انساق دلالية تصارع قراءات التلقي، وبذلك يكون أداء الممثل بسميائيته اختباراً لمرجعيات المتلقي المستندة إلى (سايكو. سوسيولوجيا) التلقي وإمكانياته الجمالية.

أن الممثل في بيئته المونودرامية يمر بإشكاليات فرضتها خصوصية هذا اللون من المسرح، فكون الممثل في المونودراما يمثل هيمنة على موجودات الخشبة والعرض وكونه وحيداً مع شخصيات متعددة، فقد نشأت بذلك إشكالية بينه وبين محيطه هذا، فالصراع بين ذاتيته كونه إنساناً حياً، وذاتية الشخصيات المتخيلة أو المتحولة أو المستدعاة كونها تعود لأناس آخرين في الماضي، فجر التناقض بين الرمز غير المتوالفين، لأن الممثل في المونودراما لا يمثل شخصية واحدة مستقرة طوال العرض بل عدة شخصيات في فترة قياسية محددة في ان واحد، مما يجعل أدائه في خصوصية غاية في الحرج، فهو مجسد لتلك الشخصية بأبعادها الكاملة ام هو مجرد إشارة لإشارة لمعالمها ليس إلا ومن ثم كيف يحدد الزمن المسرحي في استدعاء تلك الشخصيات بزمن نموذجي من دون وضوح الفجوة والتباين بين أدائه وعلاماته الخاصة وتناقضات تلك الشخصيات فيما بينها؟ ثم كيف يتعامل مع مجوداته هل على أنها كتل خشبية

جامدة ام أنها أرواح لممثلين يتراؤن أمامه على الخشبة؟ وكيف يوازن بين سرده وبين اختزاله الى علامات حركية تبعد حالة الملل من حوار الوصفي الطويل؟ أخيرا كيف يتجاوز ضغوطات الصالة والتحوليات في الأداء وتأثيره النفسي فية بفعل غياب المساندة له من زميل ثان فوق الخشبة؟.

وبناء على ما تقدم يرى الباحث أن أداء الممثل في العرض المسرحي المونودرامي يعمل مسحا قرائيا للفكرة المراد بثها للمتلقي مشتغلا على:

1. تحقيق إزاحة (ولو جزئية) لفكرة الخطاب الأساس او إنشاء خطاب مقارب أو يتغذى عليه.

2. تحقيق مغادرة للتلقي في التحليل والتأويل عبر اختراق المؤلف المعنوي أي مغادرة كافة المرجعيات.

وتأسيسا على ما تقدم يطرح الباحث مشكلة بحثه على الوصف الآتي:

هل يمكن للممثل في المونودراما ان يؤسس لخطاب حدا ثوي تتداخل فيه أنماط الأداء عبر إفراز منظومات معلوماتية قابلة للانفتاح وذات تعددية دلالية مفتوحة الأثر؟

أهمية البحث والحاجة إليه :

تكمن أهمية البحث الحالي في أن أداء الممثل في العرض المسرحي المونودرامي، هو أداء علاماتي مكثف لأسباب يأتي في مقدمتها غياب الممثل الشريك، وتحمل مسؤولية بناء ايقاع العرض، علما ان ثمة خروقات ايقاعية لها علاقة في صناعة المعنى يتحملها ممثل المونودراما لوحده، والاهم من كل ما تقدم ان هناك علاقة بين أداء الممثل وعناصر العرض المسرحي حيث يشكل كلاهما معنى (زمكانيا) يمنح الأحداث مصداقيتها او واقعيته، ومن هنا تبرز أهمية البحث بتشكيل مختبر حقيقي لأنماط التمثيل الأخرى، إذ تتمظهر أهمية هذا البحث في التوصل لقراءة سيميائية لأداء الممثل في العرض المسرحي المونودرامي قائمة على إيجاد آليات متحررة في صياغتها وشكلها وفكرها وتنفيذها وإيجاد بنى فكرية وجدلية متأسسة وفقا للمنتج السيميائي .. وتأتي الحاجة لهذا البحث للراغبين من الطلبة و المحترفين في تجسيد هذا اللون من الاداء ومعرفة آليات استدعاء الشخصية في المونودراما وعمل الممثل السيميائي في انتاجه للعلامات مع عناصر العرض المسرحي وموجوداته ، وهو يفيد ذوي الاختصاص في مجال الاخراج المسرحي كما يمكن ان يشكل حافزا للباحثين في هذا الموضوع من زوايا عده .

هدف البحث:

التعرف على ملامح أداء الممثل في العرض المونودرامي في ضوء علم العلامات .

حدود البحث:

أولاً: الحدود الزمنية: الفترة 1995-2009 .. أختار الباحث هذه الفترة لندرة وجود عروض موندرامية قبل هذا التاريخ .

ثانياً: الحدود المكانية / العراق / بغداد (الفرقة القومية للتمثيل) .. كونها من الفرق المحترفة والرصينة في انتاج هذا النوع من العروض .

ثالثاً: الحدود الموضوعية: آليات اشتغال العلامة في البنية الأدائية التمثيلية للعرض المسرحي المونودرامي.

تحديد المصطلحات

السيمياء* لغوياً

تعرف السيمياء ومشتقاتها (السيما أو السوم أو السومة) بمعناها اللغوي الذي يعني التسوم أو التعليم للحيوانات بالنار فانه "سوم الفرس: أعلمه بسومة، تسوم اتخذ سومة أي علامة، السيمة والسومة والسيما والسمي: العلامة والهيئة وسيمة: أي علامته، السيما والسيمياء: العلامة"⁽¹⁾. وفي الحديث "تسوموا فان الملائكة قد تسومت، والخيل المسومة أي المعلمة"⁽²⁾. وقد ورد هذا المصطلح بإشكال عدة في القرآن الكريم في ستة مواضع خالية من الياء الثانية "ففي سورة الفتح/29 "سيماهم في وجوههم من اثر السجود" وكذلك في سورة البقرة/273 "تعرفهم بسيمهم" وكذلك في سورة الأعراف 48/46 "وبينهم حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم" وقوله "ونادى اصحاب الأعراف رجال يعرفونهم بسيماهم" وكذلك في سورة محمد/30 قوله

* السيمياء = السيميوطيقا = السيمولوجيا، مصطلحات تشير الى معنا واحد هو (علم العلامة) او (الإشارة) ففي حين تبنى الاوربيون مصطلح السيميولوجيا، فقد اختار الامريكان استعمال مصطلح سيميوطيقا الاتية من الاصل اليوناني (semeion) بمعنى (علامة) وسوف يستخدم الباحث المصطلحين الأجنيين (سيميوطيقا والسيميولوجيا) اينما وردا في مقتبسات البحث مرتكزا على منهج متبع او مقترن بتاسيسه وسوف يستخدم الباحث مصطلح (السيمياء) او (السيمائية) العربي مرادفا للمصطلحين المذكورين في متن بحثه لكثرة تداوله في الاوساط الثقافية العربية (ذات المعنى) ولجذره التاريخي العربي الاسلامي للمزيد ينظر: توسان، برنار: ما هي السيميولوجيا، تر: محمد نطيف، (بيروت/ دار افريقيا الشرق، 2000)، ص 9.

⁽¹⁾ معلوف، لويس: المنجد في اللغة، (طهران: دار انتشارات اسلام، 1996)، ص 365.

⁽²⁾ الرازي، محمد بن ابي بكر: مختار الصحاح، (بيروت: دار القلم، ب ت)، ص 322.

ولو نشاء لأرينكمهم فلعرفتهم بسيمهم" وكذلك سورة الرحمن/41 قوله تعالى "يعرف المجرمون بسيماهم" (1) .

السيماء اصطلاحاً

عرفها سوسير بانها علم موضوعة "دراسة حياة الإشارات في المجتمع" (2) .
كما عرفها الين استون وجورج سافونا ، بأنها "تتحرى الطريقة التي يخلق بها المعنى ويتم توصيله عبر نظام من العلامات التي يمكن تشفيرها وحل شفرتها" (3).
كما عرفها مونان "هو العلم العام لكل أنظمة الاتصال الذي يتم من خلال الإشارات والدلالات والرموز" (4).
وعرفها ستيبانوف بقولة ، "إن علم العلامات هو علم الأنظمة الدالة في الطبيعة وفي المجتمع" (5).
كما عرفها د. احمد مختار احمد بأنها "ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى" (6).
ويتبنى الباحث تعريف الين استون في السيمياء المتقدم (تتحرى الطريقة التي يخلق بها المعنى ويتم توصيلة عبر نظام من العلامات التي يمكن تشفيرها وحل شفرتها)، لما يحتويه من شمولية واختيارية في ايجاد الطرق والوسائل لتكوين وانشاء العلامة ومن ثم إيصال المعنى، وهذا ما يتفق مع عمل الممثل في كيفية جعل الاداء في المونودراما متفقاً مع اكتشاف اليات جديدة في فن العلامة وتكوينها العلامة وحملها للمعنى وإيصاله ببسر الى المتلقي، وكونه يتماشى مع مجريات بحثنا الحالي.

(1) الحسيني، سليم: الميزان في تفسير القرآن ، (بيروت: دار السلام، 1996)، ص515، ص 46، ص 156، ص 510، ص 533.

(2) سوسير، فردينان دي: علم اللغة العام، تر : يؤئل يوسف عزيز، (بغداد: دار افاق عربية، 1985)، ص 34.

(3) استون، الين و جورج سافونا: المسرح والعلامات، تر: سباعي السيد، (القاهرة : وزارة الثقافة، 1996)، ص 13.

(4) قاسم، سيزا واخرون: مدخل الى السيميوطيقا، (القاهرة : دار الياس العصرية، 1987)، ص 57.

(5) المصدر نفسه، ص 57.

(6) مختار، عمر احمد: علم الدلالة ، (الكويت : مكتبة دار العروبة، 1982)، ص 11.

2- الأداء لغويًا

يعرف الأداء بمعناه اللغوي من الفعل "أدى" دينه (تأدية) قضاه والاسم (الأداء) وهو (أدى) للأمانة من فلان بالمد⁽¹⁾.

وفي موضع آخر بنفس المعنى يكون "أدى - أديا الشيء = أوصله، أدى، تأدية، الشيء: أوصله، أدى إليه الخبر" الأداء: إيصال الشيء إلى المرسل إليه⁽²⁾.

الاداء اصطلاحا:

عرفه جلين ويلسون على الوجه الآتي "ويشير مفهوم الأداء الفني إلى الانهماك النسبي في الأداء الخاص الذي يقوم به المؤدون لفن معين من الفنون"⁽³⁾.

وعرفه أرفيج جوفمان "كل نشاط للفرد الذي يحدث خلال فترة ما تتميز بوجود هذا الفرد بطولها أمام مجموعة من المشاهدين، وأنه يترك أثره على هؤلاء المشاهدين"⁽⁴⁾.

كما عرفه ريتشارد لومان بقوله "إن كل أداء يشتمل على وعي بالثنائية، ومن خلال هذه الثنائية يتم تنفيذ فعل ما بعد وضعه في صورة ذهنية مقارنة بنموذج آخر مثالي له، أو نموذج أصلي موجود في الذاكرة، وفي العادة تتم هذه المقارنة بواسطة الشخص الذي يراقب هذا الفعل مثل جمهور المسرح"⁽⁵⁾.

كما عرف جوردون هايز (الاداء المسرحي) على أنه "فن ابتكار الاوهام مع العناصر الحية المرتبة زمانيا.. وهو بناء للصورة الخادعة"⁽⁶⁾.

والاداء التمثيلي "قيام الممثل بإيصال افكار مؤلف المسرحية إلى المتفرجين بواسطة جسمه وصوته"⁽¹⁾.

(1) الرازي، محمد بن ابي بكر ، مصدر سابق، ص 11.

(2) معلوف، لويس، مصدر سابق، ص 6.

(3) ويلسون، جلين: سيكولوجية فنون الاداء، تر: شاكر عبد الحميد، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، سلسلة عالم المعرفة 258، 2000)، ص 8.

(4) كارلسون، مارفن: فن الاداء، تر: منى سلام، (القاهرة : مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، وزارة الثقافة، الثقافة، 1999)، ص 63.

(5) المصدر نفسه، ص 12-13.

(6) جوردون، هايز: التمثيل والأداء المسرحي، تر: محمد سيد، (القاهرة : وزارة الثقافة، مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، 1999)، ص 22.

التعريف الاجرائي للاداء

من خلال التعريفات الاصطلاحية لمفردة الاداء توصل الباحث الى التعريف الاجرائي للاداء في المونودراما وهو (قدرة الممثل على استعادة السلوك الانساني للشخصية المتخيلة وعلاماتها وفق رؤيته مراعيًا خصوصيتها المتفردة).

3- العرض لغويا

يعرف العرض بمعناه اللغوي من الفعل "(عرض) له كذا أي ظهر و(عرضته) له أظهرته له وأبرزته إليه، وعرض الجارية على البيع وعرض الكتاب، وقوله تعالى "وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين" أي أبرزناها حتى نظروا إليها (فأعرضت) هي أي استبانت وظهرت"⁽²⁾ وفي موضع آخر يأتي "عرض - عرضا: ظهر وبدا ولم يدم والشيء لفلان أظهره والشيء عليه - أراه إياه والمتاع للبيع: أظهره لذوي الرغبة فيه ليشتروه"⁽³⁾.

العرض اصطلاحاً

يعرفه (جوليان هيلتون) "بأنه السطح الذي يتحرك عليه الممثل ... ويشير الى وحدة قياس زمنية او مكانية غير محدودة الطول ، تشيء بالتحول او النمو والتطور"⁽⁴⁾. وعرفه (ابراهيم حمادة) بأنه "مفهوم يتعلق بطريقة تشكيل العرض المسرحي، ويهدف الى مزج العناصر الفنية المختلفة المكونة للعرض في شكل فني متوحد"⁽⁵⁾. وعرفته (سامية اسعد) بأنه "مجموعة العلاقات المرئية والمسموعة تتألف وتتراسل وتتشابك وتتصارع لتوليد كلية مركبة في اطار جديها المستمر مع المشاهد اليقظ المتفاعل"⁽¹⁾.

(1) عبد الرزاق، اسعد وسامي عبد الحميد : فن التمثيل، (بغداد: جامعة بغداد، 1979)، ص 12.

(2) الرازي، محمد بن ابي بكر، مصدر سابق، ص 424.

(3) معلوف، لويس، مصدر سابق، ص 497.

(4) هلتون، جوليان: نظرية العرض المسرحي، تر: نهاد صليحة، (القاهرة: دار هلا للنشر والتوزيع، 2000)، ص

(5) حمادة، ابراهيم: معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية ، (القاهرة: دار الشعب، 1971)، ص 200.

ويتبنى الباحث تعريف جوليان هيلتون... (السطح الذي يتحرك عليه الممثل ويشير الى وحدة قياس زمنية او مكانية غير محدودة الطول، تشيء بالتحول أو النمو والتطور) لأنه يتناغم مع دوافع الحقيقة في حركة العلامة المسرحية وسيرورتها من خلال التحول والنمو المستمر في بنية العرض الدرامية والتغيرات المستمرة في المعنى إزاء ذلك، وبفعل عوامل التغيير الزمني والمكاني، وذلك للتطور في البنى الفكرية المسببة لهذه التغيرات والتطورات.

4-المونودراما*

يعرف (سمير عبد الرحيم الجبلي) في معجمه الخاص بالمصطلحات المسرحية المونودرامية بأنها "المسرحية المتكاملة العناصر التي تتطلب ممثلاً واحداً أو ممثلة واحدة".⁽²⁾ ويرد في المورد أن المونودراما "مسرحية يمثلها شخص واحد"⁽³⁾. ويقول إبراهيم حمادة في معجمه المصطلحات الدرامية والمسرحية، إن المونودراما "هي المسرحية المتكاملة العناصر والتي تتطلب ممثلاً واحداً أو ممثلة لكي يؤديها كلها فوق الخشبة"⁽⁴⁾.

(1) اسعد، سامية: النقد المسرحي والعلوم الانسانية في: مجلة فصول القاهرة، العدد الاول، 1983 ص 157. * المونودراما : هي مسرحية يقوم بتمثيلها ممثل واحد يكون الوحيد الذي له حق الكلام على خشبة المسرح ، فقد يستعين النص المونودرامي في بعض الاحيان بعدد من الممثلين ، ولكن عليهم ان يظلوا صامتين طول العرض وألا انتقت صفة (المونو) (من الكلمة اليونانية mono) بمعنى (واحد) .. ورغم ان المونودراما لم تظهر بشكلها المكتمل إلا ابان الحركة الرومانسية التي بدأت تشتت أوربا منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، الا ان بذورها وجدت منذ بدايات الدرامه الاولى ، ونلمحها في المشاهد التي كان البطل فيها في المسرحيات اليونانية القديمة ينفرد بالحديث مدة طويلة بينما ينصت الجميع له في صمت حتى ينتهي ، عادة بذور المونودراما الى النمو ودبت فيها الحياة كشكل فني ارتبط بالفكر الرومانسي الذي يدعوا الى التفرد في مسرحية مونودرامية بعنوان (بيجماليون) كتبها الفيلسوف الفرنسي الشهير (جان جاك روسو) عام 1760 ، كانت هذه المسرحية هي البداية الحقيقية للمونودراما كشكل ادبي درامي ، وفي الفترة نفسها أي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر / احتلت المونودراما خشبة المسرح الاوربي لأول مرة وروج لها الممثل الالمانى الشهير (يوهان كريستيان براندز) .. ينظر .. صليحة ، نهاد : التيارات المسرحية المعاصرة ، (الشارقة ، مركز الشارقة للابداع الفني ، 2001) ص 144 - 145 - 147 .

(2) الجبلي، سمير عبد الرحيم: معجم المصطلحات المسرحية، (بغداد: دار المامون للترجمة والنشر، 1993)، ص 80.

(3) البعلبكي، منير: المورد، (بيروت: دار العلم للملايين، 1982)، ص 589.

(4) حمادة، ابراهيم، مصدر سابق، ص 156.

التعريف الإجرائي للعرض المسرحي المونودرامي

العرض الذي يقرر فيه الزمن ممثلاً واحداً، يملك زمام شخصياته وعلاماتها، إذ يجسد سلوكها واختيار الفترة الزمنية لظهورها واختفائها على الخشبة.

الفصل الثاني

الإطار النظري

المبحث الأول

السيمياء- مفهومها- مرجعيتها الفلسفية

المبحث الثاني

السيمياء واشتغالاتها في المسرح

المبحث الثالث

الممثل وعلاماته في المونودراما

المبحث الرابع

الاداء ونظم التحول العلاماتي للعرض المونودرامي

مؤشرات الإطار النظري

الدراسات السابقة

المؤشرات التي اسفر عنها الاطار النظري

- 1- السيمياء تعمق الفعل الدرامي، وتحرك الذهن لفك الصورة البصرية والسمعية المؤسسة للعرض، وتنقله من اساليبه الجامدة الى اخرى ديناميكية في تنوعه الفكري والجمالي والتقني.
- 2- العلامة في النص متخيلة ونسبية من شخص الى اخر وتتميز بالسكونية والتاثير المحدود، بينما في العرض هي واحدة لكل النظارة، إذ تتضخم وتبرز في تحولاتها.
- 3- تساهم العلامة في تكوين الشكل الجمالي والدلالي للمكان المسرحي، وتحفز على تحوله من نمط الى اخر على وفق مقتضيات المتن الحكائي للنص ومكان العرض.
- 4- تتعالق العلامة في المونودراما بين حدود المكان المنصي ومكان الجمهور، ومن ثم اشراك الاثنين في وحدة فضاء العرض.
- 5- تساهم العلامة في تعيين الفضاء المسرحي، شكله، حجمه، حدوده الواقعية والوهمية.
- 6- تساعد العلامة (من خلال عناصر العرض) على تفعيل الخيال وبالعكس واستحداث علامات جديدة متنوعة لدى الممثل في المونودراما.
- 7- تتناقض (في معظم الاحيان) علامات الممثل مع علامات الشخصية مما يؤثر في طبيعة الاداء، لاسيما في المونودراما لوجود الممثل واحدة وعدة شخصيات.
- 8- الممثل في المونودراما هو من يقرر زمن ايقاع الفعل وعلاماته، واختيار موقعها ووقت حدوثها.
- 9- يحرص الممثل في المونودراما من خلال أدائه على التقليل من الضغط النفسي باعتبار ان الشخصيات المستدعاة وكل الموجودات هم ممثلون وهميون يشاركونه حيزه على الخشبة.
- 10- الزمن في المونودراما هو زمن نفسي في الماضي يساهم في حركة وأدائه الممثل متجاوزا قيود المجتمع واحكامه لانه (يحلم- يهلوس- يتخيل) فلا رقابة على ذلك.
- 11- الممثل في المونودراما يكسر ملل السرد من خلال التنوع العلاماتي في تكوين نماذج شخصياته على شكل دمي او تكوينات خشبية على هيئة انسان او حيوان.
- 12- اداء الممثل في المونودراما يركز على الفكرة المركزية للعرض وكشفها متنقلا من الاستعراض الدرامي لشخصياته الى محاسبتها على اخطائها والسلطة وممارساتها.
- 13- يعتمد انتاج العلامة لاداء الممثل في المونودراما على قدرته في تشكيل موجودات الخشبة.

- 14-غالبا ما يستحضر الممثل في المونودراما شخصياته من خلال انشاء اساليب خداعية(كالحم او الخيال) وبمساعدة عناصر العرض وتقنياته.
- 15-اداء الممثل في المونودراما يعتمد على استعادته لعلامات الشخصية المتخيلة وصياغتها على وفق رؤيته.
- 16-يعتمد الاداء في المونودراما الاشارة الى الشخصية لا تصويرها فوتغرافياً.
- 17-الممثل في المونودراما يحقق التنوع الادائي وتداخله من اجل خلق المتعة والتواصل.
- 18-يبتكر الممثل في المونودراما (علامات ارتجالية) في حدود المعقول بما يحقق فعاليات محرقة تضيف متعة انية قد تثبت تلقائيا بتكرارها.

الدراسات السابقة

بعد البحث والنقضي الذي قام به الباحث لمراجعة الدراسات ورسائل الماجستير واطارح الدكتوراه في مكتبات كلية الفنون الجميلة في القطر، لم يجد الباحث دراسة لها علاقة بموضوع بحثه والمتعلق بارتباط العلامة بأداء الممثل في المونودراما بالتحديد باستثناء الدراسات المجاورة والتي تقترب في جزء من الاداء بنمطية حركية وصوتية ليس إلا ، من دون الاشارة الى ارتباطه او تداخله (بالعلامة) او بالخصوصية العلاماتية في ادائية الممثل في المونودراما او تلك الدراسات التي تتناول بوضوح العلامة في حدود الاداء الخاص للعرض المسرحي العراقي (الجماعي او التقليدي) دون المونودرامي او من دون ذكر اليات عامة للاداء كمنتج فني، ثقافي، عالمي يخص الممثل في كل مكان ولا يمثل خصوصية محلية واضحة بذاتها، او تلك الدراسات التي تتناول العرض من خلال تحليله السيميائي وخلوه من تبيان دور العلامة مع الاداء في تشكيل الصورة المسرحية المتمركزة على الخشبة والابتعاد عن التفصيل الدرامي لدور الفعل وجذره العلاماتي وارتباطه بالاداء كعامل اساسي في تشكيل العلامة ومقارباتها مع عناصر العرض... او تلك الدراسة التي تتبنى خصائص المونودراما العامة من دون الاشارة للعرض او للممثل وادائه. هذه المحدودية في الدراسات المجاورة السابقة اعطت ميزة الشمولية والخصوصية او التخصصية لمباحث اطروحة الباحث ومحاورها لانها تفردت في تناول اهمية العلاقات العلاماتية في المونودراما بالتحديد وبمحوري العرض (الممثل والشخصية) والتشكيل الديناميكي للصورة المسرحية والعلاقات المتشعبة بينهما وبين عناصر العرض والسيرورة التي تكونت بها العلامة، وقدرة الممثل على صنعها وحملها وبثها او تحويلها من نمط الى اخر سواء عبر شخوصه او موجوداته.

اولاً: رسالة الماجستير الموسومة (التحليل السيميائي للعرض المسرحي الحديث) للباحث (عواد علي) جامعة بغداد- كلية الفنون الجميلة 1989 فقد تعالقت مع أطروحة الباحث في مجمل التحليل العلاماتي للصورة المتمركزة على الخشبة اضافة الى انساق العلاقات بين الممثل وعناصر العرض ولكنها ابتعدت ايضا عن خصوصية هذه العلاقة في المونودراما وكذلك ابتعدت عن موضوع اداء الممثل وارتباطه بالعلامة كمكون أساسي في حركة الفعل الدرامي على الخشبة واتجهت الى تحليل بنية العرض سيميائياً، أما الباحث في اطروحته فقد عمل على استنفار العلامة لترسيخ دور الأداء في شكل تلك العلامة وتحويلها وايصالها من خلال الممثل في المونودراما والتشكيل العلاماتي المتحقق بفعل هذا الاداء وعلاقته المتشابكة مع

موجودات الخشبة وعناصر العرض والخشبة المتخيلة ودور العلامات خارج تلك الخشبة وداخلها .

ثانياً: في رسالة الماجستير الموسومة (سيمائية الجسد عند الممثل المسرحي) للباحثة (ثورة يوسف يعقوب خلف، جامعة بغداد/ كلية الفنون الجميلة 1995) والتي تحدت من خلال عنوانها على موضوع الجسد وعلاماته، والتي اقتربت من أطروحة الباحث من خلال محور بعنوان (الجسد وعلامته)، كجزء متحول وإسساس وفق الفكر والتحليل والممارسة، ولكنها ابتعدت عن أطروحة الباحث حين عدت الجسد المحرك الأساس لكل المنظومة العلامية، في حين أنه جزء منها، تتشكل وفق ارتباطاتها المعقدة مع تفصلات دقيقة، حيث تجسد علامات العرض وخصوصيته من خلال شبكه واسعة من العلاقات، وهذا ما شكل تناول الجسد في الأطروحة شكلاً فكرياً وجمالياً في نوعية الأداء للعرض الموندرامي، إذ يتشكل ويتحول من خلال قدرة الممثل الواحد وتعدد الشخصيات وامتلاك كل واحدة لنمط خاص مبني على دراستها وفق مرجعيتها التاريخية.

ثالثاً: أطروحة الدكتوراه الموسومة (الخصائص الفنية للمونودراما) للباحث (حسين علي هارف) (جامعة بغداد/ كلية الفنون الجميلة 1997) والتي اقتربت مع أطروحة الباحث في موضوع تناولها الجوانب المونودرامية العامة ، ولكن خارج حيزها الأدائي والعلاماتي آخذة الجوانب الادبية للمونودراما وخصائصها الفنية والتاريخية ولكنها ابتعدت عن أطروحة الباحث في تناول علاقة الممثل وأدائه بالعلامة أو عناصر العرض وإنتاج العلامة كما حصل في مباحث أطروحة الباحث.

رابعاً: رسالة الماجستير للباحثة (ليلى محمد) الموسومة (اداء الممثل في مونودراما المسرحي العراقي)، جامعه بغداد - 2004، حيث تعالقت مع أطروحة الباحث كونها شملت الاداء في المونودراما ولكنها ابتعدت عن أطروحة الباحث في الإشارة الى اهمية العلامة في الشكل التعبيري لاداء الممثل، لذا فإنها اتجهت الى عموميات الجانب الخصائصي والتاريخي للمونودراما من دون توضيح حركية الأداء على فكر الممثل وحسه وجسده في المونودراما ، بينما عنت أطروحة الباحث بالتحليل الوجداني والفكري للشخصيات المونودرامية وإشكالية

العلاقة بين ذات الممثل والآخر (الشخصية) وطرق فض هذا النزاع وإمكانية الفرز بين الشخصيات وإيجاد خصوصيتها للتعبير عن نفسها تلقائياً.

خامساً: رسالة الماجستير الموسومة (علامات الاداء التمثيلي في العرض المسرحي العراقي) للباحث (اكرم وليم ابراميا) (جامعة البصرة - كلية الفنون الجميلة - 2007) والتي تتعالق مع أطروحة الباحث بجزئية بسيطة في موضوع ارتباط العلامة بالأداء في حيزه العام، ولكنها ابتعدت عن أطروحة الباحث بتبنيها الأداء داخل العرض (التقليدي) من دون الأخذ بخصوصيته في الموندراما، وكذلك ابتعدت عن توضيح الجوانب الاساسيه لمفهوم العلامة وتشكيلها للأداء بجوانبه الحركية والصوتية أو السمعية والبصرية من خلال سطوع العلامة أو وضوحها بعلاقة الممثل مع عناصر العرض ومجوداته على الخشبة.

المبحث الأول

السيمياء – مفهومها- مرجعيتها الفلسفية

- العلامة- النشأة والمفهوم.
- العلامة ومرجعياتها الفلسفية.

العلامة - النشأة والمفهوم

عبر الإنسان البدائي عن أفكاره ورغباته من خلال (الحركة والصوت) وهذا يمثل أبسط أنواع التكوين أعلاماتي القائم على نمط العلاقة بين هذا الإنسان ومحيطه الغامض، هذه الرابطة الجدلية بين الحركة التي تعني القوة في صراعه داخل محيطه القاسي وبين الصوت كعلامة معبرة عن رغباته الغريزية، شكلت محور عيشه القلق، بالرغم من ان هذه الجدلية (العلاماتية) كانت تقتصر في بداية الأمر الى الوعي بحقيقة ما كان يجري حولها وداخلها في ظل اشتباك العلاقات الاجتماعية والاقتصادية التي ظهرت فيما بعد وشكلت معظم العلامات التي حددت ونظمت أساليب العيش والحياة عنده، وكذلك افتقارها الى العقلانية في التعامل معها لأنها بلا وعي اجتماعي (مجتمع العائلة) والذي رادف حينها مرحلة القوة الجسدية في التعامل مع سبل العيش القاسية والمعتمدة على الصيد وعنفه، فهو لم يكن يعرف اللغة او الكلمة وحتى بعد ان استخدمها لم تكن تعني لديه معنى للأشياء إلا بقدر حدودها الضيقة، فكان التعبير يأتي من خلال دوي الصوت العالي (الصرخة) كعلامة بدائية تعبر عن الخوف او الفزع او الاحتجاج او ربما التعبير الحسي العاطفي، "اذ تبين أقدم الأفعال التركيبية ان الكلمة في المراحل الأولى كانت تلعب دورا ضئيلا ولم يكن لها صفة المعنى بقدر ما كان لها طابع الإشارة الإيقاعية التي تتحقق بواسطة الصوت (الصرخة)"⁽¹⁾.

ان صياغة الفعل التعبيري هذا بالرغم من بساطته وفطرته كان يشكل بدوام تكراره نمطا طقسيا قد احواله الى شكل دلالي، أقدم الإنسان البدائي في ممارسته له على انه لغة تفاهم (اشارية) بين افراد مجتمعه البسيط، وكذلك لغة الاتصال مع قوى غامضة لا يعرف مصدرها او مدى غضبها أو ساعته فان "الصرخة الانفعالية (الصيحة) في رقص النشوة لم تتخذ شكل فكرة بعد، لكنها حين كانت تتكرر اكتسبت طابع إشارة ذا معنى أي طابع دلالة على فعل معين"⁽²⁾، هذا الإنسان كان منزوعا للعثور على وسائل إضافية للتقرب من تلك القوى او محاكاة ظواهر الطبيعة لكي يتجنب شرورها، ومن ثم إشباع رغباته واحتياجاته في مرحلة الجمع، او الصيد، وانماط الصراعات التي كان يخوضها، وربما يكون القلق من شيء مجهول ما، او الخوف من محيطه هذا، من دفعه الى تكوين جزء من منظومته العلاماتية من خلال انشاء فعالية تعبيرية تبين ردود فعله إزاء كل تهديد يحاول أن يززع أمنه القلق اصلا، ويكون قادرا على السيطرة على

(1) غاتشف، غيورغي: الوعي والفن، تر: نوفل تيوف، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة (146)، 1990)، ص 69.

(2) المصدر نفسه، ص 77.

أفعاله وتنظيمها، وأعلى مجمل تحركاته بشكل عام، وفي وقت لاحق كان حريصا على إبقاء هذه الإشارات أو العلامات التعبيرية سرا داخل مجتمعه الضيق مما جعله يبتكر أنماطاً خاصة من الحركات والإيماءات والأصوات المشفرة، لا يعرفها من هم خارج حيزه الاجتماعي، فكانت منظومته العلاماتية البسيطة هذه عنصره الخاص دون غيره من المجتمعات لذا "فان العلامات والرموز تختلف في وجه اقتصارها على فئة كبيرة أو قليلة أو في درجة غموضها، وكلما كانت القبيلة أو كلما كان الدين أكثر بدائية، أو أكثر كبتا فان رموزه تميل بدرجة اكبر الى الاقتصار على فئة قليلة"⁽¹⁾، وهذا ما قاده الى جعل إسراره تنتقل إلى مواطن أخرى في ممارسته الاجتماعية هذه، فأصبحت حياته الآن في مرحلة التشفير الذاتي فقد خرجت العلامة من حيزها الطقسي المحدود والبسيط الى جوانبها الحياتية الأصعب فان "لرسوم السكان الأصليين بوسط استراليا سمة خاصة هي انه بدلا من رسم الحيوان بالذات أو الإنسان بالذات أو الشيء بوصفه الطبيعي، فأنهم يستخدمون رمزا اصطلاحيا فيستخدم الحرف [U] بداخل [U] أخرى للإشارة غالبا الى احد أسلاف الإنسان أو ما يشبه الإنسان إما الدائرة أو الحلزون فأنهما يرمزان للثقب المائي بالجيد، وللحضبة او المكان الطومبي"⁽²⁾، لم يأت هذا التحول العلاماتي اعتباطا، بل من فعل حركي اجتماعي إنساني متراكم، قاده الى اكتشاف عوالم داخلية وخارجية مكنته من رؤية الحياة والكون بشكل اكثر عقلانية، فتوسعت آفاقه المعرفية نحو الربط بين الموجودات والظواهر على أساس التقريرية والمجاورة او السببية، فنور الشمس يعني بالضرورة الدف، والمطر يعني الزرع أي الطعام، هذا التحول المعرفي لاسيما في مفهوم الإنتاج الاقتصادي أصبح عاملا مهما في تكوين نمط علاماتي دال اعقد مما سبقه، إذ إن الوعي بحتمية التطور الاجتماعي والاقتصادي دفعه للانتقال من مراحل أو أطوار الى أخرى أكثر قدرة على الإنتاج واكتفائه الذاتي، فمن مرحلة جمع الطعام الكسولة الى صيد الأسماك والحيوانات ثم الى الزراعة والرعي وتربية المواشي، ومن ثم نحو ابتكار أدوات الصيد باستخدام القوس والرمح، إذ شكلت هذه الانتقالات المهمة في نمط حياته، الإسراع في تجديد علاماته وبما يناسب خطورة هذه التحولات في بنيته العلائقية وبما يلائم مرحلته الجديدة فقد "كان الصيادون وجامعو الثمار في العصر الحجري مضطرين الى الاعتماد على ما تزودهم به الطبيعة، فلما اخترعت الزراعة خطا البشر أول مرحلة نحو السيطرة على الطبيعة وتعلم الرجال وسائل استئناس الحيوانات والتحكم والسيطرة عليها بعد إن كانوا يطاردونها

(1) ريد، هيربرت: تربية الذوق الفني، تر: يوسف ميخائيل، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1975)، ص 229.

(2) المصدر نفسه، ص 229-230.

من قبل⁽¹⁾. فالتوازن بات قائماً بين الحياة كواقع وبين التعبير عنها بأي شكل من الإشكال وفي أي لحظة ما، والإنسان بتحولاته هذه خرج من انفلاته وعشوائيته الى بعد جديد قاده نحو الاستقرار والركون الى واقع اكثر التزاماً بقوانين المجموعة والمجتمع والقبيلة او سننها وأعرافها، وهذا ما نشاهده في معظم القبائل الطوطمية* التي التزمت بعرف وقوانين التكوين الطوطمي إذ أن "الدين المميز للمجتمع القبلي في أكثر مراحل بدائية هو الطوطمية وكل عشيرة تتألف منها القبيلة مرتبطه بشيء ما طبيعي يسمى (طوطم) ها- ويعتبر أفراد العشيرة أنفسهم مشابهين لنوع طوطمهم ومنحدرين منه، وهم ممنوعون من اكله ويؤدون مراسيم تقليدية تستهدف زيادة اعداده ولا يجوز لأفراد الطوطم نفسه التزاوج فيما بينهم"⁽²⁾، هذا التمسك بقوانين وأعراف القبيلة رافقتها بالطبع صرامة في انشاء نظم علاماتية حذرت من مخالفتها، بأي شكل من الإشكال فقد "يتوهم أصحاب الطوطم ان الطوطم ينذر أصحابه بالخطر قبل وقوعه بعلامات او رموز على نحو ما يعبر عنه بالفال والطيرة، فإذا طار البوم امام قبيلة البومة وقت خروجهم الى الحرب تقاءلوا به وإذا طار وراءهم تشاءموا منه ورجعوا من حيث أتوا"⁽³⁾، وكون العلامة قائمة منذ الأزل وتحدد حركة الإنسان وفق وجهة ما، فان ارتباطها كان متوازناً وفهمه الاقتصادي والاجتماعي والخرافي على حد سواء، بل شكلت حافزاً على اكتشاف الأشياء المادية الواضحة للنظر والمرتبطة بحياتهم واستمراريتها، وكذلك كانت محفزاً على اكتشاف وإنتاج الأفكار، وفق ما تؤول إليه حياتهم وما تجلب لهم من حقائق تجيب عن تساؤلاتهم المحيرة، ومن هذا التطور المعرفي، فانه يبدو أن اخطر مرحلة انتقلت بها (العلامة) من جانبها الغامض الى جوانبها المعرفية لحقيقة الروابط الاجتماعية كان من خلال تمييز الارتباطات الجنسية والفصل بينها باتجاه استقامة المجتمع نحو

(1) رايلى، كافين: الغرب والعالم، ت: عبد الوهاب محمد المسيري وهدي عبد السميع، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة (90)، 1985)، ص 49.

* الطوطمية كلمة (ابجوية objeway) من هنود امريكا دخلت اللغة الانكليزية سنة الف وسبعمائة واحدى وتسعين على يد الاستاذ (جي لانج J.Lang) الذي كان يقوم بوظيفته الترجمان بين البيض والهنود الحمر في امريكا الشمالية، ويراد بها كائنات تحترمها بعض القبائل المتوحشة، ويعتقد كل فرد من افراد القبيلة بعلاقة نسب بينه وبين واحد فيها يسميه طوطمة، وقد يكون الطوطم حيوانا او نباتا، وهو يحمي صاحبه ويبيعث اليه الاحلام اللذيذة وصاحبه يحترمه ويقده، فاذا كان حيوانا فلا يقدم على قتله او نباتا فلا يقطعها ولا ياكله الا في الازمة الشديدة. ينظر: عبد المعيد خان، محمد: الاساطير والخرافات عند العرب، (بيروت: دار الحداثة، 1981)، ص 64.

(2) تومسن، جورج: اسخولوس واثنينا، تر: صالح جواد كاظم، (بغداد: منشورات وزارة الثقافة، 1975)، ص 18.

(3) عبد المعيد خان، محمد: مصدر سابق، ص 67.

فهم أخلاقي قائم على معرفة بدلالات الحياة الاجتماعية والسير عليها، أي الوعي بان ارتباط الرجل جنسياً بأمه، أو أخته أو ابنته هو حرام وبذورها من الأطفال هو (سفاح) غير مقبول اجتماعياً ونفسياً فإن "المجتمع البشري من حيث هو ثقافة وجد منذ حرم السفاح"⁽¹⁾، هذا التحول العلاماتي بخطورة العلاقات العائلية، قربه أكثر من أسرته والاهتمام بالفرد ونوعه وتثبيت انتمائه لأبناء جنسه، فقد أخذت بعض القبائل بتسويم أطفالها في الوجه أو الجسم بعلامات كالوشم أو الأصباغ لتمييزهم عن أفراد القبائل الأخرى، هذه العلامات كانت تمثل رمز العشيرة أو طوطمها، وانطلاقاً من التماسك الأسري، نشأت الرغبة في توثيق العلاقات وخلق التواصل الاجتماعي الأوسع بين أفراد المجتمع بشكل عام، إذ تكونت العلامات التي تعنى بالإشارة إلى السائرين في الطرق لتوضح لهم مسالكها، أو الأماكن للاستدلال بها من خلال النار والدخان فقد "يلوح تاريخياً إن النار والدخان كانا أكثر الإشارات اللغوية استعمالاً في التخاطب في المجتمعات البدائية، فقد أوقدت النار ليلاً في العراء أو في الأماكن المرتفعة ليهتدي بها السائرون"⁽²⁾.

إن هذا التطور في لغة التفاهم أو التواصل العلاماتي كان لابد له من منظومة تتم فكرتها بدائرة متكاملة من الإشارات تكونها جهتان الأولى هي المنتجة أو الباثة للعلامة والثانية المستقبلية لها على شرط أن تتشكل هذه المخاطبة من خلال الاتصال الفكري القائم على معرفة الجهة الثانية بما ترمي إليه الجهة الأولى، وتحدد وفق ذلك الجهة الثانية اتجاهها وسلوكها بما أراده الطرف الباث أو الأول، إذن لابد من بلورة المعنى في أذهاننا ومن ثم تحويله من أسره (عند الأول) إلى صورة مرئية مجسدة يفهمها الآخرون من خلال لفظ صوتي أو إيمائي أو إشاري أو أي أسلوب يبتكره المرسل سواء كان يقوياً أو أشارياً أو رمزياً إذ "تستخدم العلامة من أجل نقل المعلومات ومن أجل قول شيء ما والإشارة إلى شيء ما يعرفه شخص ما يريد أن يشاطره الآخر هذه المعرفة، إنها بذلك جزء من سيروية تواصلية"⁽³⁾، هذه السيروية في إنشاء العلامة حتمت عليها الاختزال الدلالي الذي يؤلف سياقها المنطقي في إيصال المعنى من دون ضجة أو ثثرة أو تكرار، لذا كانت الإيماءة أو الإشارة أو الهمسة بدلاً عن الكلمة وليس أفضل منها "يرى هاملت شبح والده على السطح فماذا يفعل الشبح أولاً يشير إلى هملت ثم ماذا؟ يتكلم. إذا كان اللسان علامة فليست كل علامة لساناً"⁽⁴⁾، وفي بعض الأحيان يكون الصمت من العلامات

(1) أوزيلاس، جان ماري وآخرون: البنيوية، تر: ميخائيل فحول، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1972)، ص 105-106.

(2) جعفر، نوري: اللغة والفكر، (الرباط: مكتبة التومي، 1971)، ص 55.

(3) أيكو، امبرتو: العلامة، تر: سعيد بنكراد، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2007)، ص 47.

(4) أوزيلاس، جان ماري: مصدر سابق، ص 63.

الدالة ذات الوقع الاكثر تاثيرا من الحركة او اللغة او الصوت، فهو يعني اختزال الاختزال في فعل المنظومة العلاماتية لا يصال المعنى وقد يكون "الصمت من حيث هو لسان (لا من حيث هو فراغ) حالة الصفر من اللسان او موقف جدي"⁽¹⁾، ولكن الصمت ليس كل العلامة او فعلها الدلالي فهو منتقى لا يرد متكررا عند زمن وتوقيت حدوثه، لصعوبة ادراكه والحاجة الى قدرة تأويلية لفهم معناه الآخر.

هذه الفكرة الشمولية (للعلامة) جعلها ترافق كل فعل إنساني في الحياة، وعليه فان تعريف العلامة الأكثر شيوعا هو الذي يقدمه قاموس الفلسفة لـ اباغنونو فهو يعرفها "بأنها كل شيء او حدث يحيل على شيء ما او حدث ما"⁽²⁾، هذا التطور في الإحالة من شيء يرمز الى اخر ارتبط بالوعي الحضاري والمعرفي للإنسان وقفز بالعلامة الى آفاق جديدة بصلتها وعالمه الداخلي والخارجي، فبدأ الفهم الحقيقي لمعنى العلامة ودلالاتها "فمنذ احس الإنسان انفصاله عن الطبيعة وعن الكائنات الأخرى واستقام عوده وبدأ يبلور أدوات تواصلية جديدة تتجاوز الصراخ والهرولة والاستعمال العشوائي للجسد والإيماءات، بدأ السلوك السيميائي في الظهور، وتبلورت أشكال رمزية تستمد قيمتها التعبيرية من العرف والتواضع، وهي الأشكال التي سينظر إليها فيما بعد باعتبارها العلامة التوسطية بين الإنسان وعالمه الخارجي"⁽³⁾، وبما ان العلامة تعنى بالتواصل بين جهتين معلومتين سلفا فأنها قد تأتي من دون اتفاق تشاركي او زمني كالرعد او صوت الحيوانات والطبيعة او مرور طير او أي مؤثر خارجي اذ ان هذه الإشارات او الإرساليات غير القصدية يستقبلها الإنسان ويفسرها على حسب إدراكه لها، ولكن العلامة ذات المنظومة المتكاملة تأتي باتفاق الطرفين على الإرسال والاستقبال عبر محتوى الإرسالية من خلال قناة واضحة اذ "من الممكن استعمالها اشارات متفقا عليها. وقصة اتفاق البطل اليوناني (تيسيس) مع والده الملك (اكيوس) على اعطاء معنى لبعض الألوان معروفة، فقد اتفق مع والده على ان رفع الأشرعة ذات اللون الأسود على صواري سفينته يعني (تعرضه للمتاعب) وان اللون الأبيض يعني (الظفر). أي ان اللون هنا أصبح ذا دلالة أخرى متفق عليها"⁽⁴⁾، والتواصل هنا قائم على الاتفاق المسبق لموضوعة تلك العلامة وهي بعيدة التشفير او التأويل، ولذلك فهي توجي بالانغلاق أي انها تمثل الخصوصية بين اصحابها بسبب الاتفاق المسبق على دلالاتها.

(1) المصدر نفسه، ص 65.

(2) ايكو، امبرتو: مصدر سابق، ص 67.

(3) بنكراد، سعيد: السيميائيات : مفاهيمها وتطبيقاتها، ط2، (اللاذقية: دار حوار، 2005)، ص 26.

(4) جعفر، نوري: مصدر سابق، ص 50.

فالعلامة ليست وليدة لحظتها في بث المعنى الدلالي في كل الأوقات فقد تشير الى التذكير به في الماضي واستغلاله في الزمن الحاضر، حيث التأثير الآني واللحظوي بعيد الأثر ففي "الثلاثية (الأورستية)" ^{*} يبرهن (أوريستيس) لأخته على هويته بإبرازه لها ثوبا كانت قد حاكته له عندما كان طفلا- ربما كان ذلك احزمة تقييط- و فيه تصاميم حيوانات. وكانت هذه التصاميم شكلا متكررا تقليديا في الحلي المعدنية واحزمة التقييط المطرزة التي كان يكسب بها الأطفال ⁽¹⁾.

وإذا كانت المادة عنصراً أساساً في تكوين العلامة وعملها على أساس وجود الشيء والفكر معا موضوعا لها، فإن العلامة الحسية، امتزاج لعرف وذوق ومزاج المجتمع واصبح من المعيب تجاوز هذه الأخلاقيات او التخلي عنها، فتعريف ارسطو للمأساة في كتابه (فن الشعر) "هي (محاكاة فعل نبيل تام)، لها طول معلوم بلغة مزودة بالوان من التزين تختلف وفقا لاختلاف الأجزاء، وهذه المحاكاة تتم بواسطة اشخاص يفعلون، لابواسطة الحكاية، وتثير الرحمة والخوف فتؤدي الى التطهير من هذه الانفعالات ⁽²⁾". فالمأساة لها هدف نبيل تسمو بالأخلاق التي ضمنها المجتمع في أعرفه وهي تعطي مدلولاً فكرياً وحسياً لثيمتها فتجعل الناس يتألمون على البطل المختار، بالرغم من خطأه المأساوي نتيجة استعلائه وتكبره وتخطيه التقليد الأخلاقي للمجتمع، مما يقوده الى الهلاك، ومسرحية (أوديب ملكا) للكاتب الإغريقي (سوفكلس) 405-497 ق.م تعطينا دلالات واضحة لتكبر (أوديب) وتجاوزه عرف المجتمع ودليلاً على معنى الحكمة في التعامل مع ظرف الحياة، ف(أوديب) من جهة كان صبوراً في محاولته الهرب من قدره وهذه علامة دالة على إصراره الخلاص من مأزقه، وكذلك محاولته كشف الحقيقة القاسية التي هرب بسببها وهذه دلالة على قدرة فائقة لمعرفة الحقيقة وتجنبها، ومن هنا فان (العلامة) تعني بالفكر والأخلاق والعلاقات والشخصية وزمانها ومكانها، ومهمتها الكشف عن الحقيقة ومعناها "فالعلامة على الدوام هي تلك الإشارة الدالة على إرادة إيصال المعنى ⁽³⁾"، وإذا أردنا التوسع بربط العلامة بالشفرة فإننا سوف نعطيها بعداً أكبر من إيقونيتها وسلوكها السهل في إيصال المعنى، فالسيميائية مسؤولة عن صناعة وحمل وإيصال (العلامة) ومن ثم المعنى الدلالي لها عبر نظام علاماتي فيه

^{*} الأورستية: هي مسرحية إغريقية للكاتب اسخيلوس 525-456 ق.م وتتضمن ثلاث مسرحيات هي: اجامنون، وحاملات القرايين، وريبات الاحسان المنعمات، ينظر: هوايتنج، فرانك: المدخل الى الفنون المسرحية، ت: كامل يوسف وآخرون، (القاهرة: دار المعرفة، 1970)، ص 25.

⁽¹⁾ تومسن، جورج، مصدر سابق، ص 67.

⁽²⁾ ارسطو طاليس: فن الشعر، تر: عبد الرحمن بدوي، (بيروت: دار الثقافة، 1973)، ص 18.

⁽³⁾ غيرو، بيار: السيميائية، تر: انطوان ابو زيد، (بيروت: منشورات عويدات، 1984)، ص 31.

طرفان الأول باث والآخر يتسلم، وقد تحتوي هذه العلامة على الشفرة التي على الطرف الثاني حلها أو تأويلها وقد تخلو من تلك الشفرة في حالتها الايقونية البسيطة المجردة، هذا التنوع في فهم العلامة ومعناها الدلالي مرتبط باللغة وفلكلور هذا البلد أو ذاك ونمط عيشه وفهمه الديني والتراثي، لذا فهي من الثوابت الثقافية والاجتماعية المتعارف عليها داخل بنية المجتمع، وهذا ما ركز عليه (سوسير) 1857 - 1913 بقوله "يمكننا ان نتصور علما موضوعه دراسة حياه الإشارات في المجتمع مثل هذا العلم يكون جزءا من علم النفس الاجتماعي وهو بدوره جزء من علم النفس العام"⁽¹⁾، ولذلك فالمجتمعات تختلف في فهم العلامة ودلالاتها حسب ثوابتها الثقافية ومتدداتها في التاريخ وعاداتها وتقاليدها السائدة فمثلا "يشكل لبس الاسود علامة الحداد في بعض البلدان وفي أقاليم أخرى يلبس اهلها ملابس بيضاء في العزاء فالاسود والابيض علامتا حداد في ثقافات متباينة تكتسبان دلالاتهما في السياق الثقافي"⁽²⁾.

ولما كانت (العلامة) دالة على فهم المعنى فلا بد ان تعيش في محيط قادر على فهمها وتستمد فعلها من وعيه وثقافته وحسه ومزاجه، ومن هنا فقد سنت المجتمعات قوانين تنظم شؤونها وحياتها وسلوكية شعوبها، فصاغت وابتكرت أنماطاً من العلامات "قد تكون علامات على الطريق، وقد تكون إشارة باليد، أو ايماءه بالراس... كذلك حمرة الوجه الدال على الخجل، والتصفيق علامة الاستحسان، وعلامات الترقيم ورسم فتاة مغمضة تمسك ميزان كرمز للعدالة، ووضع شوكة وسكينة بصورة متقاطعة في القطار للدلالة على وجود مطعم"⁽³⁾.

لقد توسع فهم السيميائ وعلاماتها على كل الأصعدة والميادين، وهذا ما عناه (سوسير) عندما ربط بين السيميائية وإنتاج العلامة داخل المجتمع والحياة، إذ نجدها في لوحات الرسم والقصة والرواية والمسرحية والشعر أو أي إنتاج أدبي آخر ونجدها في مشاعرنا عند الغضب والارتياح، والحزن والبكاء والضحك، ونجدها في ديكور منازلنا ولباسنا واكسسوارنا وحركتنا وكل ما يتعلق بعاطفتنا وأذهاننا، وعلى هذا الأساس فان الدلالة المنتجة من فهم العلامة لا يأتي اعتبارا بل خضوعه لقوانين الوظيفة السيميائية أو ما يسميه بالسيموز (semiosis)، المكون الأساس لمراحل إنتاج العلامة وسيورتها "استنادا الى هذا فان الموضوع الرئيس للسيميات هو السيرورة المؤدية الى انتاج الدلالة أي ما يطلق عليه بالاصطلاح السيميائي (السيموز semiosis)، والسيموز في التصور الدلالي الغربي هي الفعل المؤدي الى انتاج الدلالات

(1) سوسير، فردينان دي، مصدر سابق، ص 34.

(2) غزول، فريال جبوري: علم العلامات، في: كتاب مدخل الى السيميوطيقا، مصدر سابق، ص 9.

(3) عمر، احمد مختار، مصدر سابق، ص 11.

وتداولها، انها سيرورة تشتغل من خلالها شيء ما باعتباره علامة⁽¹⁾، هذه السيرورة تكونت بفعل سلسلة من التفاعلات انضجت الفعل العلاماتي المولد لدلالته أي بمعنى تكامل عمل المنظومة العلاماتية من دون تهاون في اتمام فصولها ، ومن هنا فان السيرورة هي انتقال العلامة عبر مراحلها (مصدر - باث - قناة - ارسالية - مرسل اليه) الى شروط فهم الراسل او المصدر او الباث وكذلك المرسل اليه محتوى الارسالية (دلالة العلامة) والا فشل السيميوز او الوظيفة السيميائية من انجاز عملها الدلالي.

ويبقى حضور الشفرة فعالا في ديناميكية العلامة، لأنها بذلك لا تخضع لمزاج نفسي وتذبذب اني سريع في فهمها بل لوعي ثقافي واجتماعي قادر على سبر غورها، فهي مرتبطة بجانب تأويلي خضع لسيرورة، أنتج دلالتها وحل شفرتها، ولكن هذا لا يعني ان تكون عائمة في تفسيرها في معظم الحالات بمعنى إن غموضها مرتبط بخلفية الطرف الذي أنتجها ومن ثم على المتلقي تأويلها في حدود مرجعيته الثقافية وال نفسية ، ان غموض العلامة وحتمية التأويل تختلف عن الاستدلال المنطقي في اكتشاف دلالة المعنى في أخرى، فالأولى ضبابية تحتاج الى فك شفرتها مع صعوبة واختلاف في التلقي، والثانية لا تحتاج الى هذا التعقيد في الفهم وبالإمكان الاستدلال على معناها اذا فهم المتلقي من مصدرها مسبباتها ومحتواها الواضح السهل فقد "ابتدع بيرس العلاماتية لكي يستطيع ان يتناول بطريقة أفضل قضايا استدلالية (محااجة منطقية)، ولكن العلاماتية تعني أيضا بقضايا المعنى والتواصل"⁽²⁾، وسواء كانت العلامة في غموضها تتجه بمنحى تأويلي او في بساطتها الايقونية، فإنها في كلتا الحالتين تطرح معنى الفكرة من خلال الأشياء الثابتة والمتحركة وبطرق مختلفة استدلالية سواء في الحوار أم الحركة الجسدية مع موجودات الحياة.

(1) بنكراد، سعيد، مصدر سابق، ص 33.

(2) زويست، ارت فان: التأويل والعلاماتية، تر: منذر العياش، في: كتاب العلاماتية وعلم النص، (بيروت:

المركز الثقافي العربي، 2004)، ص 39.

تصنيف العلامات

تصنف السيمياء العلامة على أساسين-الأول (تعريفي) الخاص بهوية الفرد وانتمائه وعلاقاته السلوكية والأدبية في المجتمع، والثاني متعلق بالفرد وحواسه العلاماتية (شم، لمس، تذوق، سمع، مشاهدة) وتأثيره الدلالي في محيطه الاجتماعي، فالسيمياء تصنف العلامة في قسمها الأول الى نوعين هما (علاماتي) و (سنني) فالأول فيه:

أ. "العلامات الدالة على الهوية: وتشمل الشارات والشعارات وهي علامات تشير الى انتماء الشخص الى جماعة اجتماعية واقتصادية (نباله، برجوازية، سوقية) او مؤسسية (جيش، كنيسة، جامعة) او جماعة مهنية (جزارون، طباخون، بناؤن، جمعية رياضية، فرقة موسيقية) كذلك الوشام ومظاهر الزينة والاسماء والالقاب"⁽¹⁾.

وننتقل بالعلامة من الحالة الوسمية الى الحالة السلوكية فتميز بنوع جديد منها:

ب. "علامات الاداب: وتشمل اشكال التحية وصيغ الاداب، وكذلك الشتائم المقابل السلبي للتحية وعلامات العداة وتعابير الوجه والايماء والرقص ونبرة الصوت (حميمية) او (موقرة) او (ساخرة) او (امرء)"⁽²⁾، نترك علامات الاداب وننتقل الى اخرى تتصل بالسلوك الاجتماعي او العرف الذي يحد هوية المجتمع والافراد الاخلاقية.

ج. "العلامات الاجتماعية: ومن رموزها الميزان والسيف الدالين على العدالة الانحاء أو تقبيل اليد الدالين على الولاء والإجلال"⁽³⁾.

أما النوع الثاني من العلامات فهي:

"السنن وتشمل:

أ. البروتوكولات: وتشمل الأسماء والألقاب والشارات والشعارات والأسلحة والأسماء والأزياء.

ب. الطقوس والشعائر: وتمثل المواثيق والاتفاقيات والتحالفات والاحتفالات والتتويج وطقوس الجنازة.

ج. الموضوعات: وهي تتصل بكيفية عيش الجماعة أي بلباسها وغذائها وسكنها"⁽⁴⁾.

(1) غيرو، بيير: سيميائيات التواصل الاجتماعي، تر: محمد ألعماري، في: مجلة علامات، العدد (112)، مكناس،

1994، ص 45-46.

(2) المصدر نفسه، ص 47.

(3) المصدر نفسه، ص 50.

(4) المصدر نفسه، ص 50-52.

وهناك من يصنف العلامة على اساس لساني وغير لساني فيضعها بالشكل الآتي:

العلامات اللسانية وتشمل: أ. الفونولوجيا، ب. التركيب ج. التصريف

العلامات غير اللسانية وتشمل: أ. العلامة الشمية ب. العلامة اللسانية ج. العلامة الذوقية د. العلامة الاشارية هـ. العلامة السمعية ن. العلامة السمعية البصرية.

الفونولوجيا علم يدخل صلب العلامة، في دخول النطق الصوتي وتأثيره الدلالي، اما التركيب والتصريف معنيان باللغة والصرف والنحو والتقديم والتأخير الإعرابي او تركيب الجملة او المفردة، وتأثيرها المعنوي الدلالي في فكرة العلامة، اما العلامة (الشمية) فتعتمد على علاقة شم الروائح، وردود الفعل الدلالي على مستقبله في تلك اللحظة، وهذا ينطبق على (العلامة الذوقية) وردة الفعل اتجاه ما يتذوقه الفرد، اما العلامة الاشارية او الايحائية فهي البديل الذي نستخدمه مقابل اللغة أو عوضاً عنها في حالة عدم معرفتنا لها، او من خلال الايماء للتعبير عن حالة او فكرة ما، اما العلامات السمعية، فهي تلقي الاصوات وسماعها من الطبيعة، مثل الضوضاء او الاصوات التي يحدثها الانسان في بيئته، وهناك الاصوات الثقافية وهي الاصوات التي انجزها الانسان مثل الموسيقى، اما العلامات السمعية البصرية، فهي المزوجة بين السمع والبصر في تلقي المعلومة وتكوين فكرة على معنى دلالتها⁽¹⁾، وبذلك فقد غطت العلامة كل مناحي المجتمع ومفاصله في التعرف والتقرب والتواصل الاجتماعي والمعرفي.

القانون السيميائي (العلاماتي)

تحكم السيميائي ونتاجها العلاماتي مجموعة من الضوابط تنظم سيرورتها في تكوين ديناميكية توصلها المعرفي والدلالي بين المرسل والمتلقي واهم هذه القوانين هي:

1. "النظام: ان أي ارسالية يقوم صاحبها بنقلها الى الغير لابد ان تكون على وفق نظام خاص، وعلى قواعد مستقرة تجعل المتلقي يتعرف عليها ويستطيع التفرقة بينها وبين غيرها من الارساليات والوحدات الاخرى، فكلمة (هاتف) كلمة مركبة وفق نظام معين تجعل السامع يعرف كنهها، ومن ثم فهي (علامة)، اما اذا اختل هذا النظام وتشوشت الفونيمات والمونيمات ووقع فيها تقديم وتأخير، انتقت العلامة وتعذر التواصل"⁽²⁾ وهذا النظام يقوم بتنسيق المنظومة العلاماتية والياتها ابتداءً من مصدرها (وهنا المصدر او المرجع قد يكون

(1) ينظر: توسان، برنار، مصدر سابق، ص 11، 15، 16، 17، 20، 21، 24.

(2) صدفة، ابراهيم: السيميائية، مفاهيم واتجاهات، ابعاد، في: كتاب، (محاضرات الملتقى الوطني الاول-

السيميائي والنص الادبي)، (الجزائر، منشورات جامعة محمد خضير، 2000)، ص 81.

حدثا أو هو نفس المرسل البشري) عبر اختيار القناة أو الواسطة الى تكوين الارسالية ومحتواها ومن ثم إيصالها الى المرسل اليه، وهذا النظام المعقد هو كالسلسلة لا يمكن فقدان إحدى حلقاتها وإلا انقطع الاتصال وأصبح هناك تشويش في مجمل النظام ومسوغاته.

2. العلامة: وهي حسب انتمائها لمدرستها في التكوين والإنشاء والسيرورة والمرجعية والية التحكم بها "فسوسير يعتبرها ثنائية التكوين، دال مادي ومدلول ذهني، أي الصورة السمعية والمفهوم اما بيرس فقد قسمها الى ثلاث مجموعات، الايقونية والمؤشر والرمز، ويميز بينهما عن طريق نوعية العلامة⁽¹⁾، ولكن هذا التقسيم لا يعطي الأفضلية لهذا أو ذاك في مفهوم قيمة العلامة بل في اختلاف الإلية والتسمية في إنتاجها.

3. اللغة والشفرة "الشفرة خلقها الإنسان من اجل الاتصال بينما اللغة خلق مستمر يجري مع عملية الاتصال، ففي الشفرة توجد البداية دائما في رسالة جاهزة، اما اللغة، فإنها لا تعطي رسالتها إلا عند وصول القول فلا يعرف شيئا من نقطة الانطلاق ومعنى انطلاق الشفرة أنها نظام ضيق يطابق قيمة كل دال مدلولاً عليه واحد فقط، بينما اللغة قائمة على تعدد الدوال عليه واحد أو كثرة المدلولات"⁽²⁾.

إن التباين بين العلامة وموضوعتها هو تباين منطقي في العلامات المشفرة بشكل محكم يحتاج الى تفسير وتعليل لتوضيحه فاذا "كانت العلامة شيئا متباينا عن موضوعتها فلا بد ان يكون هناك في الفكر أو في التعبير تفسير أو حجة أو سياق يوضح كيف يتم ذلك- وما الدافع أو المنظومة التي تجعل العلامة تصور الموضوعة أو تصور مجموعة من الموضوعات كما يحدث بالفعل. وبذلك تكون العلامة مع التفسير علامة أخرى، كما إن التفسير سيصبح علامة"⁽³⁾ هذا المنطق التوليدي للعلامة والذي جاء بسبب مجمل التأويلات والتفسيرات لدلالاتها لا يحدث إلا إذا وقع المتلقي أو الطرف الآخر في متاهة التفسير، أو إن المرسل تعمد أو لم يتعمد هذا التباين في موضوعة علامته ودلالاتها المرافقة.

العلامة وواسطتها

(1) صدفة، ابراهيم، مصدر سابق، ص 81.

(2) المصدر نفسه، ص 3.

(3) بيرس، تشارلز سوندرس: تصنيف العلامات، تر: فريال جبوري غزول، في: كتاب مدخل الى السيميوطيقا،

مصدر سابق، ص 139-140.

تحتاج العلامة الى وسيط أو حامل أو قناة يقوم بنقلها من المرسل الى المرسل إليه حيث "تعرف السيميائية (الوسيط) بأنه مجموعة وسائط الاتصال، الكتاب، الراديو، السينما، الأزياء.. فالوسيط يتضمن مادة العلامة وركن حامل هذه العلامة، ومن الواضح ان طبيعة وبنية ووظيفة نظام الرمز مرتبطة اشد الارتباط بالوسيط كما هي الحال بالنسبة لمختلف الوظائف الخاصة بعمل السيميائية"⁽¹⁾، وبالضرورة فان الوساطة تحتاج الى جهتين حريصتين على إتمام الإرسال والتسليم من خلالها من دون معوقات، وبالتأكيد فان العلامة تختار واسطتها متألفة مع طبيعتها ونوعها وموضوعها وصيغتها، فهناك من العلامات ما تحتاج إلى واسطة سمعية فقط وليس لها علاقة بالحركة، وأخرى تحتاج إلى واسطة بصرية وليست حسية، وهذا الجزء مهم جدا في عملية النقل العلاماتي وبدونها لن تصل الإرسالية الى وجهتها، أي فشل السيورة الوظيفية للعلامة في اتمام مهمتها.

العلامة بين (سوسير وبيرس)

استطاع هذان العالمان أن يحددا بشكل علمي وعملي مفهوم المصطلح السيميائي او (السيميولوجيا السوسرية والسيميوطيقا البيرسية) في العصر الحديث، من خلال التتظيرات التي حققها والتي احدثت ثورة في مجال علم العلامة ودلالاتها، فسوسير يؤكد على ربط الدال بالمدلول لانتاج (العلامة) ففي حين تكون الدال هي الجانب المادي، او الصورة الصوتية بينما المدلول هو الجانب الذهني او التصور الذهني او الفكرة لها.

يقرب (سوسير) التوازنات بين المفردات لتوضيح وجهة نظره هذه بقوله "اقترح الابقاء على لفظة (الاشارة) sign للدلالة على الفكرة بأكملها واستخدم بدلا من الفكرة والصورة الصوتية على التوالي المدلول والدال"⁽²⁾، واذا كان سوسير في انتاجه للعلامة يكتفي بهذا الرابط في اطار التواصل اللغوي الاجتماعي فان بيرس يبعث الحراك في العقل والجسم. فهي في منظوره منطقة مفتوحة لا حصر لها، وان كل شيء في الوجود هو عبارة عن سلوك سيميائي قابل للدراسة والتحليل والفهم، فالعلامة مرتبطة او مرادفة او ممتزجة مع كل العلوم الطبيعية والحياتية من رياضيات او فيزياء او فلك، وكذلك متواجدة في اخلاقيات المجتمع وطبيعته النفسية وكل ما يتعلق بشؤون الانسان والبيت والشارع، بمعنى اخر هي سائدة في كل زاوية نعيشها على الأرض والسماء، ومن جانب اخر يعبر (سوسير) في سيميولوجيته بالاشارة فقط، من حيث ان "اللغة

(1) غيرو، بيار: السيمياء، مصدر سابق، ص 21.

(2) سوسير، فردينان دي: مصدر سابق، ص 86.

نسق من العلامات التي تعبر عن الأفكار⁽¹⁾، بينما يأتي (بيرس) فيعطي لعلاماته امتدادات أوسع عبر ثلاثيته فيقول "العلامة او المصورة هي شيء ما ينوب لشخص ما عن شيء ما، من وجهة ما، وبصفة ما، فهي توجه لشخص ما، بمعنى أنها تخلق في عقل ذلك الشخص علامة معادلة، أوروبما علامة أكثر تطورا، وهذه العلامة التي تخلقها اسمها (مفسرة) للعلامة الأولى، ان العلامة تنوب عن شيء ما وهذا الشيء هو موضوعتها وهي لا تنوب عن تلك الموضوعات من كل الجهات بل ينوب عنها بالرجوع الى نوع من الفكرة التي سميتها سابقاً (ركيزة) المصورة"⁽²⁾.

هذه العلاقة الجدلية بين الثالث المركب وبين المرسل والمرسل اليه، حتمتها قوانين السيروية لإنضاج المعنى الدلالي للعلامة واستمرارية عملها بلا انقطاع، والتوليد العلاماتي وتحولاته الديناميكية، فالعلامة لا تشكل في إطارها الوظيفي الا بإشارتها الى علامة أخرى ومعنى دلالي آخر أي لا تقتصر على شكلها الايقوني بقدر ما تترجم نفسها الى علامات أخرى رامزة الى ابعادها التاريخية او القومية او الطبقيّة، هذه السيروية او الديناميكية لا تحدث فقط عند النقطة الزمنية حال بث العلامة الى الطرف الثاني بل هي سيروية حركية تأويلية لامتنتية.

(1) ديكرو، اوزوالد وجان ماري شايفر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر العياش، (الدار

البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2007)، ص 195.

(2) بيرس، تشارلز سوندرس، مصدر سابق، ص 138.

العلامة ومرجعيتها الفلسفية

مدخل الى فلسفة العلامة

منذ أن غادر الإنسان كهفه باحثاً عن الحقيقة في صراعه مع الوجود، كان ميالاً للسؤال عن الأشياء وكيونيتها والكون وظواهره، وفي حيرته هذه كانت تعتمل داخله سيورة المعرفة، تحاوره للخروج من مازق السؤال فان "الإنسان كائن رمزي بكل المعاني التي يمكن إن تحيل عليها كلمة رمز، فهو يختلف عن كل الموجودات الأخرى من حيث قدرته على التخلص من المعطى المباشر، وقدرته على الفعل وتحويله وإعادة صياغته وفق غايات جديدة"⁽¹⁾، وفي ظل هذه القدرة وغياب منطق العقلانية واستئصال صراع الوجود كان عليه الولوج الى عوالم جديدة ليكون منسجماً مع رغباته ومحيطه الصعب ومعرفته الوليدة، مما حتم عليه صياغة أساليب تعبيرية مبتكرة أدت الى بروز مرحلة جديدة في فهمه ووعيه الوليد، فرقص وغنى، وبكى وضحك، وفكر وتساءل، وكان عليه ان يعرف كيف يتعلم أكثر للحفاظ على مكاسبه هذه وان يدعم علاقاته الناشئة، فكشف بفطرته علاقته مع الأشياء مع الظواهر مع الآخرين فكانت (العلامة) أي التواصل مع أبناء جنسه ومحيطه والتي من خلالها استطاع ان يكشف الأشياء وما وراءها في مخيلته او التي يحس بوجودها او يصوغها ميتافيزيقيا لا التي يراها امام عينيه فقط، وهذا ما جعله يشعر بظلمها او بدائلها او من يعوض عنها في غيابها او حضورها، ورغم هذا التقدم الحاصل في فهم الإنسان والنزعة لهذا التواصل ظل قاصراً في (انطولوجيته)* أي بمعنى العلاقة الدقيقة الشائكة بينه وبين محيطه المعقد انه بحاجة الى فلسفة ما كي يصل الى المعرفة الكاملة ولا يبقى أسير تساؤلاته وحيرته فكانت "الفلسفة محاولة الإنسان فهم ذاته فهما عميقاً لا سطحياً .. وتصبوا الى مفتاح يحل اللغز الإنساني"⁽²⁾، هذا التزاوج بين الوعي المعرفي الوليد ومحاولته حل اللغز والولوج الى عوالم جديدة، حتمت عليه المضي نحو اكتشاف ذاته أكثر ومعرفة مديات علاقاته بظواهر الكون، فظهر صراع فلسفي فلسفي بين الرمز كونه مدركاً طبيعياً لكل الموجودات ومنها البشر وحتمية الوصول له وفهمه في ان واحد، هذه الازدواجية لم تكن إلا سيورة لعقدة البشر في خلق المشكلة وحلها فقد "يظهر تاريخ الرمزية بان كل شيء يمكن ان يتخذ أهمية رمزية لمدرجات الطبيعة (كالحجر، النبات، الحيوان، البشر، الجبال، الشمس، القمر)،

(1) بنكراد، سعيد: السيميائيات، النشأة والموضوع، ف: مجلة عالم الفكر، المجلد 35، الكويت، 2007، ص 7.
* الانطولوجيا: تعني هذه الكلمة الامور العامة التي تشمل جميع الموجودات (الواجب، والممكن، والجوهر، والعرض)، ينظر: مغنية، محمد جواد: مذاهب ومصطلحات فلسفية، (قم: دار الكتاب الاسلامي، 2007)، ص 228.

(2) غزول، فريال جبوري: مصدر سابق، ص 14.

الحقيقة ان الكون كله هو رمز كامن، الانسان بميله الى صناعة الرمز يحول المدركات او الأشكال بلا وعي منه الى رموز ويعبر عنها في دينه وفنه البصري⁽¹⁾، ان المشكلة التي حصلت في وعي الانسان ومحيطه المعقد، جعلت الاشتباك قائماً ولا يتوقف بينه وبين المزيد من المعرفة ومن ثم فهمه للعلامات التي تحدد علاقاته الاجتماعية وعناصر إنتاجه وسلوكه ونمط عيشه" والحاصل ان السلوك السيميائي هو نتاج عوالم التجريد والتعميم والرمز، ولا يمكن ان يفهم ويستوعب ويؤول الا باعتباره مسماراً داخل عجلة تجريدية لا تتوقف عن الدوران والحركة⁽²⁾، هذه السيرة المعقدة في السلوك السيميائي (الفطري) قد مهد للإنسان ان يجعل التوازن قائماً بين فهمه الواعي المستجد وبين الحضارة ومتطلباتها، ومن هنا فقد بدا الانسان بالولوج الى عالم سيميائي متشعب ولكنه واضح ومميزته القوة، فالعلامة في الفهم الفلسفي قدرتها على تغيير نفسها باضطراد وبالتالي تغيير معناها الدلالي بشكل لا منتهى "فالقوة تعني تغيير الموقع"⁽³⁾.

وعبر مسارات العلامة او الإشارة تاريخياً فرضت تواجداً من خلال حتمية أهميتها للبشرية فانقلبت "من الشكلية القديمة والايديولوجيات الدينية في العصور الوسطى الى العلم الحديث عبر المنطق واللغويات وكيف خرجت من المفهوم الثابت لإنتاج شكلي للمعنى الواحد- شكل القياس اليوناني أي الاعتراف بوجود ممارسات دالة مختلفة لها أنظمتها الخاصة التي تحكم علاقة نوعية بين الرمز والواقع"⁽⁴⁾، ومن خلال هذه المسيرة حاول رجال هذه الحضارات الوصول بقصد او بدونه من مفهوم العلامة ودلالاتها البسيط الى ترسيخ المفهوم المعاصر لها بكل تعقيداته وإشكالاته.

مفهوم العلامة في الفلسفة الهندية

استطاعت الفلسفة الهندية ان تسيطر على مكونات الفكر والنفس والجسد، وكانت بذلك عقلانية في طرح مفهوم المعنى والثبات منه، فقد صاغت فكراً بعيداً عن التفلسف والجدل السوفسطائي، لذا كان الربط بين اللفظ والمعنى من اهتماماتهم في جعل العلامة انسيابية بينهما بعيدة من التعقيد الصرفي والنحوي في اللغة ومدركاتها في المنطق، بالرغم من وجود جدل مادي حول هذه العلاقة المحورية بين اللفظ والمعنى "فمنهم من رفض فكرة التباين بين اللفظ والمعنى

(1) يونغ كارل، غوستاف: الانسان ورموزه، تر: سمير علي، (بغداد: دائرة الشؤون الثقافية، 1984)، ص 345.

(2) بنكراد، سعيد: السيمياء، النشأة والموضوع، مصدر سابق، ص 9.

(3) بارت، رولان: هسهسة اللغة، ت: منذر عياش، (حلب: مركز الانماء الحضاري، 1999)، ص 246.

(4) رشيد، امينة: السيميوطيقا في الوعي المعرفي المعاصر، في: كتاب مدخل الى السيميوطيقا، مصدر سابق،

قائلاً ان كل شيء يتصور مقترنا بالوحدة الكلامية الدالة عليه... ومنهم من صرح بان العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة قديمة وفطرية او طبيعية... وهم يعتبرون نشأة اللغة على أساس من محاكاة الأصوات الموجودة في الطبيعة، ومنهم من قال بوجود علاقة ضرورية بين اللفظ والمعنى شبيهة بالعلاقة للزومية بين النار والدخان، ومنهم من رأى ان الصلة بين اللفظ والمعنى مجرد علاقة حادثة ولكنه طبقاً لإرادة الهية⁽¹⁾، ووفق هذه التباينات في شكل العلاقة بين اللفظ والمعنى فقد جاءت بعلامات نمطية بعيدة عن التفسير التأويلي وأخذت صيغة ايقونية في الثبات والحركة والفعل، وقد قسم النحاة الهنود العلامة الى أربعة أقسام للدلالة على الأشياء وهي:

1. " قسم يدل على مدلول عام او شامل (رجل)

2. قسم يدل على كيفية (طويل)

3. قسم يدل على حدث (جاء)

4. قسم يدل على ذات (محمد)⁽²⁾.

ان عمر (العلامة) في الفلسفة الهندية الموصول بـ(القرن الخامس والسادس قبل الميلاد) وبالرغم من بساطتها وعلاقتها الفطرية بين اللفظ والمعنى، هي شاملة في عملية التعريف بكل مقاييس الموجودات الحياتية من وصف وحالة وكيفية وذات، وان ابتعاد هذه العلامة عن الحراك الذهني في الربط الرمزي بين اللفظ ومعناه هو صفة ربما كانت موازية للتفكير في الفلسفة الهندية البعيد عن التعقيد.

مدخل الى (العلامة) في الفكر الفلسفي اليوناني

مر الفكر الفلسفي اليوناني في فترة خصوبته عند القرن الخامس ق.م، واسس نظريات في الفن واللغة والسياسة والاقتصاد، متطابقاً مع التنوع الفكري المعقد لمجموعة من الفلاسفة اليونان، فمن فكر الفيثاغورسيين المعقد الى جدل السوفسطائيين الى صرامة (سقراط) ونظريات (افلاطون) في المثل وجمهوريته المثالية وتنظيرات (ارسطو) في الفن والشعر والخطابه، الى ما ورائية الرواقيين وعشرات الفلاسفة والمدارس المتباينة المناهج، فان "العقلانية الاغريقية من افلاطون الى ارسطو وكل من يدور في فلكها قد ابتنت على مبدأ مفاده ان المعرفة هي امساك بالسبب، ان تعريف الله انطلاقاً من هذا الرابط معناه تحديد سبب يقصي كل سبب اخر، فلكي تكون قادراً على منح العالم تعريفاً سببياً يجب بالضرورة ان نستحضر فكره وجود سلسلة وحيدة

(1) عمر، احمد مختار، مصدر سابق، ص 18-19.

(2) المصدر نفسه، ص 19.

الاتجاه⁽¹⁾، كما هو الحال في العصر الحديث وصراع المذاهب فيه، كان الفكر اليوناني يشهد صراعاً بين المادة والفكر أو المادة والصورة المثالية أو بين الواقع والخيال، فقد ترتب عليه اختلاف الرؤيا المنهجية لفكرة الإدراك الحسي للإنسان وصورة الخيال في ذهن المتلقي في الوقت نفسه، أي أتعيش في عالم الوهم والتخيلات أم تبقى في الأرض مدركاً سحرها وشرها فهناك "رسم مشهور لرؤفائيل، نرى فيه افلاطون يشير بالبنان إلى السماء بينما يشير (ارسطو) إلى أدنى إلى الأرض، المغزى هنا واضح: أن الاتجاه الافلاطوني في التفكير هو الابتعاد عن العيني أو الملموس والاقتراب من مجال الصورة أو المثل المجردة بينما يظل "ارسطو" على صلة بوقائع التجربة رافضاً الخوض في منطقة النظر الذي لا يخضع لرقابة"⁽²⁾، وهذا يقود إلى صراع ثان بين المنطق والتشكيك المجرد، أو بين نظريتين كلتاهما ينظر إلى الحياة والأشياء بإبعاد غير متساوية بالرغم من الادعاء الوصول إلى الحقيقة لا غير، ومن هنا فقد بدأ الفلاسفة بإيصال أفكارهم وقناعاتهم من خلال: الحوارات والجدليات والأدلة والبراهين ومن خلال اللغة "والإيمان بالكلمة والشك فيها يكون المشكلة التي رآها التنوير الإغريقي في العلاقة بين الكلمة والشيء وبذلك تغير دور الكلمة، من تقديم الشيء إلى استبداله بها"⁽³⁾.

هذا التقديم والتأخير في دلالة الكلمة من تقديمها للشيء أي استبدالها أو تغير في لفظها أو معناها، تكون الحس الدلالي اليوناني ورأى مفهوم (العلامة) على أنها وضوح للمعنى مضافاً إليه تغييره وقت الاحتياج، هذا التكوين العلاماتي للكلمة وما تنتجه من معنى دلالي صوري في ذاكرة المرسل وتلقيه بفهم ثابت أو متغير، كان حافزه هناك تغيير دلالي في اللفظ يفهمه المتلقي على أساس ازدواجية المعنى له، أم هو خاضع لايقونية ثابتة المحتوى لا لبس فيها "فالنظرية المواضيعية تعد بالاستعمال اللغوي غير الملتبس الذي يمكن بلوغه بالتواضع والممارسة كمصدرين وحيدتين لمعنى الكلمات، بينما ترى النظرية الأخرى أن هناك تواضعاً طبيعياً بين الكلمة والموضوع الذي يصفه مفهوم (الصحة) الناتجة عن التطابق مع الشيء الخارجي"⁽⁴⁾، ومن هنا تبرز أهمية الكلمة في التفكير الدلالي عند اليونان في إشارتها إلى معنى إيقوني ومتغير دلالي، على أساس التفكير المنطقي لرؤية الأشياء من منطلق فلسفي شامل "ف نجد مصطلح

(1) ايكو، امبرتو: التاويل بين السيميائية والتفكيكية، تر: سعيد بنكراد، (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2004)، ص 25-26.

(2) لويس، جون: مدخل إلى الفلسفة، تر: انور عبد الملك، (بيروت: دار الحقيقة، 1987)، ص 34.

(3) غادامير، هانز جورج: الحقيقة والمنهج، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، (طرابلس، ليبيا، دار اوياء، 2007)، ص 530.

(4) غادامير، هانز جورج، مصدر سابق، ص 531.

سيميوطيقيا في اللغة الافلاطونية الى جانب grammatike الذي يعني تعلم القراءة والكتابة، ومندمجاً مع الفلسفة او فن التفكير، ويبدو ان السيميوطيقا اليونانية لم يكن هدفها الا تصنيف علامات الفكر لتوجيهها في منطق فلسفي شامل⁽¹⁾ وهذه إشارة واضحة الى اتساع عمل العلامة باتجاهات عدة وأنماط مختلفة.

-العلامة عند الفيثاغوريين

كان الفكر الفلسفي الإغريقي وما زال ماثراً جدلاً لا ينقطع، لغناه وتشعبه الفكري المعقد، فليس هناك اتجاه محدد لمدرسة، او فكر فلسفي، تتشابه فيه الاتجاهات والأفكار فالجميع ينظر بمغالة لقيمة إنتاجه الفلسفي على الصعيد المادي او الروحي او الرؤية الميتافيزيقية للكون والعلة والسببية، ولعل ابرز هذه التناقضات متمثلة في المدرسة الفيثاغورية، إذ كان هدفهم تكشف الروح والجسد معاً، لان الجسد هو مصدر الشقاء والروح فانه "بعد الموت تهبط النفس الى الجحيم تتطهر بالعذاب ثم تعود الى الارض تتقمص جسماً بشرياً او حيواناً او نباتاً"⁽²⁾، ففكرة التناسخ هذه هي معنى تحريم النفس وانفصالها عن الجسد وبقائها بعد فنائها، وهذا قاد الى تبني لمفهوم العددية في النظرية الفيثاغورية وارتباطه بالقيم المنطقية لمعنى الوجود والتسلسل الزمني والمكاني لمعنى الأشياء في هذا الكون الساخط "فالاعداد كانت ترد في ذهن (فيثاغورس)* على هيئة أشكال، وارجح الظن انه تصور العالم مؤلفاً من ذرات، والاجسام تشكيلات من ذريرات رتبت على اشكال مختلفة"⁽³⁾، فمن جوهر العدد خلق الانسان ومنه يعود منسوخاً من جديد، ومن هذه النظرية الحسابية لكونية العقل ثم الجسد، جاء مفهوم (العلامة ودلالاتها عند الفيثاغوريين)، فالارقام تنتج ارقاما ونتائج مغايرة، ومن ثم فان الدال مع المدلول ينتج نمطاً اخر للمعنى ولا تقف ساكنة عند رقم او نتيجة واحدة او معنى واحد لا يتبدل فان "ما يطرا على معاني الالفاظ من

(1) توسان، برنار، مصدر سابق، ص 37.

(2) كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة اليونانية، (بيروت: دار القلم، ب.ت)، ص 24.

* فيثاغورس: روى بعض المؤرخين ان فيثاغورس (572-497ق.م) من اصل فينيقي، ومن مواليد (صور) الا ان اكثر الروايات تجعل مولده في جزيرة (ساموس) وتثبت انه هجر وطنه حوالي (532ق.م) واستوطن صقلية حيث تخلق حوله طلاب الحكمة يذهبون مذهبه في الامتناع على اكل اللحوم وبعض الحبوب، وعن اتخاذ الالبسة من جلد الحيوان وما الى ذلك مما يعود الى اعتقادهم بالتناسخ)، ينظر: الفاخوري حنا و خليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، (بيروت: مؤسسة بدران، 1966)، ص 29.

(3) رسل، برتراند: تاريخ الفلسفة الغربية، تر: زكي نجيب محمود، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر،

(1978)، ص 68.

تغيرات كثيرا ما يكون كبير الفائدة حدا والتأمل العاطفي والوجداني عند فيثاغورس كان يفهم بمعناه العقلي ويتمثل في المعرفة الرياضية⁽¹⁾، ان المتغير موجود ومرغوب بين اللفظ ومعناه، وعليه فان التعبير الدلالي وارد وان اللفظ لا يعطي معناه الصريح المباشر، وعليه فان الفيثاغورية تؤمن بان الصورة الذهنية قد لا تكون مشتركة بين المرسل والمتلقي او ربما تتطابق ضمن فكرة العدد اللا منتهى.

العلامة عند السوفسطائيين

كان سلاح السوفسطائيين هو الكلمة والجملة وصياغتها في منطق يغلب عليه الشكل الزخرفي بعيدا عن المضمون، ساعين الى التزييق اللفظي، لذا فقد اعطوا مسافة بين اللفظ ومعناه، بعيدا عن التطابق المعنيتي المباشر او المتغير المعقول، فجعلوا تلك المسافة متوارية بين المادة والادراك الذهني او الصوري، غائبة عن تحديد واضح للفظة ومدلولها "ولم يكن ليتم لهم غرضهم بغير النظر في الالفاظ ودلالاتها والقضايا وانواعها والحجج وشروطها والمغالطة واساليبها"⁽²⁾، وفي مثل هذه الحالة كانت (العلامة) تبتعد كثيرا عن ايقونيتها وتقترب من فضاءات التشويش في مدركاتها، وبذلك يقف الاخر في حيرة المعنى، هذه الضبابية في الفكر السوفسطائي، وتغليبهم الشكل على المضمون جعل من مفهوم العلامة عدم رصوخها لمنطق العلاقة التوافقية العقلانية بين الدال والمدلول فقد جاءت مشوشة في صياغتها للمعنى "وكثيرا ما يلجأ السوفسطائيون إلى المفارقات اللفظية وكغيرهم يستخدمون اللغة للايحاء والاقناع، ولكنهم لا يتقيدون كغيرهم بالقيم الموضوعية من خلقية واجتماعية، ولهذا يجب ان نبحث عن المضمون"⁽³⁾، هذه الضبابية في المعنى الدلالي لا ينظر اليه كعلامة تحتاج الى تاويل بقدر ما هو غياب عن حقيقة الثوابت بين (العلامة ودلالاتها) لان العلامة، ترتبط تلقائيا بالرمز او الشفرة، فيعني انها ذات خلفية قائمة على فكر تاويلي مقصود يعطي اكثر من طريق في فهم المعنى ولكنهم جعلوها عكس ذلك في نمط تفكيرهم فان "انطباعي الشخصي قد يكون ان الارض مسطحة ولكن الحقيقة هي انها مستديرة"⁽⁴⁾، هذه المغالطة للعلاقات في فهم المعنى قد جعلوها نقطة ارتكاز ثابت في منظورهم المشوش، بل اكثر من ذلك فقد اتجهوا نحو محاجة غير

(1) المصدر نفسه، ص 66.

(2) كرم، يوسف: مصدر سابق، ص 45.

(3) هلال، محمد غنيمي: النقد الادبي الحديث، (بيروت: دار العودة، 1973)، ص 44.

(4) ستيس، وولتر: تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع،

1984)، ص 103.

عقلانية في ازدواجية الانطباع الدلالي الممزوج بفلسفة لفظية محيرة في "كل من افعال التفكير يجب ان يكون هناك مصطلحان بالضرورة، انني انظر الان الى هذا المكتب وافكر في هذا المكتب، هناك (الانا) التي تفكر، وهناك المكتب المفكر فيه، (انا) فاعل الفكر والمكتب هو موضوع الفكر، بصفة عامه الفاعل هو الذي يفكر والموضوع هو ما يجري التفكير فيه"⁽¹⁾، هذه الازدواجية في المعنى حتمت ازدواجية اخرى في التلقي، وبات الامر لا يعني رمزية الاشياء بقدر ما يكون حيرة الرمز نفسه .

العلامة عند سقراط*

كان سقراط ميالا الى الابتعاد عن المراوغة اللفظية في طروحاته الاخلاقية فقد كان يؤمن بمبدأ الحد بين الحقيقة والاشياء أي ان اللفظ يعطي معناه الواضح الصريح مبتعدا عن فكر السوفسطائيين الخالي من قيم الحقيقة والمعنى وبذلك فان العلامة تعني التطابق الحسي والفكري بين الدال والمدلول في انتاجه الدلالي فكان " يرى ان لكل شيء طبيعة او ماهية هي حقيقته يكشفها العقل وراء الاعراض المحسوسة ويعبر عنها بالحد، وان غاية العلم ادراك الماهيات"⁽²⁾، ومن ذلك فان (سقراط)، لا يخرج عن التكوين المادي للعلامة ضمن ايقونيتها حتى في ادراكها الحسي والمادي او في صورتها المتخيلة "عندما نكون واعين مباشرة بوجود أي شيء جزئي، انسان، شجرة او بيتا او نجما، فان هذا الوعي يسمى ادراكا حسيا، وعندما نغلق اعيننا فاننا نكون صورة ذهنية لمثل هذا الشيء، هذا الوعي يسمى صورة خيالية او تمثيلا"⁽³⁾ ، وفي كلتا الحالتين فان العلامة عند سقراط ثبوتية تتبع من الحقيقة وتبتعد عن فكرة النوع الثاني منها أي بمعنى ان التأويل هو مرادف للخداع، ومن ثم فان فلسفته صادقة وهو يدرك ان الاتجاه لا يمكن ان يتفرع الى وجهات عدة، ويعطينا (سقراط) اكبر ثبوتية للعلامة عندما يرفض الصيغ الازدواجية وعلاقتها بالحقيقة بقوله: "لا استطيع ان أدرج صفة البياض في فكرتي العامة عن الجياد، وذلك لأنه بالرغم من إن بعض الجياد بيضاء فان بعضها الآخر ليست بيضاء لكنني استطيع ان أدرج صفة الفقاريه لان جميع الجياد تشترك في كونها حيوانات فخرية"⁽⁴⁾، ومن هذا المنطلق حدد

(1) المصدر نفسه، ص 103.

* سقراط: فيلسوف يوناني، ولد في اثينا نحو سنة (469ق.م) ونحن لا نكاد نعرف عن حياته شيئا لولا بعض ما رواه خصومه والمعجبون به، وقد اشتهر بنزاهته ورسوخ عقيدته، كما اشتهر بتجرعه السم في سبيل تلك العقيدة. ينظر: الفاخوري، حنا وخليل الجر، مصدر سابق، ص 37.

(2) كرم، يوسف، مصدر سابق، ص 52.

(3) ستيس، وولتر، مصدر سابق، ص 124.

(4) ستيس، وولتر، مصدر سابق، ص 124.

(سقراط) منطقه في سكونية العلامة ضمن فهمها الايقوني الثابت ووحده اللفظ وصياغة المعنى ومن ثم فان الدلالة تعنى ذلك المعنى لا غير .

العلامة عند افلاطون*

إن أهم الخصائص التي رافقت الفلسفة اليونانية، هي التفريق بين العقل والمادة أي بين الإدراك الذهني والأشياء، هذه التفرقة كانت تعني استقلالية التفكير العقلاني عن الارتباط القسري بالمادة أو الصورة المدركة التي أمام العين، على أن هذه التفرقة لا تعني السكونية في التفكير والحراك الذهني للوصول الى معنى الأشياء، لان الفكر الفلسفي اليوناني كان قائماً على السببية وتعليقاتها و(افلاطون) كان ميالاً الى المحاورات والجدليات لإثبات فلسفته والإقناع بها فقد كانت "الطريقة التي اتبعها افلاطون في دراساته، هي طريقة الحوار والنقاش الجدلي والمثل الخرافي، والحوار كما لا يخفى طريقة الحركة والحياة، والنقاش الجدلي الذي يعالج الأمور طرداً و عكساً، طريقة الوضوح والإيضاح، والمثل الخرافي تعبير شعري عن الحقائق المجردة يقرب المعاني الى الأذهان"⁽¹⁾.

ان(افلاطون) يرفض التناقض بين الفكرة والمادة أو بين الإدراك الذهني وتصوره المادي على اساس تناقضات حسية مشوشة، فهو يؤمن بطبيعة العلاقة بين هذه المكونات على اساس ان الكلمة هي مفتاح المعنى والعلاقة بينهما قائمة على اساس حميمي متفاعل، ومن هنا فان العلامة عند (افلاطون) هي علاقة طبيعية بين الدال والمدلول أي بين اللفظ ومعناه، وربما كانت أقدم مناقشة لوظيفة العلامة اللغوية ومعناها، هي التي أوردها افلاطون في حواريته (كراتيلوس)، حيث يبرز الصلة أو الرابطة بين صوت اللفظ ومعناه باعتباره نتيجة عوامل الطبيعة في مقابل عوامل العرف"⁽²⁾، لذا فان الظاهرة الافلاطونية تقترب من ايقونية التماثل الصوتي اللغوي للكلمة باتجاه معناه الواضح، أي ان كل لفظ أو صوت يرمز الى معنى وينشأ ما يسمى بالمناسبة الطبيعية بين الأصوات ودلالاتها، وافلاطون "باصراره على وجود العلاقة الحميمة بين الكلمة وما تدل عليه، فقد كان مأخوذاً بسحر الكلمة مغتبطاً بشفافيتها انطلاقاً من اعتقاده ان

* افلاطون: فيلسوف يوناني ، ولد في اثينا(427-347ق.م) وكان من اسرة اثينية عريقة في المجد، وكان ابوه يدعى ارستون، وامه تدعى فريقتيون... ومن المحتمل ان يكون افلاطون قد اشترك في اخريات حرب البليونيز (بين اثينا وسبارطة) ينظر: بدوي، عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، ج 1، (قم، منشورات ذوي القربى، 1427هـ)، ص 154.

(1) فاخوري، حنا و خليل الجر، مصدر سابق، ص 40-41.

(2) عناني، محمد: المصطلحات الادبية الحديثة، (بيروت، مكتبة لبنان، 1996)، ص 208.

اللغة ظاهرة طبيعية⁽¹⁾، وبالرغم من أن الكثيرين شككوا بطروحات (افلاطون) واستمراريتها بها، ربما سبب تطور معالم اللغة وتشابك الألفاظ أو تطور ذهنه المعرفي "وكان اتجاه افلاطون نحو العلاقة الطبيعية الذاتية مدعيا ان تلك الصلة الطبيعية كانت واضحة سهلة التفسير في بدء نشأتها ثم تطورت الألفاظ ولم يعد من اليسير ان نتبين بوضوح تلك الصلة أو نجد لها تعليلا وتفسيرا"⁽²⁾، ولا يوحي هذا التشكيك بقدر من الاهمية لان (افلاطون) في كل أطروحاته لاسيما في نظرية (المثل) و (الكهف) واستمرارية خضوعهما الى الربط بين الإدراك الذهني والحسي أو عملية التصور الذهني لا على أساس المعنى فحسب، بل وصف هذا المعنى "لان كلمة (موجود) لا يكون لها معنى إلا إذا نسبت الى وصف لا الى اسم وبهذا نتخلص من الوجود على اعتبار ان شيء من الأشياء التي يدركها العقل في الموضوعات التي يتعلق بها إدراكه"⁽³⁾، وعليه فان الخلاصة تتجه الى مفهوم العلامة ودلالاتها الطبيعية بين اللفظ ومعناه أي بين الدال والمدلول لإنتاج معنى ذاتي طبيعي.

العلامة عند (أرسطو)*

الملاحظ في فلسفة اللغة عند أرسطو، هو ارتباط المعنى بالمرجعية النفسية، لصاحب المعنى، ومن ثم فان الكلمة توازي الحالة المنطقية في أحوالها وعلتها، لذا: "ينبغي ان نضع أولا ما الاسم وما الكلمة، ثم نضع بعد ذلك ما الايجاب و ما السلب وما الحكم وما القول، فنقول ان ما يخرج بالصوت (دال) على الاثار التي في النفس وما يكتب دال على ما يخرج بالصوت"⁽⁴⁾، فإرسطو غير (افلاطون) في مفهوم العلاقة بين اللفظ ومعناه ف(افلاطون) يعتقد بالعلاقة الطبيعية بين الكلمة وما تدل عليه أي ارتباط الصورة الصوتية بصورة خارجية قادرة على فرز المعنى الدلالي من دون عناء، اما (ارسطو) فان العلاقة لديه باتت عرفية بين اللفظ ومعناه، ورفض فكره

(1) مجاهد، عبد الكريم: العلاقة بين الصوت والمدلول، في: كتاب دراسات في اللغة، (بغداد: دائرة الشؤون الثقافية العامة، 1986)، ص 63.

(2) عمر، احمد مختار، مصدر سابق، ص 18.

(3) رسل، برتراند، مصدر سابق، ص 239.

* ارسطو: ولد ارسطو في اسطاغيرا (384-322 ق.م) وكان ابوه (نيقوماحوس) من جماعة الاستقلابيين، وهي نقابة الاطباء في بلاد اليونان... ومؤلفات ارسطو، تربو عن 82 عنوان منها تتالف 550 مقالة في المنطق والطبيعة والاخلاق والميتافيزيقية والشعرية . ينظر: بدوي، عبد الرحمن: مصدر سابق، ص 98-99.

(4) ارسطو طاليس: العبارة، شرح الفارابي لكتاب ارسطو في (العبارة)، تحقيق ولهم كوتش اليسوعي وستانلي مارو اليسوعي، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1960)، ص 24.

الطبيعة بينهما فهو "يتزعم فريقا آخر يرى ان الصلة بين اللفظ والدلالة لا تعدو ان تكون صلة اصطلاحية عرفية تواضع عليها الناس"⁽¹⁾، ويشرح (ارسطو) ذلك بعدم تساوي المدلولات المنتجة من اللفظ بسياق واحد ومن ثم فان المعنى متغير عرفيا من خلال احالته من سياقه اللفظي فكما "ان الكتاب ليس واحداً بعينه للجميع لذلك ليس ما يخرج بالصوت واحداً بعينه لهم"⁽²⁾، ويؤكد (ارسطو) هذه الحقيقة بجملة بسيطة في كتابه (العبرة) بقوله "وليس كل قوم بجازم"⁽³⁾، وينفرد (ارسطو) في موضوع العلامة ودلالاتها عن كل الفلاسفة بربط الحالة بالقيمة الدلالية المنتجة، أي وجود فرض الحالة المعنوية في اللفظ ومن ثم المعنى العام أي حالة العلامة الى مسببات تكوينها قبل احالتها الى معناها الدلالي الاخير وهكذا "يختلف تعريف الجدلي وعالم الطبيعة لاحوال النفس كالغضب مثلاً، فالجدلي يعرفها بانها الرغبة في الاعتداء وعند عالم الطبيعة، هي غليان الدم المحيط بالقلب فاحدهما ينظر الى (الهيولي)* والثاني الى الصورة او المعنى لان المعنى هو صورة الشيء الا ان هذا المعنى اذا اردنا وجوده فيجب ان يتحقق في هيولي معينة"⁽⁴⁾، وهذا اشبه بالعلامة الاشارية عند (بيرس) الذي يحدد بين العلامة ورمزها (دخان يعني ناراً) او تقترب من الرمزية في العلاقة العرفية بين الدال والمدلول (الطير الابيض يعني حمامه السلام)، ولقد احال (ارسطو) دلالة علامته الاشارية او الرمزية الى اختلاف تسلم المعنى من اللفظ في الاولى وفي الثانية الطبيعة الايحائية لمعنى الكلمة وصياغتها ونمطيتها واسلوبها فلو "قلنا ان من العلامة ان انسانا ما مريض لانه مصاب بحمى او ان امرأة ولدت لانها ذات لبن فتلك علاقة ضرورية"⁽⁵⁾، واذا كان (ارسطو) قد اشار بوضوح الى اشارية وعرفية العلاقة بين الدال والمدلول أي بين اللفظ ومعناه، فانه لم ينس ولو بالاشارة الى ايقونية العلامة كمفهوم ملازم سنته طبيعة اللسان واللفظ والغاية الفطرية في الانسان، فارسطو يمزج بين المادة والصورة على اعتبار ان الاثنين يكونان بالفطرة والطبيعة معنى العلامة ودلالاتها، ويركز (ارسطو) على المزوجة بين الحالة ومسبباتها ثم احالتها الى وجودها الدلالي المنطقي و"الدليل على ذلك ان اللسان لا يدرك الطعم اذ كان شديد اليبوسة، او شديد الرطوبة ومن هذه الحالة الاخيرة يحدث

(1) عمر، احمد مختار: مصدر سابق، ص 18.

(2) ارسطو طاليس: العبرة، شرح الفارابي لكتاب ارسطو في العبرة، مصدر سابق، ص 25.

(3) المصدر نفسه، ص 51.

* الهيولي: وهي مرادفة للمادة والجسم، القابل للصورة الجسمية والنوعية (أي تمام حقيقة الشيء وماهيته) ينظر:

مغنية، محمد جواد: مصدر سابق، ص 270.

(4) ارسطو طاليس: كتاب النفس، تر: احمد فؤاد الاهواني، (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، 1949)، ص 7.

(5) ارسطو طاليس: الخطابة، ت: عبد الرحمن بدوي، (بغداد، دار الرشيد للنشر، 1980)، ص 34.

التماس من الرطوبة الاولى⁽¹⁾، وبذلك يكون ارسطو مهيمنا في فكرة العلامي ودلالاتها في عصره اليوناني المعقد.

العلامة عند الرواقيين*

جمعت الفلسفة الرواقية مختلف اتجاهات المعرفة واعقدها تصورا وتركيزها على الفضيلة ومنطق الاخلاق، واحالته الى الفهم الفلسفي فان "للمذهب اراء منطقية وما وراثية، ولكن الاخلاق هدفه الاسمي وليس للموضوعات الاخرى من قيمة الا بقدر ما تتعلق باخلاق"⁽²⁾، لقد برع الرواقيون في اكتشاف السبل للوصول لغايتهم عبر جملة من التنظيرات، من ابرزها (الكلمة) واللغة بشكل عام و (العلامة ودلالاتها) بشكل خاص، فقد "ادرج الرواقيون المنطق داخل (اسم اللغة- علم الكلام) وأشاروا الى ان الكلمات والجمال هي الامارات"⁽³⁾، هذا التركيز الطبيعي على اللغة والعلامة حفزهم على انشاء منظومة علامانية خاصة بهم "الا ان فكرة انشاء مذهب خاص بالعلامات تتشكل مع الرواقيين. واستعمل (جالينس)* عبارة [سيميوطيكي] ومنذ ذلك الحين كلما تطرق باحث في تاريخ الفكر الغربي الى فكرة علم سيميائي... إلا وعرفه على انه (نظرية العلامات)"⁽⁴⁾، وهذا ما دفعهم الى تقسيم (العلامة) الى نمط ثلاثي الترتيب هو (المشار اليه- التصور الذهني- اللفظ)، وعلى هذا فانهم سبقوا (بيرس) في ثلاثيته المعروفة، ومهدوا الطريق الى المحدثين في صياغة نظريات مستقلة في التنظير السيميائي وقد كان (للكلمة) في تقسيمهم الثلاثي المعبر الدلالي للمعنى وإيصاله وتواصله من خلال احتوائها مضمون الفكرة الدالة على ذلك المعنى، ولكن هذه الكلمة ليس بالضرورة تحاكي معنى مباشرا او متقفا عليه او طبيعيا سواء كان في الإرسال او الاستقبال بل قد يظهر تأويلها يصل الى حد الرمز او التشفير كما عند (بيرس) فهم "عندما يتحدثون عن العلامة، يبدو انهم يشيرون الى شيء واضح بصفة مباشرة

(1) ارسطو طاليس، كتاب النفس، مصدر سابق، ص 80.

* الرواقية: مدرسة فلسفية تنسب الى الفيلسوف اليوناني زينون (حوالي 490-430 ق.م) وكان يعلم تلاميذه في رواق وهو سقف في مقدم البيت، ومن تعاليم الرواقية، ان الحكيم لا يحزن على مافات، ولا يفرح بما هو ات، وان السعادة هي الفضيلة. ينظر: مغنية، محمد جواد، مصدر سابق، ص 244.

(2) الفاخوري حنا و خليل الجر: مصدر سابق، ص 66.

(3) يوسف، احمد، السيميائيات الواصفة، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2005)، ص 28.

** كاوديوس جالينس: طبيب وفيلسوف يوناني حوالي (131-201م)، عرف باعماله في التشريح التي ترجمت الى العربية والى اللاتينية. ينظر: ايكو، امبرتو: السيميائية وفلسفة اللغة، تر: احمد الصمعي، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005)، ص 43-44.

(4) ايكو، امبرتو: السيميائية وفلسفة اللغة، مصدر سابق، ص 43-44.

يؤدي الى استنتاج وجود شيء غير واضح مباشرة⁽¹⁾. وحدد الرواقيون المعاني وفق مسبباتها الجدلية، ومن ثم فقد كانت العلامة نتيجة منطقية بوجود حالة منطقية بجانبها حيث "النور مشرق النهار طالع"⁽²⁾ وأطلق الرواقيون على هذه العلامة (الشرطية) وثمة علامة تقترب جدا من ايقونية العلاقة بين اللفظ والمعنى على أساس علاقة التزامية بين الدال والمدلول اذ "يرى الرواقيون ان بين العلامة وبين الشيء الذي ومن وظيفتها ان تدل عليه علاقة التزام، فالدلالة بطبيعتها تكشف عن المدلول عليه"⁽³⁾، وبهذا فقد غطى الرواقيون مجمل عمل العلامة، من دون تواجد نظرية مبوبة واضحة كما فعل (سوسيرا و بيرس).

الدلالة مقابل العلامة في الفكر الفلسفي عند العرب:

درج الفلاسفة العرب القدماء والذين تناولوا مفهوم اللفظ ومعناه على استخدام مصطلح (الدلالة) بدل (العلامة) وبنفس المعنى والسياق "لان المصطلح الاول (الدلالة) ينتشر في مصنفات عربية قديمة تتصل بمجالات تقترب كثيرا من ماهية هذا العلم (العلامات) او (السيمولوجيا) في صورته المعاصرة"⁽⁴⁾، والسبب في عدم معرفتهم او استخدامهم (للعلامة) في مفهوم المعنى ولفظه بسبب اقتصار عملها على التسويم العلاماتي (الموقعي) على جلد الماعز او الجمال أو الحيوانات الاخرى ، إذ ... كانت تشير كلمة (السمة) الى نوع من الاشارات المتصل برسم علامة على جلد الحيوان بواسطة (الكي)، ومن هنا فقد تعاملوا مع (الدلالة) على انها علامة في ارتباط الدال مع المدلول او علاقة اللفظ بالمعنى إذ يقابل مفهوم العلامة في شكله السيميائي مفهوم الدلالة عند العرب بارتباطه بالفكر الديني وتسخيره بدلالة على التوحد بوجود الله، ومن هنا فقد كانت مفهوم الدلالة اشم على وجود المعنى وصياغته وعمله من مفهوم العلامة عندهم، ومع توافق وتقارب المصطلحين فغالبا ما ترتبط الدلالة بالعلامة، فنقول (دلالة العلامة) وليس العكس لان النتيجة النهائية هو إظهار المعنى في كلتا الحالتين، لذا فقد اهتم الفلاسفة العرب بموضوع (الدلالة) لا كعلم مستقل او نظرية متفردة، بل كاتجاه يوحي بالمعنى وما ينشأ عنه وتبنوه ضمن تقسيمات توحى بمصدره وما يرمي إليه من دون وجود سيرورة معقدة لإنشائه كما يحدث في ظهور العلامة وتطورها في وقتنا الحاضر، لذا فهم انشؤوا

(1) المصدر نفسه، ص 79.

(2) برهيه، اميل: تاريخ الفلسفة (ج2)، تر: جورج طرابيشي، (بيروت: دار الطليعة، 1982)، ص 58.

(3) امين، عثمان: الفلسفة الرواقية، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1971)، ص 140.

(4) عقاق، قادة: ملامح الدرس السيميائي في الموروث العربي الفكري واللغوي، في: كتاب محاضرات الملتقى

الوطني الاول (السيمياء والنص الادبي)، مصدر سابق، ص 111.

آليات محددة على مدى تحرك الدال مع المدلول لإنتاج المعنى إذ "شاع عند اللغويين والأصوليين والفلاسفة وفقهاء العرب ان الأشياء متعددة الوجود فهي موجودة في الأعيان وموجودة في الأذهان وموجودة في اللسان، فالأول دال على المرجع وهو هنا ما يحدد الوجود الموضوعي للشيء والثاني (المدلول) أي المفاهيم، أما الوجود الثالث فيحيل الى الدال وهو أداتنا الأولى في التعرف على العالم الموجود خارج الذات المدركة"⁽¹⁾ ان التطابق بين الدال والمدلول او عدمه لإثبات معنى ساكن أو متغير والحاقة بالزمن الموضوعي المرتبط بفكر الدلالة ذاتها جعل منها ذات فعل ديناميكي، لاسيما عند (ابن جنى) ، في كتابه الخصائص او عند (عبد القاهر الجرجاني)، في كتابه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز فلقد "ميزوا اولاً التأكيد الذي يتطلب ان يحكم عليه تبعاً لملائمته مع الواقع، كما ميزوا النظام الذي يهدف الى تحويل الواقع، ثم ميزوا التقرير مثل "انت طالق" مكررة ثلاث مرات او (بعثك هذا الشيء الذي تقال في عقد صفقة) الذي ينتج بنفسه حالة الاشياء التي يصفها، ثم جمعوا الأخيرين غير القابلين للصواب والخطأ وعارضوهما مع الاول"⁽²⁾، ان الجانب التقريري هنا لا يعني ثبات الدلالة عند حدود الكلمة ومقرراتها بل يتعدى ذلك جوانب أخرى في التعبير الدلالي الواسع.

الدلالة عند (بن جنى) * 320-392هـ

يفرق (بن جنى) بين الكلام والقول ومدى ارتباط الكلمة واستقلاليتها بشكل واضح في معناها الواسع وما ترمز إليه، لأنها مفردة مستقلة لها كينونتها في التعبير وصياغته اما القول فيرتبط بمفهوم الجملة تمامها او نقصانها وفي إتمام التعبير من عدمه في صياغة محتوى فكرة ما او غاية ما "فكل كلام قول وليس كل قول كلاماً"⁽³⁾.

(1) بنكراد، سعيد: السيميائيات، النشأة والموضوع، مصدر سابق، ص 15.

(2) ديكرو، اوزوالد وجان ماري سثايفر، مصدر سابق، ص 105.

* بن جنى: هو عثمان بن جنى، ولا يعرف من نسبة من وراء هذا، وذلك انه غير عربي وكان ابوه جنى رومياً يونانياً، ولد ابن جنى في الموصل، ويقول ابن قاضي شبيهه في طبقات النحاة: انه توفي وهو في سن السبعين، أي إن وفاته كانت في سنة 392 فان ولادته تكون في سنة 320 او 321 او 322 هـ نشأ ابن جنى بالموصل وتلقى التعليم فيها وقد اخذ النحو عن احمد بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بالاخفش. ينظر: بن جنى، أبي فتح عثمان، مقدمة كتاب الخصائص، ج1، (بغداد، دار الشؤون الثقافية، 1990)، ص 7، ص 11-12.

(3) المصدر نفسه، ص 18.

ويركز (بن جني) على القول أو الكلمة أو المعنى من دون صوت أو لفظ إلا بالإشارة الحسية بقوله: "وقالت له العينان سمعا وطاعة، فانه وإن لم يكن منهما صوت"⁽¹⁾، انه معنى الدلالة الحسية مصدرها أو تنفيذها، الإيماءة أو الإشارة أو الصوت المعبر يحس معه الانسان بحاجة صاحبه الى مبتغاة دون نطق بصوت أو كلمة.

يصنف (بن جني) مرجعية الدلالة الى الظاهر التأويلي لاسيما عندما يذكر (الباطن الظاهر) أي قدرة الدلالة على تأويل مفهوم المعنى نحو تورية اساسها في العلم (اللغة السرية) في كشف أو إخفاء شيء آخر غير ما يقوله الإنسان، وهذا يقترب كثيرا من التفسير النفسي في تأويل الكلام المنطوق ومقارنته بالتعبير في الوجه أو الشفة أو طبيعة النطق، وما يدور وراءه من اسرار ومعنى مغاير إذ يؤشر على قدرة المعنى لبيان حقيقة الدلالة على اختلاف مصادرهما اللفظية وإرجاع مدلولاتها الى معنى صاحبها دون اختلاط، ويشير (بن جني) الى مفهوم (الظاهرة الصوتية) للمعنى الدلالي في التقطيع والاستمرار الصوتي للظواهر الطبيعية أو الصناعية وارتباطها نحو استكشاف علاقاتها بالزمن وأهميته في صياغة المعنى في نهاية الأمر، قال الخليل: "كأنهم توهّموا في صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا: صر وتوهّموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا صرصر"⁽²⁾، أي ان استمرارية الصوت أطلق عليه (صر) أما المنقطع فكان (صر...صر) أي ارتباط الدلالة (العلامة) بالزمن والظاهرة الطبيعية للسياق اللفظي لمصدره، و(بن جني) يشدد في ان إنتاج الدلالة ومعناها مرتبطان بالقيمة المصدرية لها أي ان قوة الدال والمدلول يعني قوة الدلالة، أي ان بتور الدال والمدلول او إحداهما يعني ضمور المعنى الدلالي "فاذا كانت الألفاظ أدلة المعاني ثم زيد فيها شي أوجبت القسمة له زيادة المعنى به"⁽³⁾، ويقسم (بن جني) الدلالة (العلامة) الى ثلاثة أقسام هي الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية ويشرح (بن جني) معنى هذه الدلالات حين يربط الدلالة اللفظية على معناها والدلالة الصناعية على الزمان، والدلالة المعنوية على فاعلها، فالدلالة اللفظية مرتبطة ارتباطا عضويا بين الدال والمدلول على قيمة المعنى الصوتي للفظ، أما الدلالة الصناعية فهي مرتبطة بالزمن الصوري للحدث الفعلي لمصدر الفعل، اما الدلالة المعنوية فهي قد تنحو باتجاه التأويل وذلك لارتباطها بفاعلها أي محركها الأساس، ومن ثم متلقيها بتساؤل وحيرة من يسمعها "الأ تراك حين تسمع ضرب قد عرفت حدثه وزمانه، ثم تنظر فيما بعد فنقول هذا فعل ولا بد له من فاعل فليت شعري من هو؟

(1) المصدر نفسه، ص 25.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص 154.

(3) بن جني، ابي الفتح، مصدر سابق، ج3، ص 271.

ما هو؟ فتبحث حينئذ أي ان تعلم الفاعل من هو وما حاله⁽¹⁾، وهكذا فان (بن جني) قد تخطى معنى (الدلالة) بمرجعيتها وارتباط الدال مع المدلول لتأتي في النهاية بمعنى واضح مرتبط بفاعل وزمن ولفظ.

الدلالة عند عبد القاهر الجرجاني ت 474هـ

يقدم (عبد القاهر الجرجاني) كشوفاته في صياغة الدلالة (العلامة) ومعناها في أهم كتابين له (أسرار البلاغة) و (دلائل الإعجاز)، إذ يطلق في هذا الأخير معنى المزاوجة في الوظيفة الدلالية واستعمالاتها في تقسيم الدلالة واتجاهاتها، كما يؤكد على العلاقة الحميمة بين اللفظ والصوت أو الكلمة في تناسقية غايتها إدراك المعنى على أتم وجه، ليس بالمعنى التقريري أو التطابقي أو الطبيعي، بل بمعنى ما يرتضيه العقل من تأويل اختياري لهذا اللفظ أو لغيره فليس "الغرض بنظم الكلم، ان توالى ألفاظها في النطق، بل ان تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"⁽²⁾.

أي ان العقل بما يعادل اللفظ قيمة المعنى وليس التطابق الصوري بين الدال والمدلول فحسب، فالإشارات كثيرة على أنواع وأنماط الدلالات في تقسيم (الجرجاني) لها وعدم اقتصارها على ايقونيتها عندما يقول: "... او ان تحتاج بعد ترتيب المعاني الى فكر يستأنفه لان تجيء بالألفاظ على نسقها، فباطل من الظن ووهم يتخيل الى من لا يوفي النظر حقه، وكيف تكون مفكرا في نظم الألفاظ، وانت لا تعقل لها أوصافا وأحوالا اذا عرفت ان حقها ان تنظم على وجه كذا"⁽³⁾، ويؤكد مرة ثانية على صياغة المعنى أو صناعته كما يريد صاحبها ومتلقيه، اذا كانوا لا يبعون قصدية التطابق بين اللفظ ومعناه حيث يتحدد المعنى من خلال التصوير الذي تحدثه نبرة انطلاق الكلمة وصياغتها أو التعبير عن ذلك المعنى من فهم الامر وما يؤوله لمنطق الاول ومبتغاه.

وكما يريد المرء الكلمة يريد المعنى وهذا هو بعينه دلالة تقترب من مفهوم العلامة الرمزية والتي لا تخضع للتوافق الطبيعي بين الدال والمدلول، ويقسم (الجرجاني) الكلام الى نوعين متصلين بمعنى الدلالي اللفظي فيقول: "الكلام ضربان ضرب انت تصل فيه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده فقلت خرج زيد، عمرو منطلق، وضرب اخر انت لا تصل منه الغرض بدلالة اللفظ

(1) المصدر نفسه، ص 100.

(2) الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، (القاهرة، مكتبة الخانجي، 1989)، ص 49-50.

(3) الجرجاني، عبد القاهر: مصدر سابق، ص 52-53.

وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم نجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها الى الغرض ومدار هذا الأمر على "الكناية او الاستعارة والتمثيل اذا قلت: طويل النجاد او قلت في المرأة "نؤوم الضحى"⁽¹⁾، وهذا النوع الثاني هو بعينه قريب من العلامة الاشارية عند (بيرس) فطويل النجاد يعني طويل القامة، شجاع وقوي، وامرأة نؤوم أي مدللة وهو متصل بفعل الكناية في العربية، او عندما تقول رأيت أسدا، هو تشبيه الى الشجاعة في الرجل. ويضيف (الرجاني) مرة ثانية على رمزية الدلالة واللفظ القائم على استقلالية المعنى ومرجعياته القائمة على اختيار المحتوى التصرفي الحر فليس بالضرورة "ان المعنى في هذا هو المعنى في ذلك بعينه، وان سبيلهما سبيل اللفظين يوضعان لمعنى واحد وفرق بين ان يكون في الشيء معنى الشيء وبين ان يكون الشيء الشيء على الإطلاق"⁽²⁾ أي ليس بالضرورة ان يكون اللفظ يعني نفس الشيء المشار اليه بل ربما يعني شيئا غير الشيء وهكذا.

الدلالة (العلامة) عند الرازي * 544-606هـ

لقد تأثر فخر الدين الرازي بأطروحات (عبد القاهر الجرجاني) لامتلاك هذا الأخير دراية كبيرة في مفهوم (الدلالة) واشتقاقاتها وتقسيماتها على حسب علاقة الدال مع المدلول او اللفظ ومعناه، فقد "اثر عبد القاهر في اتجاه الرازي البلاغي اثرا واضحا، دعاه لسبر غور كتابيه واستخلاص زبدتهما في كتاب واحد سماه نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"⁽³⁾، حيث يقسم الرازي الدلالة الى (وضعية وعقلية) "فالوضعية كدلالات الالفاظ على المعاني التي هي موضوعة

(1) المصدر نفسه، ص 262.

(2) المصدر نفسه، ص 329.

* الرازي: هو "محمد بن عمر، بن الحسين بن علي الملقب فخر الدين، الرازي المولد، القرشي التميمي البكري النسب، الطبرستاني النسب، واما لقبه (الرازي) فهو نسبة الى مدينة (الري) وهي نسبة على خلاف القياس، وقد حققوا الزاي في النسبة تجاوزا، ولد الامام فخر الدين (بالري) في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة اربع واربعين وخمسمائة بالري، تلقى الرازي رعاية النشأة على والده (ضياء الدين عمر) وكان احد ائمة الاسلام مقدما في علم الكلام، توفي الرازي سنة 606هـ في مدينة (هراة) ينظر : هلال، ماهر مهدي، فخر الدين الرازي بلاغيا، (بغداد: دار الحرية، 1977)، ص 37-39-40-41-56.

(3) المصدر نفسه، ص 29-30.

بازائها كدلالة الحجر والجدار والسماء والأرض على مسمياتها، واما العقلية فاما على ما يكون داخلا في مفهوم اللفظ كدلالة لفظ البيت على السقف الذي هو جزء مفهوم البيت⁽¹⁾.

وجعل الرازي دلالاته الثابتة (العقلية) بمثابة تقريرية متوازنة (سقف يعني وجود بيت) وهي بمثابة (دخان يعني وجود نار) كما في العلامة الاشارية عند (بيرس) ويركز (الرازي) على اهمية الكلمة في اعطاء المعاني، فيقسمها الى قسمين "افادة لفظية، وافادة معنوية فاما الافادة اللفظية فيستحيل تطرق الكمال والنقصان اليها، فان سامع اللفظ اما يكون عالما بكونه موضوعا لمسماه او لا يكون، واما المعنوية فان اللفظ الى ما يلزمه من اللوازم⁽²⁾.

يرى الباحث ان ادراك (الرازي) للعلاقة الحميمية بين الدلالة ومعناها يعطي احتمالات نشوء معانٍ متعددة في الذهن قبل ان يدرك المعنى المراد او المبتغى وبذلك يغطي (الرازي) معظم اتجاهات الدلالة التي هي بصفة علامة من ايقونية الى اشارية الى رمزية او تأويلية مشفرة ضمن حدود معقولة.

الدلالة عند علي بن محمد الشريف الجرجاني * 740-816هـ

أعطى (الشريف الجرجاني) الدلالة (العلامة) شمولية بوصفها الحديث ايقونية واشارية ورمزية وربما تأويلية تصل الى التشفير، والذي اهتم باللفظ ومعناه وتحليله العلاقات المتشابهة بين اللفظ ومادته الصوتية، وعلاقته بالصورة الذهنية، وجعل الفرز بين الصورة النهائية والمعنى المطابق لدلالة اللفظ محكوم الصياغة في مجمل تعاريفه في كتابة (التعريفات) وقد قسم (الدلالة) الى ثلاثية بالمعنى العلائقي بين الدال والمدلول فجعلها (دلالة عبارة) و (دلالة اشارة) و (دلالة اقتضائية) وكذلك جعل (الدلالة اللفظية الوضعية) بثلاثة اقسام ايضا وهي (المطابقة والتضمين والالتزام) ويعرف (الجرجاني) الدلالة بقوله "هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء اخر، والشيء الاول هو الدال، والثاني هو المدلول وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح

(1) الرازي، فخر الدين: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، (عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع، 1985)، ص 39.

(2) المصدر نفسه، ص 40-41.

* الشريف الجرجاني: هو علي بن محمد الحسيني الشريف الجرجاني، متكلم بارز ومتصوف مشهور ولد في (جرجان) سنة 740هـ-1340م وتوفي في شيراز سنة 816هـ/1413م درس العلوم العقلية على قطب الدين الرازي (ت 776هـ/1365م) وافاد من مباحث العلامة الحلي (ت 732هـ/1325م) وكان الى جانب المامه بالعلوم النقلية من لغة وحديث وفقه ضالعا في المنطق. ينظر: الشريف الجرجاني، علي بن محمد: مقدمة كتاب التعريفات، بيروت، مكتبة لبنان، 1978، ص 3.

علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص ودلالة النص واقتضاء النص⁽¹⁾، ان التمعن في هذا التعريف يجده قريبا من تعريف (العلامة) عند السيميائيين في الوقت الحاضر بإشارة شيء الى شيء آخر، وكذلك نصل الى غايات كامنة داخله، فهو عندما يقول كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر وبحكم الإحالة على علم آخر فهو دلالة أشارية، وب نفس الاتجاه فان هذه الاحالة تعطينا معنى آخر وسيرورة أخرى وكأنه يتبنى العلامة الرمزية او قريبا منها وقد نصل الى التاويل وعلاقته بالشفرة من هنا وهناك، ويقول (الشريف الجرجاني) عن الدلالة (العبارية) يعني تطابق بين اللفظ، ومعناه "الحكم المستفاد من النظم اما ان يكون ثابتا بنفس النظم او لا والأول ان كان النظم مسوقا له فهو العبارة وإلا فالإشارة"⁽²⁾، وما عدا ذلك فاننا نتجه نحو الدلالة الاشارية ومن ثم الدلالة الاقتضائية، ويعرف (الشريف الجرجاني) الدلالة اللفظية الوضعية التي هي "كون اللفظ بحيث متى أطلق او تخيل، فهم منه معناه للعلم بوضعه وهي منقسمة الى المطابقة والتضمن والالتزام، لان اللفظ الدال بالوضع يدل على اتمام ما وضع له بالمطابقه وعلى جزئه بالتضمن وعلى ما يلازمه في ذهن بالالتزام"⁽³⁾، ان الاقسام الثلاثة للدلالة في هذا التعريف تعني بشكل واضح أجزاءها الثلاثة الايقونية والاشارية والرمزية.

العلامة عند الشكلانية الروسية ومدرسة براغ

اهتمت الشكلانية الروسية بموضوع السيمياء (علم العلامات) من خلال المحاولة لاثبات ان التواصل المعنياتي هو تعبير عن شكل لا محتوى لشعرية النص الادبي وطغيان المفهوم الجمالي لشكل ذلك النص، فكانت (الكلمة) تعبيرا لغويا وجماليا في المقام الاول لا تعبيراً عن فهم الافكار وبنيتها الاجتماعية والسياسية اذ "كان الشكليون الروس يعتبرون ان الادب جمال متميز بشكله وانه منفصل بسبب هذا الشكل عن سائر السلوك الانساني، ومن ثم كانوا ينظرون اليه باعتباره فناً لغوياً في المقام الاول لا باعتباره مرآة للمجتمع او ميداناً للتصارع بين الافكار"⁽⁴⁾، هذه الخاصية اللغوية لمعنى الشكل في النص الادبي تعطي البدائل المتاحة للمعنى الدلالي نفسه ذاته من خلال اعطاء اللغة استقلالية جمالية وشكلية تغني عن المرسلات الضمنية او الفكرية المرفوضة اصلاً عندهم فاللغة "لا تقف عند حدود ما ترمز له من الاشياء لكنها

(1) المصدر نفسه، ص 109.

(2) المصدر نفسه، ص 109.

(3) الشريف الجرجاني، علي بن محمد، مصدر سابق، ص 110.

(4) عناني، محمد: مصدر سابق، ص 69.

تصبح هي نفسها شيئاً له وجوده المستقل بل تصبح مصدراً مستقلاً للمتعة بسبب تضافر الوسائل المتعددة للشاعر أو تلاقيها، مثل الإيقاع والبحر والتناغم الصوتي والصور الشعرية لتحيل تلك العلامة اللفظية أي ذلك الرمز اللفظي إلى كيان ذي قوة متوافقة ومتنافرة كأنما هي عمل درامي أو فعل أو حركة لا مجرد رمز خامد⁽¹⁾، وبذلك فالكلمة لها سيورتها المستقلة لتكون بديلاً عن المضمون وصناعته، هذه الصياغة الشكلية لمعنى العلامة واعتماد الإيقاع الصوتي بدل محتواها وإعطاء الكلمة استقلالية على أنها الرمز وتوظيف الصور الشعرية لخدمة الكلمة ثم ما ينتج عنها من علامات تابعة لها لا مفسرة لها تأكيد هيمنة الشكل على المحتوى وبنيته والذي "يدل الحاح الشكلايين على الحدود اللفظية بوصفها عاملاً إيقاعياً على الاهتمام الكبير الذي أولوه للدلالة.. وتدل على ذلك محاولاتهم الساعية إلى بلوغ التطريزية الفونيمية"⁽²⁾. وليس ببعيد عن الشكلائية الروسية فإن (مدرسة براغ) هي امتداد لها ولكنها تفوقت عليها في مجال أوسع بالعلامة ودلالاتها وكذلك التطور في رؤية أعمق للنص وبنيته الفكرية فقد "عرفت الشكلائية الروسية تطورات وانعطافات ملحوظة في إطار الحلقة اللسانية لبراغ، المؤسسة في عام 1926 والتي سيشكل جزءاً منها قدماء الشكلايين الروس مثل (جاكسون أوبوغاتيريف) وقد اقترح ممثلها الأكثر أهمية (ج. ميكاروفسكي) شعرية بنيوية ووظيفية في الوقت نفسه لقد رأى إن الأدب يتحدد بوصفه شكلاً من أشكال التواصل الكلامي الخاص وهو شكل تهيمن عليه الوظيفة الجمالية"⁽³⁾.

إن التفكير العميق لمعنى النص الأدبي والاختراق التواصل لبنيته الجمالية والفكرية، كمؤشر للمتعة الحسية للأدب، ضاعفت من التواصل الحسي والذهني لمعنى العلامة ودلالاتها في إيصال فكر النص ودلالاته، كذلك فإن أصحاب (مدرسة براغ) قد أولوا (العلامة) أهمية فاعدوا المعنى جزءاً من الشفرة للإيصال والتواصل لزيادة الإثارة في ذات البنية النصية فأما "معنى الشفرة فهو أي نظام يتفق عليه المرسل والمستقبل للدلالة على الأشياء والمعاني، فالشفرة اللغوية تتكون من النظام الصوتي للكلام المنطوق أو النظام المرئي للكلام المكتوب"⁽⁴⁾، إن سيرورة العلامة عند مدرسة براغ ترجمت المحتوى للنص على شكل صورة مرئية متخيلة وترجمة الكلام المنطوق في التواصل الاجتماعي والفكري معاً من خلال القدرة على إيصال المعنى وصياغة الفعل وردة الفعل السلوكي المتولد.

(1) المصدر نفسه، ص 70.

(2) إيرليخ، فيكتور: الشكلائية الروسية، تر: الولي محمد، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2000)، ص

81.

(3) ديكرو، أوزوالد وجان ماري شفايفر، مصدر سابق، ص 179.

(4) عناني، محمد، مصدر سابق، ص 82.

ان قيمة العلامة بوصفها تعبيراً عن ردة فعل بين الإثارة والدهشة، وردود الأفعال المتقابلة اتجاهها يعطي لتلك العلامة قيمة حسية وجمالية والاهم الفكرية.

المبحث الثاني

السيمياء واشتغالاتها في المسرح

- السيمياء وعلاماتها في العرض المسرحي.
- خصائص العلامة المسرحية.
- مهمات العلامة المسرحية.
- ديناميكية العلامة في العرض المسرحي.
- العلامة بين النص والعرض المسرحي

السيمياء وعلاماتها في العرض المسرحي

إن ظهور مصطلح (السيمياء) وتبنيه في العرض المسرحي (كونه حاضنة للعلامة) من خلال العلاقة بين الدال او المؤشر (سواء كان مادة او صوتا او صورة) وبين المدلول (الفكرة والمفهوم) وتحول تلك العلاقة السيميائية الى اخرى حركية عن طريق ارتباطها بالمدلولات الفكرية التي يحتويها العرض المسرحي، جعلت ايمان المسرحيين راسخة بأهمية ذلك المصطلح وتلك العلامة ودلالاتها وما تعنيه من ديناميكية للعرض المسرحي، لذا فالكل أصبح مهتما بإنتاجها وابتكارها (المؤلف، المخرج، مصمم الديكور، والازياء، والانارة، والماكير)، كل من فهمه لقراءة النص المسرحي الواعية وما يمكن ان ينتجه بعد ذلك في العرض وتفاصيله من ابتكار في ترجمة المضمون النصي باشكال علامائية تتجه الى اثاره الذهن والمادة في فهم المعنى وايصاله، فالعلامة في المسرح أحدثت جدلا في بنية العرض ونقلته من عوالم صورية جامدة الى اخرى ديناميكية بفعل اشتغالها في تغيير نمطيتها، وإثارتها لمكوناته بدءا من الممثل الى عناصر العرض، لذا فان "كل شيء يشكل واقعا على خشبة المسرح نص الكاتب المسرحي تمثيل الممثل والإضاءة المسرحية، كل هذه الاشياء وفي جميع الحالات ترمز الى أشياء أخرى بمعنى اخر العرض المسرحي هو مجموعة إشارات * (signs)⁽¹⁾، ومن هنا فقد عمقت السيمياء وعلاماتها درجة الوعي عند الممثل من خلال استنهاض طاقته الفكرية والجمالية والجسدية والأدائية، وكذلك عند المتلقي من خلال تحريك ذهنيته، وخلق بؤر الصراع المعنيتي لفهم تلك العلامات المتوالدة وما يرافقها من شفرات ووجوب حلها وإعطاء تفسير دلالي وجمالي وفكري لها.

ان الأشياء المادية في الحياة الاجتماعية (خارج المسرح) غالبا ما تعطي نمطا وظيفيا ضمن حيز أحادي بعيد عن التحول العلاماتي او تعدد المعنى الدلالي، فالمائدة خارج المسرح لتناول الطعام والاجتماع، ولكن على المسرح فان الأمور تأخذ منحى سيميائيا بالوجوب، اذ تتحول المائدة الى نمط علاماتي اخر ومتعدد الإشارات نحو مرجعيتها (التاريخية والصناعية والقومية والطبقية)، ومن ثم الى نمط دلالي اخر، اذن كل شيء على المسرح يصبح علامة ذات دلالة بما فيها الممثل وموجودات الخشبة وكل عناصر العرض، لأنها لا تمثل نفسها بل تمثل

* الإشارة تعني العلامة عند مدرسة براغ. الباحث.

(1) هونزل، يندريك وآخرون: ديناميكية الإشارة في المسرح، تر: امير كوريه، في: كتاب سيمياء براغ للمسرح،

(دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1997)، ص 97.

إشارة (علامة) لمعنى دلالي آخر أي أنها إشارة لإشارة أو أنها مفهوم يشير إلى بديل آخر فهي " مفهوم أساسي في السيميائيات يمثل أشياء بصفة بديل"⁽¹⁾.

اذن فالعلامة الدالة تعني المعنى، والمعنى تصور مبتكر لتنفيذ فكرتها، التي لا تكفي ترجمتها بايقونية جامدة (في اغلب الاوقات)، بقدر ما تعطي علامات ودلالات متعددة ومتغيرة وفق ما تمليه صورة العرض المسرحي من افكار ووجوب إيصال دلالة تلك العلامة للمتلقي التي ربما تكون في غاية الاهمية على حبكة وثيمة المسرحية، فان "المسرح ليس له وظيفة اخرى سوى الاشارة الى شيء آخر وكيف عن ان يكون مسرحا اذا لم يدل على شيء آخر"⁽²⁾، لذا فان تبني السيمياء وعلاماتها في العرض المسرحي وبث دلالاتها قد أعطى تنوعا فكريا وجماليا وتقنيا لصورة العرض فقد "يتولى المسرح تحويل المعنى الى رموز ليس في نطقها العلني، ومضمونها، ولكن في صياغتها وشكلها، ولكي نفهم كيف يكون هذا الشكل او الصياغة المسرحية قادرا على حمل المدلول اللغوي بين ثناياه، فان هذا يتطلب تفسير الكيفية التي نستدل بها على الاشياء على المسرح وتوظيفها كإشارات"⁽³⁾، فالعلاقة متبادلة بين الخشبة وبين انتاج وتوظيف العلامة نحو التوجه المنوط بها، هذه الشمولية للعلامة جعلت من المستحيل عزل المسرح عنها وعن رموزها حتى في ابسط صورها الايقونية، ومن ثم لا تخلو مسرحية (في كل الاتجاهات) من إشارة او علامة ترمز بها الى محتوى فكري او اجتماعي او اظهار نمط دلالي يشير الى حالة او فكرة ما فأنا "ندرس سيميائيات المسرح بوصفه متعدد الأنساق او بوصفه نسقا مركبا يلد من تفاعل عدد من انساق الإشارات: الكلامية والصوتية (الضوضاء) والمرئية (الإيماء) والحركات وتغيير المكان والأشياء والزينة والاضاءة الى اخره"⁽⁴⁾، فالمسرح يحتاج وباستمرار الى وسائل مبتكرة لترجمة الأفكار والمعنى وإيصالها بطريقة واعية وسلسة، فكان لابد من تحريك (العلامة الدالة) التي ارتبطت بمفهوم الوعي (في الشكل والمضمون) الحاصل من إنتاجها لتعبر عن ذهنية فكرية وجمالية، وكذلك تجميع وإبراز عناصر العرض المرافقة من خلال منظومة علاماتية ذات سيروية ديناميكية لا تتوقف في طرح الشكل والفكرة والمعنى "كما ان الأهمية المميزة للسيمياء انها لدى تطبيقها على حقل ما لا تتوقف عن تفكيك بنيته، ولكنها عندما تنجح في هذه المهمة وتكشف مدلوله تتغير علاقته بالوعي، يصبح خطابا آخر بمستويات من الدلالات ذات انساق متناظرة

(1) علوش، سعيد: المصطلحات الادبية المعاصرة، (الدار البيضاء: المكتبة الجامعية، 1984)، ص 90.

(2) هونزل، يندريك، مصدر سابق، ص 97.

(3) كونل، كولن: علامات الاداء المسرحي، تر: امين حسين الرباط، (القاهرة: وزارة الثقافة، 1998)،

ص 15.

(4) ديكر، اوزالد، وجان ماري سشايفر، مصدر سابق، ص 660.

تضفي على منظر الخطاب عمقا استراتيجيا جديدا⁽¹⁾، هذا الزخم الدلالي المعرفي لم يأت اعتبارا بل هو تراكم متوالٍ في الصورة الذهنية للعرض وامتداداته في ضخ سيل من رموزه على نحو التلقي لفكرة التأويل وشفراته والصراع على اكتشاف جوانبه الغامضة.

ان الوعي المتشظي من فعالية العلامة وحركاتها في العرض، قاد الى الولوج في عمق بنيته وإحداثه ومن ثم في وعي المشاهدة بلا انقطاع، هذا التحرر من قيود المسرح الثابتة او الجامدة الى مسرح يمتلك الحرية في تحريك مفرداته ومن ثم ذهنيات متلقيه واشغال مادته المرئية، اتجه نحو انبثاق معالم مسرح ثوري في تطبيقاته على صعيد الصورة (الشكل والتقنية والفكر) فـ "بتحرير خشبة المسرح أعتقت جوانب اخرى من العرض المسرحي من قيودها، لقد تحرر المشهد من سحر الاطارات الخشبية واللوحات الزيتية على القماش"⁽²⁾، لقد كسرت (العلامة) رتابة العرض على صعيد مادته وفكرته وتنفيذهما وعملت على رقي الاستدلال وتلقي الصورة المادية والذهنية اللحظية المتمركزة والمتخيلة وامتدادها لما بعد العرض، وهذا هو عنصر التأثير المعنيتي على صعيد الخشبة والصالة على حد سواء.

وهنا لابد من الاشارة الى جهود من ربط السيمياء بالمسرح من دون قصد وجعل من العلامة جزء لا يتجزأ من بنية النص والعرض، ولعل ابرزهم هو رائد اللغة السويسري (فردينان دي سوسير) (1857-1913) والذي عمل على اعتبار اللغة نظاما من نظم العلامات، صورت فيه العلاقة اللغوية بدورها على اساس ثنائي كدال ومدلول او صوت وصورة، وتقرب اكثر من وجهة نظر (سوسير) في العلاقة بين الدال والمدلول فنذهب الى معنى التحام العناصر المكونة للعلامة بقوله: "لذا اقترح الابقاء على لفظة (sign الاشارة)، للدلالة على الفكرة بأكملها، واستخدم بدلا من الفكرة والصورة الذهنية على التوالي المدلول والدال"⁽³⁾، أي ان العلامة عبارة عن اتحاد صورة صوتية وهي الدال مع تمثيل ذهني او مفهوم او فكر وهو المدلول، والرائد الثاني الذي ارتبطت علامته بالمسرح هو الامريكي (تشارلز سان بيرس 1839-1914)، إذ يطرح في ثلاثيته المشهورة للعلامة والتي تتكون من "الايكون icon هو العلامة التي تشير الى الموضوع التي تعبر عنها عبر الطبيعة الذاتية للعلامة فقط، اما المؤشر index فهو علامة تشير الى الموضوع التي تعبر عنها عبر تأثيرها الحقيقي بتلك الموضوع، اما الرمز symbol فهو

(1) اليوسف، اكرم: الفضاء المسرحي/دراسة سيميائية، (الدار البيضاء: دار مشرق، 2000)، ص 14.

(2) هونزل، يندريك، مصدر سابق، ص 101.

(3) سوسير، فردينان دي، مصدر سابق، ص 86.

علامة تشير الى الموضوعة التي تعبر عنها عبر عرف غالباً ما يقترن بالافكار العامة التي تدفع الى ربط الرمز بموضوعة⁽¹⁾، فالايقون يعني هناك تماثلاً او تطابقاً بين الدال والمدلول، فكريسي لا يعني سوى كرسى، اما المؤشر او الإشارة فهي علاقة تقريرية بين الدال والمدلول فدخان يعني ناراً، اما العلامة الرمزية فهي وجود علاقة عرف بين الدال والمدلول، فالحمامة رمز للسلام، وعليه فان هذا التقنين المعرفي لموقع العلامة في المسرح احدث تغييراً في بنية النص والعرض معا ونقل المسرح الى صياغة جديدة في شكله ومضمونه وتحديث تقنياته بما يلائم التعبير عن مضامين الفكر بالمادة وبالعكس، وتبقى (مدرسة براغ 1931) هي الرائدة في توظيف السيمياء او العلامة او الإشارة كما كانوا يدعونها في المسرح حيث "اتسع افق سيمياء المسرح خلال العقدين الذين اعقب هذه التحركات الحرة.. وفي سياق استقصاءات (مدرسة براغ) التي لم تترك، أي نوع من النشاط الفني والسميائي من اللغة العادية الى الشعر والفن والسينما... استطاعت أشكال المسرح ان تلفت الانتباه... لتأسيس مبادئ الدلالة المسرحية"⁽²⁾.

وفي وقت ليس ببعيد 1964 يقدم لنا (رولان بارت).. اطروحته بعلاقه العلامة في المسرح "الى كون المسرح موسوما بتعدد أصوات اعلامية فعلية وبكثافة من العلامات مما يجعله حقلاً للاستقصاء السيميائي"⁽³⁾، واذا كان (بارت) قد حفز على ديناميكية العلامة في عموم حركة المسرح فان (تاديوز كاوزان) البولندي الأصل قد صنف العلامة الى طبيعية ومصطنعة او اصطناعية "فالعلامات الطبيعية تتعين قطعاً بواسطة قوانين مادية تقتصر معها العلاقة بين الدال والمدلول على علاقة العلة والمعلول مباشرة (كما هو الحال في العوارض التي تدل على المرض) او (الدخان الذي يدل على النار) اما العلامات المصطنعة فهي نتيجة لتدخل إنساني اختياري"⁽⁴⁾، وعليه فان جهود هؤلاء العلماء ومدرسة براغ بالتحديد قد وجهها المسرح نحو الانفتاح وجعله ذا بعد فلسفي من خلال ديناميكية عمل العلامة وتحركها المتواتر في بنية العرض وتحولها من شكل الى آخر ثم فكر الى آخر او رمز الى آخر وطرح نمط جديد للتعامل الإيضاحي للفكر من خلال المادة وابتكار أشكالها فتعريف "الإشارة هي واقع حسي على علاقة بواقع آخر يفترض بالإشارة اثارته"⁽⁵⁾، هذه الاثارة هي الاستفزاز المتخيل في الصورة الذهنية

(1) بيرس، تشارلز سوندرس، مصدر سابق، ص 142.

(2) ايلام، كير: سيمياء المسرح والدراما، تر: رثيف كرم، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 1992)، ص 12.

(3) المصدر نفسه، ص 33.

(4) المصدر نفسه، ص 34.

(5) كاروفسكي، يان ميو: الفن كحقيقة سيميائية، تر: ادمير كوريه، في كتاب سيمياء براغ للمسرح، مصدر سابق،

المتحولة من الصورة المادية للخشبة والتي احدثت حراكا بين قدرة البصر على التصديق والتخيل وبين احوالها الى الذهن المندهش، هذه الاشكالية اضافت حقيقة جديدة الى الفكر والذهن وخلصته من سكونية التلقي واحالته الى فكر جديد متحرر من اسرار النص المسرحي وكذلك من قيود العرض المسرحي التقليدي وحدودهما الضيقة "ففي الوقت الذي طرحت فيه السيميوطيقا علينا طريقة لرؤية النص الدرامي تعمق من فهمنا للطريقة التي صنع بها النص فقد قدمت لنا ايضا مفتاحا نفك به اسر المسرح من الادب"⁽¹⁾، هذا التحرر على صعيد القراءة التأويلية للنص والعرض المسرحي كسر الحواجز بين الذهن وانطلاقته وبين تقليديه القراءة والمشاهدة السكونية .

هذا التحول من محدودية العلامة النصية المتخيلة الى زخم دلالي واقعي متحرك في العرض أعطى قدرة على ان تكون العلامة عند تحولها من النص الى العرض هو تحول من سكونية الى متحرك وآخر متحول في الوقت نفسه داخل المادة والذهن وداخل بنية العرض معا، وعند ذاك فالعلامة في حركتها على الخشبة قادرة على توظيف نفسها للولوج الى ذهنية المتلقي والإعمال على حفر معرفي داخل وعيه ما دام كل شيء على المسرح هو علامة دالة في كل زاوية من تلك الخشبة، إذ "تستخدم على الخشبة ليس فقط الملابس والمشاهد او الأثاث المسرحي الذي بمثابة إشارة او مجموعة لعدة إشارات بل أيضا الأشياء المادية الفعلية، ترى النظارة هذه الأشياء الحقيقية ليس كأشياء فعلية فحسب بل كإشارة لإشارة او كإشارة لأشياء مادية"⁽²⁾، هذه القدرة على تشطي العلامة قد أعطتها قدرة احوالية وتأويلية الى علامات أخرى بل الى علامات مزدوجة أخرى غير الأولى: وهذا ما يحدث مثلا في مفهوم (التضمن الدلالي) للعلامة أي (المزاوجة بين العلامة الثانوية والعامة)، وأيهما أهم وأكثر تأثيرا في بث دلالاته الى المتلقي، فالمسرح الذي يشير كل ما فيه ومن عليه الى معنى علاماتي ودلالي محدد مسبقا هو قائم على معرفة تأويلية بالصورة ومعناها.

إن العلامة متحركة وتخضع للموضوع الذي أنتجها أي بمعنى ان العلامة هي صورة مادية ثم فكرية تقتزن بذهن المتلقي والتقاطها من الكلمة او المادة من خلال السمع والنظر والفكر، وعليه فانها خاضعة لاختلاف المعنى الدلالي للتلقي "ففي كلمة fast وهي علامة متخيلة لا تكتسب او تلفظ هذه الكلمة ذاتها بل وجها من وجوها، ان كلمة fast مكتوبة او ملفوظة هي

(1) استون، الين وجورج سافونا، مصدر سابق، ص 141.

(2) بوغاتيرف، بيتر: السيمياء في المسرح الشعبي، تر ادمير كوريه، في كتاب سيمياء براغ للمسرح، مصدر

سابق، ص 64.

ذاتها سواء كانت تعني "بسرعة" او بمعناها الاخر "ثابت" او بمعناها الثالث "صوم" فان الشيء لا يصبح علامة الا عندما يقوم بتصوير شيء اخر يسمى موضوعته⁽¹⁾.

بالرغم من فهمنا المسبق الى ان كل ما هو موجود على المسرح هو علامة وما دمننا متقنين عليها وواعين الى صناعتها ومكانها وزمن انطلاقها، لذا فهي موجهة وتخضع للتقييم والتحليل وربما التأويل، وهذا قد يصطدم مع تصور المتلقي بان كل ما يراه على المسرح من علامات هو حقيقي ومطابق للواقع ولكن ما دمننا ربطنا العلامة بموضوعاتها فلا بد من تحليلها وفق سياقها او سياق هذا الربط والابتعاد عن التصديق المبكر او الأخذ السريع والمسبق بدلالة الصورة المجردة المتمركز على خشبة المسرح "ففي عرض لمسرحية (عدو البشر) عام (1988) وضع الممثل الذي يلعب دور البطولة ضمادة على ذراعه، مما دعا العديد من الطلاب الذين يشاهدون المسرحية الى تأمل تلك الضمادة والى تخمين معانيها الممكنة (التعبير الخارجي عن القلب الجريح او الكرامة الجريحة) قبل ان يعرفوا ان الممثل كان مصابا ولم تكن للضمادة أي معنى في سياق العرض المسرحي"⁽²⁾، وهذا تأكيد من جانب ثان على قدرة العلامة السيطرة على الالذهان ، والاجبار على التصديق وتأكيد اخر على ان كل شيء على المسرح هو علامة (على شرط فعلها الحركي والفكري من خلال ارتباطها بموضوع) حتى لو كانت مزيفة، لان الاعتقاد الراسخ بانها لا بد ان ترمز الى شيء ما ولا بد لوجودها معنى دلالي سواء كان ايقونيا او اشاريا او رمزيا او مشفرا، وعلى اعتبار ان كل ما يقدم على المسرح هو متفق عليه وضمن بديهيات ما هو موجود في الحياة لا عكسه، فقد نرى العلامات في الحياة ولكن قد نشكك في مصداقيتها لاننا لا نعرف نوايا مرجعياتها ولكن في المسرح هناك اتفاق على كون العلامة هي مترجمة لموضوعتها او موضوعها الحقيقي (الا في حالات قصدية نادرة) ودلالاتها في التصديق ولكن ايضا بعد التدقيق والتحليل المتأنى.

(1) بيرس، تشارلز سوندرسن، مصدر سابق، ص 139.

(2) استون، الين وجورج وسافونا، مصدر سابق، ص 141.

خصائص العلامة المسرحية

1- السمية (الوجوب العلاماتي)

ان عملية انتقال النص بصفته خطاباً حوارياً متخيلاً الى عرض مسرحي متحرك يمثل جدلياً ارتباطاً بالفعل (السميائي) أي (العلاماتي) وهذه العملية تأتي متزامنة مع شغل الممثل التلقائي وموجوداته، وما سوف تنتجه هذه المزوجة من اكتشاف أنواع من العلامات المتحققة فعلاً (سواء كانت أصلاً في النص أو العرض أو أثائه)، وعليه فإن العرض المسرحي لابد ان يخضع لمفهوم (السمية) بعلمنا أو بدونه فان انتقال الممثل بجسده الى خشبة المسرح يعني اكتسابه صفة العلامة، وانتقال الموجودات من الحياة الى الخشبة يعني جعلها (مسمومة)، أي إحالتها من واقع حياتي أو وظيفة اجتماعية عادية الى علامات دالة بمجرد حصول هذا الانتقال، وجعلها بالضرورة ان تشير الى أشياء أخرى ودلالات أخرى فان "الأشياء التي تلعب دور الاشارات المسرحية على الخشبة يمكن في سياق المسرحية ان تكتب بذات وخصائص وصفات معينة لا تتمتع بها في الحياة الواقعية"⁽¹⁾، هذا الانتقال الذي يغذي المادة على خشبة المسرح شكلها وعملها (التسويمي) أي (العلاماتي) هو الذي جعلها تتحول من خصوصيتها الوظيفية الاجتماعية في الحياة الواقعية الى خصوصية اعم ومتحققة جدلاً على رقعة الخشبة، إذن كل ما هو على المسرح بفعل (السمياء) هو علامة، فالكرسي على المسرح مثلاً قد اكتسب صفة (العلامة) تتبع من قيمته الدلالية في (صناعته) أو (تاريخيته) أو دلالاته القومية أو الطبقية أو الاقتصادية أو أي إفراز علاماتي آخر، ثم ما سوف ينتج عن تحريكه وتغيير نمط شكله العلاماتي من دلالات مغايرة متحولة عن عمل علامته الدلالية الأولى، ولكن نفس هذا الكرسي في الحياة الواقعية ليس له دلالة مهمة إلا ضمن مفهوم الاستخدام الحياتي لا أكثر بالإضافة الى ان كل الموجودات المرئية والمسموعة على الخشبة من (ممثل، ديكور، إكسسوار، ملابس، إنارة) قد أصبحت (علامات) كونها مشاهدة أو مسموعة لحظتها من قبل المتلقي، فان الفعل (التسويمي) قد يطال العلامات غير المرئية خارج الخشبة (فوقها، أو جوانبها، أو تحتها) فان "مجرد سماع صوت من جزء جانبي من المسرح أو من الراديو سيدل على شخصية درامية وعندها فان مثل هذا الصوت سيكون بمثابة ممثل"⁽²⁾، أي بمثابة (علامة) دالة غير مرئية ولكنها اكتسبت صفة (السمية) لفعالها الدلالي المؤثر في الأحداث، بل ان الخشبة نفسها قد اكتسبت صفة (السمية) أو العلامة لا كونها شكلاً مسرحياً معيناً بل لأنها مكان للتمثيل الدرامي ف"رغم انه تأكد لنا ان الخشبة هي

(1) بوغاتيريف، بيتر، مصدر سابق، ص 66.

(2) هونزل، يندريك، مصدر سابق، ص 99.

اعادة بناء وليست طبيعتها البنائية التي تجعلها خشبة مسرح، بل حقيقة كونها تمثل مكانا دراميا، والشئ ذاته هو عادة شخص يتكلم ويتحرك على الخشبة ولكن الطبيعة الأساسية للممثل لا تكمن في حقيقة انه شخص يتكلم ويتحرك على الخشبة بل في انه يمثل شخص ما⁽¹⁾، ولكن اكتساب صفة العلامة على المسرح يأتي من خلال التوظيف لها وتسويغ وجودها والاهم ارتباطها بموضوعتها.

2- التضمين العلاماتي

أي بمعنى طغيان الدلالات الثانوية للعلامة المصاحبة على دلالاتها الكبرى او المزوجة لاكثر من دلالة في وقت واحد، أحدهما ثانوية والأخرى رئيسية "فقد يدل زي حربي مثلا بالاضافة الى صنف (الدرع) الذي يدل عليه حقيقة على (الشجاعة) او الرجولة...وقد يدل كذلك على ما في داخل منزل برجوازي من (ثروة) و(تفاخر) او (ذوق سيء)"⁽²⁾، هذه المزوجة تحيلنا الى بث العلامة لرموزها ودلالاتها المزدوجة او أكثر في وقت واحد (خصوصا في العلامات المركبة) ومن المفترض ان تكون الدلالة الكبرى هي الأفضل والأسرع (بالرغم من عدم ثباتها او ارجحيتها في التصديق)، فالزي الحربي علامة ذات دلالة كبرى، اما الشجاعة او الرجولة فهي علامة ذات دلالة صغرى، ولكن ليس بالضرورة ان ترمز للشجاعة او الرجولة، فقد يكون العكس، وغالبا ما تحدث هذه الإشكالية بسبب تشظي العلامة ورموزها لأكثر من معنى دلالي متجاوز فـ" أحيانا قد يشير الزي المسرحي او المشهد الى إشارات عديدة قد يرمز الزي المسرحي مثلا الى ثري صيني ويتم ذلك بتمييز المصورة بإشارة لقوميتها وإشارة لمكانتها الاقتصادية"⁽³⁾، ويرى الباحث تحفظا في مفهوم طغيان الدلالة المصاحبة على الدلالة الكبرى او الرئيسية، إذ ان هذا الأمر مرتبط بوعي المتلقي لا بمسلمات ثابتة، إذ ان هذا الوعي يتفادى الانجرار الى الجزء وترك الالهة أي بمعنى ان عملية التحليل الفكري والذهني لابد ان تفرق بين صنف الملابس العسكرية وبين ارتباطها بالرجولة او الشجاعة وبين الثراء والذوق القبيح، ثم ان اهم خاصية من خواص السيمياء وعلاماتها هو انتاج (الشفرات) وهي موجهة الى المتلقي وهو المعنى بجلها وهي تشكل العملية الأصعب فكيف تتطلي عليه البساطة بمفهوم طغيان الدلالة المصاحبة.

(1) هونزل، يندريك، مصدر سابق، ص 98.

(2) ايلام، كير، مصدر سابق، ص 19.

(3) بوغاتيريف، بيتر، مصدر سابق، ص 63.

3- (الترتيب الافتراضي في الظهور)

ان الخاصية السيميائية تعطي الاهمية لمدى قوة هذه العلامة او تلك وفق ترتيب ظهورها، وقدرتها على تحريك العرض ومن ثم ذهنية ومخيلة المتلقي للوصول الى معنى دلالي منطقي لتلك العلامة ودلالاتها، وهنا ياتي الترتيب المحسوب لظهور الشخصيات المسرحية أي (الممثلين) لانهم يشكلون علامات مستقلة اضافة لانتاجها وايصالها ويأتي هذا الترتيب وفق التسلسل (الافتراضي في اهمية الظهور) ووقته ومنطقته على مجرى الاحداث ف" عندما يحتل الممثل ولاسيما ممثل الدور الرئيس قمة الترتاب الهرمي حيث يجتذب الى شخصه هو معظم انتباه المشاهدين ويقع تقديم عناصر اخرى الى الصدارة عندما تكون هذه العناصر قد رقيت من تابعة ادوارها الكمدا الى مقام بروز مفاجئ أي عندما تكتسب ذاتيتها السيميائية"⁽¹⁾، ولكن في بعض الاحيان فان الطرفين المهمين في الصياغة المسرحية والعلاماتية (المؤلف+المخرج) غير قادرين في الافتراض المتخيل لما سيحصل في اهمية وقدرة هذا التسلسل او البروز في نجاح ظهور (العلامة) من خلال الشخصية (خصوصا في المسرح التقليدي او الواقعي) أي ان بروز مفاجيء لاي شخصية حتى لو كانت بسيطة، قد ياتي في بعض الاحيان بتأثير غير متوقع (في الاحداث والمتلقي) ربما بسبب (قوة أدائها او ظهورها في وقت مناسب غير متوقع) وفق ترتيب هرمي كان يجب ان يكون قصدياً وافتراضياً من ناحية الأهمية والتأثير.

ولكن هناك ترتيب هرمي (تصدير) متعمد وقصدي يتدخل فيه المخرج لابرار علامة على حساب اخرى، خصوصاً في المسرح البرشتي، إذ تكون "ايماءة الاستعراض عند برشت كما يحصل عندما ينفرد الممثل ليعقب على ما يدور او عندما تقوم سلسلة، حيل كتجميد الحركات، ومؤثرات تبطيء الحركة، وتغيرات الاضاءة المفاجئة بجعل الوسائط التمثيلية كمدا"⁽²⁾، هذه القصدية في زمن الظهور التراتبي ليست جديدة بل استعارها (برشت) من المسرح الاغريقي الذي اعتمد الكلمة والحوار لترتيب موجوداته وشرح افعاله واحداثه على الخشبة من خلال سرد الجوقة فان "القناع التراجيدي الثابت للحزن الذي لبسه الممثل والمحيط اللامتغير للقصر الملكي على الخشبة بالامكان تغييرها وذلك بواسطة الكلمة (اللغة) التي مثل الشمس في وسط عالم الشاعر، اما ان تضي الخشبة والممثل والإحداث الدرامية او العكس.. فالأفعال والأعمال قد تحققت بشكل

(1) ايلام، كير، مصدر سابق، ص 29-30.

(2) المصدر نفسه، ص 31.

مرئي على الخشبة القديمة وذلك بواسطة الدلالة اللفظية اليها فقط⁽¹⁾، لكن حيثما كان الترتيب الهرمي في الظهور عفويا (افتراضياً) او قصدياً (تدخل مباشر) فكل علامة على الخشبة تعطي دلالة او دلالات ولها دورها وقيمتها سواء كانت ظاهرة او متوارية الى حين بروزها، فالعلامات مكونات تستمد مكانتها ووظيفتها او توظيفها من حركتها وموقعها في سياق الاحداث أي حيزها الطبيعي ومن ثم فان نجاح الممثل او فشله في اداء شخصيته كفيل في بروز العلامة من عدمه أي ان بروز هذه العلامة او تلك يأتي وفق سياقها الفكري والجمالي (من خلال اداء الشخصية طبعاً) لا زمن ظهورها بالضرورة.

4- تحول العلامة

وهي من اهم خواص السيمياء وعلاماتها على المسرح، وذلك في تغيير انماط ووضعيات الممثل عبر شخصياته الممثلة وانتقالها من حالة الى اخرى او سلوك الى اخر يتبعه بالضرورة تغيير علاماتي وفق هذا التحول، او تدخل الممثل في تغيير أنماط وأشكال ووظيفة الموجودات على الخشبة من (ديكور ومهمات مسرحية) ومن ثم تحولها من علامة الى أخرى ثم تغير مدلولاتها في المعنى والفكر مع ارتباطها بسياق الحدث او الموضوع او تغيير كلي في مجمل المفاهيم الفكرية لثيمة الموضوع او ذلك الحدث "فما يظهر انه قبضة سيف في مشهد ما يمكن ان ينقلب الى صليب في المشهد التالي وذلك بتعديل بسيط في وضعه"⁽²⁾، وهذا تفعيل ديناميكي داخل بنية المشهد وفعاليته الصورية الواردة من الخشبة تقنيا وجماليًا وفكريًا فان "الاشياء في المسرح-تماما مثل الممثل نفسه- قابلة للتحول كما يمكن ان يتحول الممثل على الخشبة الى شخص اخر"⁽³⁾، هذا التنوع في تحول العلامة ودلالاتها رافقها تنوع في انماط اضافية للتغيير والتحليل والتأويل عند المتلقي، نتيجة التغير المتدرج او المفاجيء على مجريات الشكل والفكر داخل احداث العرض المسرحي وتحولاته العلاماتية ومدلولاتها المعنوياتية فان "الحذاء الشهير لشارلي شابلن في فيلم (الاندفاع نحو الثروة) يتحول حين ينهمك شابلن في الاكل، يصبح رباط الحذاء معكرونة وفي ذات الفلم لفافتين ترقصان كعاشقين"⁽⁴⁾، ولكن بالرغم من ان هذا التحول العلاماتي يتبعه إحياء وتأويل وهدف جديد، فانه لا بد من مسوغ مقنع له في منطقية هذا التحول،

(1) هونزل يندريك: التراتب الهرمي للتقنيات الدرامية، تر: ادمير كوريه، في: كتاب سيمياء براغ للمسرح، مصدر سابق، ص 126-127.

(2) ايلايم، كير، مصدر سابق، ص 22.

(3) بوغاتيرف، بيتر، مصدر سابق، ص 66-67.

(4) المصدر نفسه، ص 67.

ويرى الباحث ان هناك نوعين من التحولات التي تحصل على الخشبة ولها تأثير في التعبير الدلالي عن المعنى وتفسير جديد له، فالعلامة الاولى تكون منسجمة وقائمة على وجود تماثل مع نظيرتها المتحولة كالمهمات المسرحية، مثلاً مقبض الخنجر قريب من الصليب، إذ بالإمكان جعله وتدا لخيمة او شاهدا لقبر او مفتاحاً، فالأشكال والإحجام شبه متقاربة ومن ثم فان تحولها قابل للتحقيق والإقناع، اما التحول الثاني في شكل العلامة ووظيفتها فهو غير منسجم في أشكاله، كتحويل الكرسي الى قفص او المكنسة الطويلة الى حصان، او خيط الحذاء الى معكرونة، او المنضدة الى طائفة، او السجادة الى بساط سحري طائر، فهذا التحول هو تحول (راديكالي) ومتخيل فنتازي تختص به العروض البعيدة عن الواقعية، والتي تسمح بهذا الانعطاف في التحول العلاماتي الحاد والذي يضيف ديناميكية ومتعة في غرابته وتحوله الرمزي والقسري وغير المألوف، يصل الى فهم (برشتي) في تغريبه (للصورة والفكر)، أي تقعيد الواقع من واقعيته في صورة المشهد المتمركزة على الخشبة، ويجد الإقناع لانه لا يتناول مفردات واقعية في شكلها بل في مضمونها الفكري فحسب.

مهمات العلامة المسرحية

1. تحديد فضاء المسرح

إن إنشاء العلامات فجر الحدود الجغرافية الوهمية لخشبة المسرح وحدد أنواع الفضاءات التي عملت بها، وهو تحديد لا نهائي، أي بمعنى ان الجغرافية المسرحية غير خاضعة لمقاس المنطق، ومن ثم فان العلامة قد أحالتنا على عوالم ابعد من تلك الحدود المرئية على الخشبة، وكذلك فان ارتباط العلامة بوعي مفتوح ابعد حالة الانغلاق المكاني نحو مديات غير محدودة خيالاً وافترضياً، ولكن اضافة الى هذا المدى المتخيل اللامحدود، فهناك الرؤيا الواقعية للحدود نفسها التي أمامنا والتي تحيلنا الى الصورة المتمركزة على الخشبة وموجوداتها وحدودها المكانية والبصرية الواضحة، فهي إشارة مهمة في تحديد جغرافية واقعية للمكان المنصي الذي هو جزء من الفضاء المنصي ومن ثم هو جزء من الفضاء المسرحي عندها "يمكن ان نسمي المكان المنصي الفضاء المادي الذي يستعمله الممثلون فاننا نسمي بالفضاء المنصي المجموع التجريدي لرموز المنصة، ويكون تعريف الفضاء المنصي بانه مجموعة الرموز الصادرة عن المكان المنصي وتجد فيه مكاناً، وينتمي الى الفضاء المنصي، ليس فقط رموز الإكسسوارات لكن ايضاً الممثلون وتنقلاتهم والوجوه التي يرسمونها وعلاقتهم بالإضاءة والاصوات"⁽¹⁾، ومن هنا فقد عملت

(1) سفيدي، ان اوبر: مدرسة المتفرج (ح2)، تر: حمادة ابراهيم، (القاهرة: وزارة الثقافة، مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، 1996)، ص 60.

العلامات على تعيين نمط هذا الفضاء وشكله وحجمه ومن ثم حدوده الوهمية المتخيلة او الواقعية المتمركزة على الخشبة من خلال الاشارات الصوتية او الضوئية او المؤثرات الاخرى او استخدام وتغيير في (قطع الديكور - اكسسوار - مهمات مسرحية)، لذا فان "الاشارات يفترض فيها تعيين الفضاء الذي يقع فيه الفعل..بواسطة الاشارات الصوتية او بواسطة الاشارات الضوئية"⁽¹⁾، على ان هذه العلامات ليس لها حدود في ديناميكيته او سيورتها في انشاء مزيد من الفضاءات الوهمية وحدودها الخيالية المفتوحة، فالفضاء المسرحي يعني تجاوزا لحدود المكان المنصي وفضائه الى صالة الجمهور، ويعمل على اشراك الفعل الدرامي الحسي والعقلي بين الخشبة وتلك الصالة، وهذا ما حفز العلامة على انشاء (الخشبة الخيالية) وهي جزء من الفعل العلاماتي المتخيل ومدلولاته لتلك الخشبة، وهي جزء من التفعيل الدرامي المضاف لفكرة واحداث العرض ومعطياته في الاسلوب والمعالجة، فان تلك (الخشبة الخيالية) تستعيز بقدرتها التصويرية الخيالية العلاماتية على انشاء خشبة ثانية في الذهن املتها ظروف يستحيل تمركز الفعل الصوري من المشاهدة الانية على الخشبة إذ "يلجا المسرح احيانا الى الخشبة الخيالية لاسباب محض تقنية، افعال يصعب تجسيدها على الخشبة، كمباريات او تجمعات كبيرة من الناس وغيرها، توضع على الخشبة الخيالية احيانا يفرض العرف استعمالها، مثلا المشاهد الدمية"⁽²⁾، ان مفردات العرض وعلاماته تشير الى ماهية الفضاء وتعيّنه وفق معطياته الواقعية (مدينة، غابة، شارع) ولكن اسلوب العلامات التي تحيلنا على رموز معقدة او الى شفرات تاويلية تجعل من المستحيل تطابق الدال مع المدلول في انتاج المعنى الدلالي، وهذا هو جوهر العملية السيميائية في احالة ذهن المتلقي الى عوالم مغايرة لما يتوقعه في الصورة المرئية المتمركزة اثناء العرض المسرحي، فالعلامات التي توجي لنا بمكان او فضاء معين، ربما تنتشظى الى ابعد من الحدود التي في خيالنا، وبذلك فان العلامة تتجاوز ايقونيتها وجمودها المادي الصوري الى ابعد من حدود الفضاءات المرئية او المتخيلة.

2- صياغة المكان المسرحي

(1) هونزل، يندريك، ديناميكية الاشارة في المسرح، مصدر سابق، ص 107.

(2) كاروفسكي، يان ميو: حول الوضع الراهن لنظرية المسرح، تر: ادميركوريه، في: كتاب سيمياء براغ للمسرح، مصدر سابق، ص 55-56.

ان العلامة في تمثيلها المادي لعناصر العرض المسرحي (انارة، صوت، ازياء، مكياج) ساهمت في تكوين الشكل الجمالي والدلالي للمكان المسرحي (التقليدي) او (الحر) (مقهى، شارع، جبل) فقد "يستطيع فعل الاشارة والتعريف ان يحول أي مكان الى مكان للعرض"⁽¹⁾، ومن ثم لتعطي لهذه العناصر القدرة على تشكيل وانارة ذلك المكان وتلوينه وتحديدته على وفق سياق العرض المسرحي في الشكل والمضمون، والمزاوجة بين شكل ذلك المكان وبين المردود النفسي والفكري الحاصل من العرض وصورته المتمركزة في المكان نفسه، ومن ثم فقد حفزت (العلامة) على تحويل المكان المسرحي من نمط الى اخر خضع لمقتضبات المتن الحكائي للنص، وترجمة عرضه الفعلي وتحديد المزاوجة بينه وبين ملائمته للفعل والحدث الدرامي، والتناسق بين عناصره الطبيعية وعناصره الصناعية، وحركة الممثل وتشكيلاته، فان "المكان هو الاطار المحدد لخصوصية اللحظة الدرامية المعالجة، فالحدث لا يكون في لا مكان انه في مكان محدد يحدث كذا بين الشخصيات"⁽²⁾.

وتبقى المزاوجة بين علامات المكان الطبيعية والمصنوعة وبين علامات العرض نفسه في تشكيل علامات جديدة قائمة لرفع قيمة المادية والفكرية، ومن هنا فقد ظهر عرض جديد تبعا لمقتضبات شكل ذلك المكان، ومن ثم لابد ان يوضع الحدث المسرحي المتشكل حديثا في حيزه الزماني والمكاني كجزء من تلك الظاهرة المتخيلة للمكان كبقعة للتمثيل وبعد طبيعي مرتبط بالظاهرة الحياتية وفعلها الانبي إذ "يمثل الزمان والمكان... الاحداثيات الاساسية التي تحدد الاشياء الفيزيائية، فنستطيع ان نميز فيما بين الاشياء من خلال وضعها في المكان، كما نستطيع ان نحدد الحوادث من خلال تاريخ وقوعها في الزمان"⁽³⁾.

ان العلامة بموجوداتها المادية والفكرية قادرة على انشاء الجو النفسي والجمالي والاجتماعي لمكان العرض، مهما تشعب او تكور لامتلاكه علاماته الخاصة المستوحاة من ارضيته وموقعه وطبيعته الجغرافية والتاريخية والمعمارية والزخرفية، اذ "في اغلب الاحيان لا يكون الدال معقدا امام هذه المهمة الاولى للمكان المسرحي اذ نستطيع ان ندرك دون صعوبة بالغة اننا امام قصر او معبد او شارع او مزبلة"⁽⁴⁾، وعليه فان العلامة قادرة على بث الرمز باتجاه تكثيف عناصر العرض أو دمجها لابرار عملها في فعالية مضافة الى قدرة المكان

(1) هلتون، جوليان، مصدر سابق، ص 37.

(2) الجيار، مدحت وآخرون: جماليات المكان في مسرح صلاح عبد الصبور، في: كتاب جماليات المكان، (الدار البيضاء، دار قرطبة، 1988)، ص 22.

(3) دراز، سيزا قاسم: المكان ودلالاته، المصدر نفسه، ص 59.

(4) جلال، زياد: مدخل الى السيمياء في المسرح، (عمان: وزارة الثقافة، 1997)، ص 67.

المسرحي وطبيعته سواء كان في مساحة المكان الحر المتغيرة او مساحة المكان الصناعي (المعماري) الساكن.

3- تحديد معالم الشخصية

لم يكن للزى عند الإنسان البدائي دلالة على الفوارق الطبقية، لان المجتمع حينها لم يبدأ بعد التناقضات الاقتصادية والاجتماعية، بل اقتصر دور الزى على حمايته من العوامل الطبيعية وسترت عورته ولمحاكاة الحيوان بلبس جلده في الطقوس عند الصيد او المعتقدات السحرية، ولكن لاحقا ومع تطور المجتمع اصبح للزى علامة دالة للانتماء الاقتصادي والاجتماعي، ومن ثم انتقلت هذه العلامة ومدلولاتها الى المسرح واصبح للزى والديكور والمهمات المسرحية أهمية علامائية للارشاد والتوضيح للانتماءات بكل أشكالها لمجموعة الشخوص على خشبة المسرح، وغالبا ما تشير هذه العلامات إلى المراتب الاجتماعية والاقتصادية للشخصيات وأماكنها او زمنها "وعندما يظهر الممثل على المسرح ندرك لأول وهلة ما اذا كان ملكا او فلاحا او عاملا، أي اننا نحدد مكانته وانتماءه الاجتماعي وذلك من خلال شكل الزى الذي يرتديه والمادة التي صنع منها.. كما ان الزى يحدد الزمان والمكان الذي تدور فيه احداث المسرحية"⁽¹⁾، ولكن التطابق بين طبيعة الازياء او الديكور وانتماء الشخصية الاجتماعية والاقتصادي او القومي ليست قاعدة ثابتة في سرعة الاستنتاج فقد يكون هناك قصد في جمع النقيضين لغاية ما، فقد تكون هناك ملابس توحى بالثراء ولكن صاحبها بخيل، او ملابس رجل متدين ولكنه شاذ، فلا يجب ان نأخذ دائما بالجانب النظري السريع في المطابقة بين مصداقيه الشكل بالمضمون، وما دام الزى او الديكور او المهمات المسرحي هي علامات تعطي اشارات دالة للانتماء الافتراضي لمعالم الشخصية فانها قد تبعث باكثر من دلالة او اشارة لمعالم تلك الشخصية وليس لمعلم واحد بذاته، فقد "يشير الزى المسرحي او المشهد الى اشارات عدة قد يرمز الى ثري صيني ويتم ذلك بتمييز الشخصية المصورة باشارتها لقوميتها وباشارة لمكانتها الاقتصادية"⁽²⁾، وكما تشير العلامة لانتماء الشخصية لجذورها من خلال الازياء او الديكور او الاكسسوار او المكياج، فهي اشارة لاشارة للمادة نفسها او صناعتها، أي ان المتلقي لا يهتم هل المادة سواء كانت (الملابس او الديكور او الاكسسوار) حقيقة ام مزيفة بل يهتم اشارتها بصدق لعوالمها ودرجة تطابقها التمثيلي

(1) اسعد، سامية: الدلالة المسرحية، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الرابع، الكويت، يناير، 1980، ص 87.

(2) بوغاتيريف، بيتر، مصدر سابق، ص 63.

لما تترجمه من صلات بينها وبين من يستخدمونها في العرض المسرحي حيث "ترى النظارة هذه الأشياء ليس كاشياء مادية فعلية فحسب بل كإشارة لإشارة أو كإشارة لأشياء مادية"⁽¹⁾، إذ تكون درجة الاتقان ضرورية لتمثيل تلك الإشارة بصدق لما ترمي اليه، فالمتلقي لا يهمه زيف الأكسسوار أو حقيقتها أو الموجودات على الخشبة، وكما اشرنا فان التطابق الوهمي هو محور اساس في مصداقية المشاهدة في المسرح الواقعي ومتداداته، ولكن في المسرحيات البعيدة عن الواقعية ليس هناك علاقة مهمة بين الأزياء والديكور أو الإكسسوار وبين معالم الشخصية وانتمائها، لأنها تتبنى (الأداء الراديكالي) المتحرر من العلاقات السيكلوجية أو أبعاد الشخصية الحياتية وتحليلها الداخلي و الخارجي وعلاقاتها السلوكية فهو "يعمل على وضع طريقة من الأداء المسرحي تبرز وضعه كأداء مسرحي، وهذا الاتجاه الجمالي المضادة للإيهام يجتاز مرحلة ابعد في لعبة النهاية وهي نص ينتمي الى ما وراء المسرح لا يدور في بيئة مسرحية"⁽²⁾، وقد تشير العلامة الى العاهات الخلقية من خلال استخدام المهمات المسرحية كالعكاز أو الكرسي المتحرك ويبقى التناظر والتناقض الذي تبثه العلامة من دلالات هو بمثابة تبسيط لوصول الصورة المسرحية المتمركزة الى ذهن المتلقي من دون معاناة.

4- تفعيل الخيال والارتجال التلقائي

أي بمعنى ان العلامة قادرة على إنشاء تداعيات الخيال بين الممثل والمتلقي او بين الخشبة والصالة قوامها سيرورة مشتركة في تبني الفعل المسرحي وأحداثه تبنيًا قائمًا على مجموعة من السبل والوسائل أثناء العرض المسرحي قد تكون من خلال (علامات ارتجالية متخيلة او قصدية مبتكرة) وتأثيرها الآني والبعدي في المتلقي وانتباهه، وهذا بدوره يعتمد أيضا على قيمة العلامة ودلالاتها المبنوثة ومصدرها وماهيتها في مجرى الأحداث ومقدار تبنيها للفعل المسرحي من الناحية الإدراكية لا من الناحية الحركية المجردة، ان تفعيل العلامة للخيال والتخيل وبالعكس هو بحد ذاته استفزاز للذاكرة والذهن وقيمة رمزية قد تتمخض عن علامات أخرى غايتها تفعيل ذلك الرمز المتخيل في ديناميكية الفعل والحدث المسرحي من خلال بث مجموعة من هذه الرموز في تشكيلات لها القدرة على جعل الخيال في حالة سيرورة متواصلة وفعالة "فمهمة الدلالة المسرحية ليست في عزل الرموز بقدر ما هي في تشكيل مجموعات ذات مغزى

(1) بوغاتريف، بيتر، مصدر سابق، ص 64.

(2) استون، آلين، وجورج وسافونا، مصدر سابق، ص 191.

من هذه الرموز وتوضيح كيفية تشكيلها ونشؤها⁽¹⁾، هذه السيورة الفاعلة بين الصورة المرئية المتمركزة على المسرح وبين ذاكرة المتلقي وخزينها من الصور والذكريات هو الذي يحرك فعل الخيال ويعطيه القدرة على الربط بين ما يشاهده وما يخزنه "اذ يقدر الخيال ان يستحوذ على خزين الصور الحسية في الذاكرة وعندما يكون محكوما بهدف فني يقدر ان يربط بينهما في أنماط جديدة مبهجة"⁽²⁾، أي ان هناك تطوراً خيالياً مضافاً على الصورة المرئية يعمل على استدعاء الصور في الذاكرة وتحقيق المزاوجة بينهما "اذ تقدر الصورة على استدعاء صورة أخرى سبق ان كانت مرتبطة بها"⁽³⁾، وهذا يحدث فعلاً للممثل من خلال تفعيل الخيال عنده باعتباره (المكون للعرض) من خلال قدرة العلامة على تنشيط الفعل الذاتي له، جعله في مساحة وفعل حر على ملاحقة (أشياء وهمية) (مرتجلة او قصدية) ويجري من خلالها استحداث علامات إضافية قادرة على تعزيز الأداء التمثيلي وفكرة العرض وتجعله "كيف يتصور ويتخيل دائرة الضوء هذه حتى لو لم تكن موجودة بالفعل بعد ذلك، ويظل تصوره هذا قائماً في خلدته ومخيلته بعد ذلك للأبد وأثناء الأداء الفعلي"⁽⁴⁾، وهذا ما قاد الى بروز (الارتجال التلقائي او الارتجال الخيالي) الداعم لبروز علامات ارتجالية آنية تدعم فكرة المسرحية او تدعم الأداء اللحظي للممثل في تعريف الصورة المرئية على خشبة "فالارتجال يعني فن الخلق في نفس لحظة التنفيذ"⁽⁵⁾، ويمكن ان نخلق من العلامات المرتجلة (المتخيلة) التفاته للتحايل على الأخطاء التي تحصل على الخشبة حيث يستدعي وعي الممثل الآني تجاوزها من خلال حركة او فعل يعطي دلالة استمراريته للحدث الذي وقع فيه الخطأ او الارتباك، فقد "كانت إحدى الممثلات في مشهد من المشاهد منهكة في تقشير الجزر في احد الأحواض، ثم سقطت منها واحدة مصادفة ثم استردتها وقامت بغسلها تلقائياً ودون تردد فقاموا بتهنئتها لذلك فقد اخذ هذا على انه استشفاف تام للدور من جانبها وامتصاص تام وانغماس في حياة الشخصية الخيالية"⁽⁶⁾، هذا الترابط العلاماتي بفعل ما يحصل على الخشبة في خيال الممثل وحركته وتلقائيته وبين خيال المتلقي المتحفز هو الذي يعطي القدرة على الاستمتاع او النقد الجمالي والفكري للعرض وفعاليته.

(1) سفيلد، ان اوبر، مصدر سابق، ص 25.

(2) بريث، ر.ل.ج. التصور والخيال، تر: عبد الواحد لؤلؤة، (بغداد: دار الرشيد للنشر، 1979)، ص 17.

(3) المصدر نفسه، ص 20.

(4) كونل، كولن، مصدر سابق، ص 68.

(5) روفيني، فرانكو: الوسط المسرحي ما قبل التعبير، الطاقة، الحضور، تر: اليان ديشا، في: كتاب طاقة

الممثل، (القاهرة: وزارة الثقافة، مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، 1999)، ص 174.

(6) كونل، كولن، مصدر سابق، ص 103.

5- تفعيل الشفرة داخل العلامة

ان العلاقة بين العلامة كمنتج للمعنى الدلالي من خلال رموزها وبين الشفرة كفعالية مستقلة باتت تستحوذ على معظم النشاط الفكري للعلامة (المعقدة) داخل النص والعرض معا وارتباطها (أي الشفرة) بالتأويل المعتمد على فعلها داخل العلامة فهي " كل الوحدات التي وظيفتها التعبير عن سؤال بطرائق مختلفة واستجابة وتنوع الأحداث العفوية التي تستطيع اما ان تصوغ السؤال او تؤخر جوابه"⁽¹⁾، وعليه فان استحواذ العلامة على مجمل ما يحصل في العرض المسرحي وديناميكيته وتواصله الجمالي والمعرفي والدرامي وبين المتلقي ومرجعياته الثقافية تجعل من إنشاء الشفرة داخل العلامة من المهمات المهمة في تحفيزها للفعل والحدث المسرحي ومن ثم ذهن المتلقي ومدى استيعابه لتلك الشفرة في مستوياته المختلفة حيث "تتسم بعض الشفرات بالوضوح الى درجة كبيرة، في حين تتسم بعضها الآخر بإفساح المجال لتأويلات مختلفة، وقد توجد أيضا شفرات فرعية داخل حدود الشفرة"⁽²⁾، وهذا يعني أهمية الشفرة وقدرتها التأويلية على محاكاة المعنى، ومن ثم فان قيمة العلامة تتبع من أهمية شفرتها ومن هذه الأهمية فان الشفرة لا تصل الى المتلقي الا بعد مرورها بمراحل تضمينية لمؤلف النص والمخرج المسرحي إذ :

1. "يقوم الكاتب الدرامي بتشفير النص من حيث إدراكه لوظيفته كمخطط أولي للإخراج المسرحي.
2. يقوم المخرج بحل شفرة النص وتبدأ عملية قيادة او تعاون مع فريق العرض، ويتوصل الى ميزانسين
3. يقوم المصمم بإعادة تشفير النص لتطوير وتنمية مجموعة التصميمات في إطار القيود المالية والمكانية.
4. يقوم المخرج بحل شفرة العرض ويحدث جدل متبادل بينه وبين البعد البصري كعامل مكمل لعملية التلقي"⁽³⁾، ومن هذا السياق تكتمل دورة التشفير داخل العلامة لتحريك الحدث المسرحي نحو تأويلية فعالة للذهن والحس.

(1) هوكز، ترنس: البنيوية وعلم الإشارة، تر: مجيد الماشطة، (بغداد: دائرة الشؤون الثقافية العامة، 1986)، ص 106-107.

(2) تشاندلر، دانيال: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات، تر: شاكِر عبد الحميد، (القاهرة: أكاديمية الفنون، 2002)، ص 30.

(3) استون، الين وجورج سافونا، مصدر سابق، ص 198.

ديناميكية العلامة في العرض المسرحي

ان تعبير ديناميكية العلامة في العرض المسرحي يعني قدرتها على انشاء مزاحمة معرفية متواصلة في ذهن المتلقي، وامكانية ايجاد تداعيات حركية وحسية ونفسية واجتماعية لديه، ومن ثم الخروج بوعي قادر على تحويل تلك العلامة ودلالاتها (المعنى) الى فعل حياتي وجمالي وفكري، بالطبع من خلال ما يحصل على الخشبة من قوة تجسيد الحدث المسرحي ورموزه وعلاماته وشفراته، ولكن ما الذي يحدد ديناميكية العلامة في العرض المسرحي ومن ثم هذا التأثير في إثراء المشاهدة أو بعدها ؟

ان العلامة لا تأتي عن فراغ بل عبر سيرورة تحدد قيمتها الفعلية في انشاء الحراك الدرامي على الخشبة، وبالتحديد فان قوة العلامة وديناميكيته في العرض المسرحي من قوة موضوعاتها والفكرة التي انتجتها، والاهم من الممثلين الذين جسدوها وحملوها وارسلوها لذا فان "الموضوع الديناميكي هو الشيء في ذاته وهو الذي يحرك انتاج العلامة وكل علامة تعبر بصفة مباشرة عن موضوع مباشر يمكن تعريفه على انه مضمونها"⁽¹⁾، وبذلك تتشكل خواص العلامة وملاحمها أو قوتها ودلالاتها من الخلفية التي انتجتها وفعاليتها في جعل الصراع قائما ومحتمما، وظهور الازمة المسرحية بسبب حراكها، أي قدرتها على تشكيل الحدث والتوجه به الى ذروته القصوى "فالمندبل المطرز الذي تفقده دزدمونة بمحض الصدفة يتحول في المسرحية الى قوة مدمرة تقود عطيل الى الجنون ودزدمونة الى الهلاك، فالمندبل البريء يتحول في عيني عطيل الى شخصية شيطانية والى احد اطراف لعبة الخيانة التي يتصور ان زوجته تلعبها سرا"⁽²⁾، هذه القوة الديناميكية للعلامة بفعل المندبل البسيط خلق صراعا مأساويا لكل الاطراف وتازمها المتصاعد، فبمجرد سقوط والنقاط المندبل من الارض تشكلت اولى ملاحم المؤامرة على الخيانة المزعومة، وبذلك تشكلت بفعل العلامة (المندبل) حالة جديدة في بنية العرض ونقلته الى فعل حركي درامي شديد التعقيد، وبذلك فان هذه العلامة بديناميكيته، اختصرت واختزلت الإحداث والمشاهد والحوارات وعوضت عنها ببدايل بسيطة (مندبل، رسالة، مفتاح، صور فوتوغرافية)، ولكنها مؤثرة وشديدة الخطورة في استغلالها الدرامي، فمن السهولة ان نستغني عن الممثل ببدايل ولو مؤقتة، ولكن من الصعب ان نترك العرض بلا علامات أي بلا دلالات فالليس ضروريا ان يكون الممثل كائنا بشريا لان الممثل قد يكون قطعة خشب ايضا، اذا كانت الخشبة تتحرك وحركاتها تلازمها كلمات عندها، مثل هذه القطعة الخشبية تستطيع ان تمثل شخصية في

(1) ايكو، امبرتو، السيميائية وفلسفة اللغة، مصدر سابق، ص 463.

(2) هلتون، جوليان، مصدر سابق، ص 163.

مسرحية وتصبح ممثلاً⁽¹⁾، ومثلما العلامة تتحول فتغير مدلولاتها بفعل تحريكها بعلامة أخرى، فانها تصبح بحالة حركية ومتغيرة في الوظيفية الدلالية والدرامية، أي بمعنى ان هذا الفعل العلاماتي وديناميكيته لم يأت من فراغ بل وراءه قوة محرّكة، أي ان العلامات تلاحم علامات أخرى وتدفعها نحو التأزم الأصعب، وذات العلامة (هنا الممثل) احوالت المندبل (العلامة الأخرى) من بساطتها على تعقيدها على اعتبار ان كل شيء على المسرح هو علامة بما فيها (الممثل) الذي يشكل قوة دافعة رئيسة تتحرك من خلالها الموجودات والعلامات الأخرى وقد تكون هذه القوى المحركة لها هي قوة طبيعية (عاصفة، مطرا، رياحا، زلزالا) او بفعل ابتكار في تغير الموجودات او عناصر العرض المسرحية (اضاءة، موسيقى، قطع الديكور) والتي تتغير بفعل تدخل بشري تقني يتبع فكرة الاخراج والتصميم المسرحي، هذه القوى تكون مسؤولة عن التحول العلاماتي ومن ثم الدلالي من شكل الى اخر ومن تاثير محدود الى اكبر أي تغير نمط الصراع الى وجهة اعنف او على العكس من ذلك فان "الشخص (أ) معه خنجر، والخنجر هنا كجزء من الذي تظهر المكانة النبيلة او المنزلة العسكرية للشخص المرتدي ذلك الزي.. الشخص (ب) يهين الشخص (أ) الذي يستل خنجره، يطعن (ب) ويقتله هنا في اطار فعل معين تتجه فجأة قوة فعل الخنجر نحو المقدمة.. (الشخص أ) يهرب حاملا خنجراً ملطخ بالدم، فالخنجر هنا يرمز الى الجريمة ولكن بذات الوقت يرتبط بالهرب"⁽²⁾.

هذا التحول في فعل الخنجر من علامة سكونية تدل فقط على زي عسكري الى علامة متحركة (قاتلة) بفعل علامة أخرى (ممثل)، قد احدث صراعا جديدا، وديناميكية في مجمل احوال العرض المسرحي، ونقلته بفعل هذا الحراك العلاماتي الى منطقة شديدة التعقيد والحل، ولكن يبقى جزءا من ديناميكية العلامة هو ارتباطها بفعالية الممثل وقدرته على رسم شخصيته وتحريك موجوداته وتعامله مع عناصر العرض واسلوب انتاجه واخراجة لتلك العلامة، فهناك ممثلون قادرون بفعل أدوارهم النشطة من انتاج وتحريك العلامات ومن ثم تحريك الفعل والحدث المسرحي وآخرون ليس لديهم القدرة على فعل ذلك لضعف ادوارهم واعتبارهم اكسسوارات بشرية وعدم قدرتهم على تجسيد تلك الادوار لضعفهم في الاداء المسرحي، ومن ثم ضعف في حركية (العلامة) وديناميكيته، ولكن هذه الديناميكية لا تأتي من مجرد وجود العلامة وتحريكها او تحويلها في العرض، بل في مدى إجادة وضعها الزماني والمكاني في ذلك الحدث وتوقيت

(1) هونزل، يندريك، ديناميكية الاشارة في المسرح، مصدر سابق، ص 98.

(2) فيلنروسكي، يوري، الانسان والموضوع المسرحي، تر : ادمير كوريه، في : كتاب سيمياء براغ للمسرح،

ظهورها في اللحظة المناسبة ومن ثم تأثيرها الدلالي في العرض المسرحي إذ "يكتسب التصوير الايقوني خاصية ديناميكية وهي خاصية اساسية لتحقيق مبدأ نسبية المعنى في المسرح واعتماده على موقعه في الزمان والمكان وعلى منظور الرؤية"⁽¹⁾، ومثلما تؤدي العلامة دورها في ديناميكية الحدث المسرحي وأزماته، فلها الدور الكبير في تحديد فضاءات الخشبة (بالصوت والايحاء والاضاءة واللون والمهمات المسرحية) وكل ما يتاح لها ابراز وتركيز منطقة الفعل المسرحي لذلك "فان بنية الخشبة وشكلها وموقعها تقرره حاجات العرض، ككل العناصر التكوينية للمسرح تعتمد الخشبة بنسب مختلفة على بنية النص الدرامي"⁽²⁾.

وتبقى ديناميكية العلامة ليس في صورتها المرئية والحركية والدرامية بل حتى في صوتها المسموع الذي يشكل صورة متخيلة تعوض عن الصورة المتمركزة على الخشبة فان "هذه الاشارات الصوتية يشار لها كمشاهد سمعية وتمثل بواسطة الالات الكاتبة للدلالة على مكتب وجلبه المثقاب الهوائي ودمدمة عربات سكة الحديد تمثل منجما للفحم، والكأس كإحدى لوازم المسرح يمكن ان يشار إليها بصب الخمر او بصوت صادر عن ضرب قدحين بعضهما ببعض"⁽³⁾، ومن هذا تبقى ديناميكية العلامة قادرة على اخراج العمل المسرحي بشكل فعال وحيوي قابل للمشاهدة.

(1) هلتون، جوليان، مصدر سابق، ص 73.

(2) فليتروسكي: يوري، النص الدرامي كعنصر اساسي في المسرح، تر: ادمير كوريه، في: كتاب سيميائ براغ للمسرح، مصدر سابق، ص 156.

(3) هونزل، يندريك، ديناميكية الاشارة في المسرح، مصدر سابق، ص 99.

العلامة بين النص والعرض المسرحي

ان اهم الاشكالات التي تتعارض بين النص والعرض المسرحي هي الحالة القسرية عند القراءة على تخيل الاحداث والشخص والاماكن والطرق ووسائل النقل ومن ثم بقاء هذه العلامات اسيرة لمستوى هذا التخيل، لانها ساكنة وذات فعالية محدودة لعدم امكانية تجسيدها وامتلاكها الشكل في صياغته المرئية الثابتة، فالكرسي علامة ولكن ما شكله في الصورة القرائية المتخيلة، وكذلك السيف ما سمكه ، طوله، وزنه، اذن فقراءة النص المسرحي هو "عرض خيالي يصوغه القاريء ،هو عرض منقطع جزئي وبشكل عام فقير لا يستخدم سوى اشياء نصية، فان العرض الخيالي يتضمن ما سبق تسجيله في ذاكرة القاريء"⁽¹⁾، أي اعتماده على ذاكرة القاريء وما يخزنه من صور وذكريات شبيهة بما يحتويه النص وعرضه المتخيل، اما في العرض المسرحي فما يشاهده المتلقي لا يحتاج الى التحلق في الخيال فالممثلون أصبحوا شخصيات مجسدة والحوار صار كلمات، والحركة إشارات وإيماءات أي ان العلامة أصبحت مادة وفكرا معروضة على الخشبة تثبت دلالاتها بشكل مباشر من دون وسيط مقروء لذا فان "الدراما هي عمل ادبي بحد ذاته لا تحتاج الى شيء الا الى قراءة بسيطة لتدخل وعي الجمهور وبذات الوقت انها نص باستطاعته وغالبا كان القصد فيه ان يستخدم كعنصر لفظي للعرض المسرحي"⁽²⁾، وتبقى قراءة النص المتخيلة تختلف من شخص الى اخر وفق مرجعيته الثقافية والاجتماعية بينما في العرض الصورة واحدة لكل النظارة لان ما يشاهده ثابت ومتكرر غير قابل للتخيل، والذي يحدث للنص الدرامي عند انتقاله الى عرض درامي هو إعادة صياغته كليا من حذف وتعديل لملاحظات المؤلف وإعادة ترتيب الحوارات او تقليصها او حذف بعض الشخصيات غير المهمة او زيادة فعالية شخصية على حساب أخرى، او إعادة ترتيب الاحداث او ظهور الشخصيات وغيرها أي بمعنى التحول في تركيبية العمل السيميائي كليا من تضخيم هذه العلامة او تلك او تقليص فاعليتها بما يلائم هذا الحدث ولا يلائم ذاك فان "البنية السيميائية (المعنوية) للعمل برمتها قد اعيدت صياغتها ويتوقف مدى التحول بشكل رئيس على عدد واهمية ملاحظات المؤلف في النص أي يتوقف على اهمية الفجوات التي تحصل نتيجة حذف تلك الملاحظات"⁽³⁾، وهذا ما يجعل ملاحظات المؤلف مهمة في بادئ الامر في تحديد اعمار الشخصيات وصفاتهم او الاماكن التي يعيشون فيها او التعليق على خروجهم ودخولهم وكذلك بقاء صفة الحوار في

(1) سفيلد، ان اوبر، مصدر سابق، ص 13.

(2) فلتروسكي، يوري: النص الدرامي كعنصر اساسي في المسرح، مصدر سابق، ص 152.

(3) المصدر نفسه، ص 154.

النص ثابتا لانه يمثل اختلاف انماط كل شخصية عن الاخرى فان "دور الحوار في النصوص الدرامية عموما هو تحديد الشخصية والمكان والفعل"⁽¹⁾، ولكن في العرض المسرحي لا نعتمد فقط على الحوار بل الصورة المرئية لصاحب هذا الحوار حيث نسمعه لا نقرأه وهو يشير لا نتخيل تمثيل حركته، وهذا مهم على اختلاف النص المقروء عن نص العرض خصوصا عند المخرجين البعيدين عن كلاسيكية النقل الحرفي للنص والذين يعيدون صياغة النص الى عرض مختلف فيه الكثير من الانزياحات الشكلية وحتى الفكرية، وبذلك يؤسسون الى نص فرعي هو بغاية الاختلاف عن النص الاصلي وهذا ما فعله (ستانسلافسكي) في اخراجه لمسرحيات (تشخيف) إذ أن "فريق العرض او المخرج الحديث مضطرون الى ان يخلقوا نصا فرعيا خاص بهم ومن الواضح ان هذا السبيل مفتوح امام المخرج او لفريق العرض. فقد اضاف ستانسلافسكي على سبيل المثال نصه الفرعي التصويري والشفاهي الى مسرحيات تشخوف"⁽²⁾، بهذا ينتقل النص الدرامي الى عرض مستحدث بشكل جديد مرئي، فية أ ناس (ممثلون) محاطون بديكور ومهمات مسرحية، و تسلط عليهم الانارة ويسمعون الموسيقى والمؤثرات الصوتية ويشاهدون من قبل جمهور يشغل الصالة، كذلك فان العلامة في النص المسرحي مقصورة على المتخيل منها وما تصل إليه العين لان ما يقرأ لا كما يشاهد او بالأحرى فان الطاقة المحدودة للتخيل لا تسمح بظهور عشرات العلامات المختبئة هنا وهناك، ولكنها تكون بارزة في العرض بين ثنايا الاكسسوار والديكور والملابس والاضاءة والموسيقى وحركة الممثل وصوته ومكياجه فكل شي على المسرح هو علامة دالة بالوجوب .

ان العلامة تبقى قاصرة في التحرك الا ضمن رقعة بسيطة في النص المسرحي ولكنها متشظية ومتزاحمة في العرض المسرحي ويتقبلها النظارة لانها مجسدة وشاخصة من خلال ردود افعالهم عليها ومن ثم احساس الممثل بهذه الردود وما يدور في اخلدتهم من تعاطف او بغض لتلك الحركة او القطعة او الاشارة، كما ان عناصر العرض وسينوغرافية تعلن عن علامات جديدة وتضخمها وتبرزها في تحولاتها من حالة الى اخرى ومن مهمة الى اخرى ومن ثم من دلالة الى اخرى لا كما يحدث في النص حيث السكونية في حركتها وتأثيرها المحدود والذي يأتي على شكل ملاحظات من المؤلف او من حوار احدى الشخصيات ولكن في العرض فإنها تتحرك من خلال فعالية عناصر المسرح وحركة الممثل ذهابا وإيابا فلا حاجة ان يقول المؤلف (يدخل فلان ويخرج فلان) او يقول (جاء المساء) او (اشرقت الشمس) حيث ان علامة هذه الأفعال

(1) استون، الين وجورج سافونا، مصدر سابق، ص 80.

(2) المصدر نفسه، ص 110.

والظواهر تتكشف وتتغير من خلال تغير الضوء وخفوته دلالة على حلول المساء وزيادته دلالة على الصباح أو سماع صوت الديك دلالة على شروق الشمس أو تحريك أي قطعة من الديكور أو استخدام الأكسسوار لها علاقة بجانب دلالي مهم "قالمعلومة (يهبط الليل) مثلاً قد يجري إبلاغها بواسطة تغير الاضاءة أو بواسطة مرجع لفظي أو ايمائياً"⁽¹⁾.

ولكن من وجهة أخرى فإن كثافة وانتشار العلامة في العرض المسرحي قد يؤدي الى احتمالية الوقوع في اشكالية التكرار، باعتبار وجود المتشابهات في الحركة والإنارة والصوت وعليه "إذا كان كل مظهر في العرض يحتمل السمية فذلك يعني ان المسرح لا يحتمل التكرار الا نادراً، التكرار اختزال لعلام الرسالة بواسطة الإعادة وإدخال إشارات ليست ضروره في صلب ارسال الاعلام"⁽²⁾.

وعليه فإن الخوف من الوقوع في هذا التكرار حتم التدقيق في وقت وزمان ومكان ظهور هذه العلامة، وإعطائها الشكل الجمالي والفكري وفق ارتباطها بموضوعة الحدث، على العكس مما يحصل في النص، إذ لا نشعر بالتكرار لأنه غير مرئي، فالمؤلف يكتب بأسهاب وعلى هواه ويعطي الملاحظات حتى بين الحوارات فإن "الكاتب هو سيد الكلمة المكتوبة فقط اما الممثل فهو سيد مجموعة وافرة من الوسائل التي تتضمن صوته وتعابير وجهه.. نحن نرى دائماً انساناً برمته على الخشبة وليس فقط ما يرينا الكاتب منه"⁽³⁾، وبالرغم من هذا الاختلاف في حركية العلامة ودلالاتها بين النص والعرض فإنها قد حافظت على الصدارة بفعاليتها كمترجم للأفكار والإشكال سواء كان بالتخيل أو بالحركة أو الإشارة أو الايماءة.

(1) ايلام، كير، مصدر سابق، ص 63.

(2) المصدر نفسه، ص 68.

(3) كاروفسكي، يان ميو: حول الوضع الراهن لنظرية المسرح، مصدر سابق، ص 53-54.

المبحث الثالث

الممثل وعلاماته في المونودراما

- مدخل الى الممثل وعلامته.
- الممثل كونه علامة.
- الجسد وعلاماته.
- الايقاعية الحركية المضافة.
- المساندة، الخيال- الاستدعاء
- الممثل في المونودراما بين السردية والفردانية
- الایماء وعلاماتها في المونودراما

مدخل الى الممثل وعلاماته

كان ولا يزال فن التمثيل والممثل مثاراً للجدل، كونه يشكل الجزء الأكبر من عملية العرض المسرحي، باعتباره يحدد اتجاه المؤلف وفكرته، ومن ثم المخرج في تجسيد أسلوبهما في ذلك العرض وصياغتها، أو ربما العكس في حالة فشل ذلك التجسيد في أداء وظيفته بشكل غير مقصود، أو متعمد أولاً إرادي، ومنذ العصور البدائية كان الإنسان منزوعاً إلى تجسيد ارادته بشتى العلامات ومن أبرزها (المحاكاة)، التي كانت تتمثل بشكل طقوس علاماته للوصول إلى الروح أو التقرب إلى قوى لمساعدته في الصيد، أو من خلال تشكيل علامات من شأنها الاحتفال بعرف اجتماعي يخص متطلبات القبيلة من خلال الإتيان بحركات وأصوات أو إيماءات خاصة بهم "كعلاج شخص مريض - أو الإشراف على طقوس كالميلاد، والختان، والزواج - والموت، أو من أجل طلب العون من القوى الكامنة وراء الطبيعة"⁽¹⁾، ومنذ ذلك الوقت إلى الآن تطورت تلك الأفعال الإنسانية البدائية وتحولت وأخذت أبعاداً أخرى في التجسيد الإنساني، من محاكاة لضرورات الحياة إلى حرفة للتجسيد بعلامات مقصودة رامزة وراءها إنسان يدعى (الممثل)، أدرك معنى نقل الأفكار والحكايات والأساطير والشخص إلى إنسان ندعوهم المتلقون أو الجمهور أو النظارة، فقد ارتبط فن التمثيل والممثل بالأداء كمترجم للعلامة بشكلها اللغوي أو الحركي، ومن ثم أصبحت خشبة المسرح المركز الأساس في تجسيدها وإيصالها إلى المتلقي بشكل مباشر أو مبطن، وهذا ما يشكل قيمة حقيقية للمسرح باعتباره البودقة لمجموعة من الفنون تتشكل أو تتصاهر في تكوين شكل العلامة من خلال سيرورة معقدة يحركها الممثل، كونه المحفز الأساس لباقي العلامات في شكل عناصر العرض أو موجودات الخشبة فأننا "يجب أن نعترف أن العروض المسرحية تتميز عن جميع الأعمال الفنية الأخرى وعن الأشياء المادية التي هي أيضاً إشارات بغزارة إشاراتها لأن العرض المسرحي هو بنية مؤلفة من عناصر فنون مختلفة كالشعر والفنون التشكيلية والموسيقى والرقص"⁽²⁾، هذه التعددية للعناصر المؤلفة للعرض المسرحي قاد إلى إنشاء مجموعة كبيرة من العلامات وبأشكال مختلفة يقونية، رمزية، إشارية أو طبيعية واصطناعية، حتمت اختلافاً جديداً في التلقي فرضته حالة التنوع في التأويل والتفسير، حيث أن "هذه التعددية للإشارة في الفن المسرحي تزداد بحكم أن المتفرجين مختلفون يفهمون ذات المشهد بطرق مختلفة"⁽³⁾، والممثل عندما يجسد علاماته بصدق فإنها موجهة بالأساس إلى ذلك

(1) ويلسون، جلين: مصدر سابق، ص 63.

(2) بوغاتيرف، بيتر، مصدر سابق، ص 76.

(3) المصدر نفسه، ص 76.

المتلقي، ومن ثم فانه يؤمن بان تحدياته لا تعوزها الافعال بل القناعة والايمان، فهو في صراع دائم ومزدوج مع نفسه لتقديم الافضل، وصراع ثان مع الشخصية المسرحية لاقامة تجانس مع صفاتها الاساسية (وهي الجديدة والطارئة عليه). فهو في تحد مستمر من اجل الوصول بهذه الثنائية لتجسيد علاماتها باحسن صورة، فمشاهدة "الممثل الذي اعجبنا كان يضحك بصدق وبشكل طبيعي(حقيقي)، لم يكن يكشر من اجل اضحاكنا... وكان يصرخ خوفا كما لو انه فزع حقا... لقد اعجبنا لاننا صدقناه ونحن نشاهده ونستمع اليه، و بان جميع ما حصل له على خشبة المسرح كان ممكنا ان يحدث في الحياة الواقعية ايضا"⁽¹⁾، ان مشاهدة هذا الرضا في اداء الممثل يجعلنا ندرك انه حقق بنجاح علامات الشخصية بشكلها الجمالي والفكري، وفي القدرة على المزوجة بين الشعور واللاشعور، بين الداخل، والخارج، بين الباطن والظاهر، بين الوعي واللاوعي... كل هذه تجعل من الممثل ذا قدرة على استحصال موقف حقيقي من افعال الشخصية (علاماتها) التي لا تتبلور، الا من خلال وعيه وثقافته في استنهاض طرفي المعادلة، بين علاماته وعلامات الشخصية باتجاه اثاره علامات جديدة لها او المغروزة في الباطن، وهذا لا يحدث الا من خلال فهم واع لجذلية الوعي واللاوعي عند الممثل (المحالة اليه الشخصية)، وخلق جسور بينها لتاتي الشخصية وتجد من يفهمها من دون معاناة، وهنا يرى (فاختنكوف) احد تلامذة (ستانسلافسكي) بقوله: "ان تعليم الممثل يجب ان يثري اللاوعي عنده بمختلف المهارات، ان يثريه بالقدرة على تحرير نفسه، وعلى التركيز والجدية، بل والقدرة على المسرحية... واللاوعي عند (الممثل) يجب اثرائه بالقدرة على اكتساب الحيوية وعلى التعبير والملاحظة وعلى التكيف بسهولة... وان الممثل الذي يغذي -عن وعي- اللاوعي ويصل الى النتيجة باللاوعي يكون ممثلا موهوبا، اما الممثل الذي يفسر الوعي باللاوعي ويصل باللاوعي الى النتيجة فهو ممثل عبقرى"⁽²⁾، ومن هنا ادرك الممثل قيمة تجسيده للعلامة وتحديد اتجاهاتها من خلال رسم الصورة المتخيلة للشخصية والمدرسة لاحقا على الخشبة، وتأثير هذا التجسيد على القيمة الحسية والفكرية للعلامة المبنوثة الى المتلقي وقدرتها الدرامية في تشكيل الفعل والحدث الدرامي، هذا النظام المعقد الذي يشارك فيه الممثل الشخصية في طرح العلامات خضع لاختبار العلاقة بينهما على من يقود الاخر او من يخضع لمن، هل الممثل بتاريخيته منذ الولادة كونه انساناً فناناً مبدعاً يحمل علامات راسخة

(1) ي،م، رابو بورت، الممثل وعمله، تر: عادل كوركيس، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1992)، ص 9-10.

(2) ديور، ادوين : فن التمثيل، افاق واعماق، ج1، تر: مركز اللغات والترجمة، (القاهرة، وزارة الثقافة، مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، 1998)، ص 8.

لا يستطيع الخلاص منها في، لهجته، وسرعة حوار، وإيقاعه، ونبرته، وعلامات جسده من طول وحجم؟ أم الشخصية وإبعادها المتخيلة؟... وفي رأي الباحث أن الشخصية هي التي تتبع الممثل لا العكس، فادراك الممثل ووعيه و من ثم لا وعيه هو الخزين العميق الذي يخلق معايير الشخصية... ومن هنا تبرز علاماتها من خلال ميل الممثل لنمط العلامات التي تستهويه هو لا (الشخصية) سواء كان في الأزياء ولونها وتفصالتها، أو المكياج على الوجه أو طول الشعر ولونه، أو طبيعة تحرك الجسد أو أسلوب النطق أو المشية على الخشبة، أو أسلوب التعامل مع عناصر العرض، وهذا ما يجعل اختلاف تناول الشخصية المسرحية وإدائها بين عدة ممثلين بأشكال وتفسيرات وتحليلات مختلفة، ويميل الباحث في عمل الممثل وعلاماته من خلال الممثل والمخرج والكاتب المسرحي (بوريس زاخوفا) 1896-1970 بقوله: "يعبر الممثل عن الشخصية التي يبدعها بسلوكه وفعاله، أن قيام الممثل بأعادة تجسيد سلوك الإنسان إنما يهدف الى خلق صورة مسرحية معبرة ومتكاملة، وهذا ما يشكل جوهر فن التمثيل، وتتوزع سلوك الإنسان حالتان احدهما فيزيائية والاخرى نفسية، وليس لاحدهما أن تنفصل عن الاخرى... لهذا يستحيل فهم سلوك الإنسان وتصرفاته بدون فهم مشاعره وافكاره... وبدون فهم علاقاته وارتباطاته الموضوعية بما ينتظمه المحيط من حوله"⁽¹⁾، ولكن مع ذلك فإن (الممثل) يحاول أن يقرب علاماته الراسخة في وعيه وجسده الى العلامات المفترضة، في تخيله وتحليله للشخصية، وإبعاد التناقضات الحاصلة في علامات الاثنين، ومحاولة مطاوعتها وديا مع الشخصية، فالممثل قد يكره اللون الاسود لانه علامة سيئة في حياته، ولكن الشخصية تحبه كثيرا لسبب ما، هذا التناقض في تناول العلامة لابد له أن يؤخذ على أساس التنازل الوقتي (زمن العرض) لصالح الشخصية دون الامساس بالرغبة الكامنة لكره الممثل لهذه العلامة أو تلك، يقول (أوجستو بوال) "أن التصور الأساس الذي يحتاجه الممثل ليس كينونة الشخصية ولكن رغبتها، إذ لا يجب أن يسأل الممثل من أنا؟ بل يسأل ماذا يريد، فالسؤال الاول يؤدي الى تكوين بحيرات الاحساس الراكدة، بينما الثاني متحرك ويتميز بالصراع وهو بالتالي مسرحي"⁽²⁾، ولكي يحقق الممثل علاماته الراسخة وعلامات الشخصيات المتعددة من دون تناقض واضح، كان عليه أن يستعمل ادواته وعناصر عرضه لمرور العلامات الناتجة من فهم احدهما للآخر وجعلها مبتكرة ومقنعة وهذا ما يميز ممثل عن

(1) زاخوفا، بوريس: فن الممثل والمخرج، تر: عبد الهادي الراوي، (عمان: منشورات وزارة الثقافة، 1969)، ص 17.

(2) بوال، أوجستو: ألعاب الممثلين وغير الممثلين، (القاهرة: وزارة الثقافة، مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، 1997)، ص 74.

آخر في تناوله للشخصية، فامام الممثل ثلاثه تحديات رئيسة، وهي "1. المهارات الخاصة [ادواته الداخلية: العقل والعواطف]، و الخارجية: (الصوت والجسد)، 2. جعل الشخصيات قابلة للتصديق 3. مزج المجالين الداخلي والخارجي"⁽¹⁾، ومن هذه الاليات ينطلق الممثل كي يتعامل مع الشخصية من خلال فهمه وتحليله لها وفق النوازع البشرية الثابتة (القيم والاخلاق) والمتغيرة (الطبيعة النفسية) ووفق بيئتها وحسب التحليل المنطقي للمرجعيات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وازاء ذلك يجد الممثل ان علاماته قد ارتبطت مع علامات الشخصية او امتزجت في قسم منها على الرغم من التناقض في قسم اخر منها، ولكنه مع ذلك لا ينفك ان يعطي القسم الاكبر من اهتمامه في اقامة توازن بين ما يعتقده وما يريده وما ينبغي ان يفعله على خشبة، ان "واجبات الممثل او مسؤولياته هي ان يقوم بخلق واداء -او عرض- الحياة الداخلية للشخصية، ولكي ينجح في ذلك عليه ان يتكلم بوضوح ويطلق صوته في ارجاء المسرح وان يتحرك على خشبة المسرح بسهولة وتمكن، وان يرتدي ملابس الدور بشكل لائق ومطابق للشخصية، وان يتواصل ويتعاون مع باقي الممثلين على المسرح"⁽²⁾، ومثلما يجسد الممثل بعلاماته علامات الشخصية فانه ليس بمعزل عن علامات المحيط الاصلي لتلك الشخصية (المتخيل) ومن ثم علامات محيطه المصطنع كمدر ك قائم على الخشبة والذي يتحرك من خلاله والاستعانة بموجوداته، فهناك مجموعة كبيرة من العلامات القائمة والتي تتشكل بذاتها والتي تولد او تتولد من خلالها مجموعة اخرى من العلامات حيث تكون الصورة المسرحية المتمركزة على الخشبة ومدلولاتها المتحولة والتي قطعا تاتي من خلال معرفة التكنيك المسرحي والحرفة العالية والخيال المطلق والذي يتشكل مع "العلاقة بين الممثل واجزاء خشبة المسرح وعلاقته بالجمهور وعلاقته بالممثلين الاخرين"⁽³⁾، هذه الشبكة من العلاقات بين الممثل والشخصية وبين باقي الممثلين ومن ثم الخشبة وموجوداتها وبين الجمهور تشكل بمجموعها عشرات العلامات المنتجة والتي تحقق تكاملاً في الشكل والمضمون الدلالي بما يحقق نجاح العرض.

(1) ديور، ادوين، مصدر سابق، ص 14.

(2) المصدر نفسه، ص 14.

(3) دين، الكسندر؛ إيسس الاخراج المسرحي، تر : سعدية غنيم، [القاهرة:وزارة الثقافة،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1986]، ص 53.

الممثل كونه علامة

يطرح بعض المعنيين بالعلامة داخل المسرح افكارهم بالتقليل من شأن الممثل والتعويض عنه بعلامات اخرى ولو لفترة وجيزة، وهذا ما ذهب اليه (يان ميوكاروفسكي) في مقالته (حول الوضع الراهن لنظرية المسرح) بقوله: "حتى الممثل نفسه الذي هو اداة الفعل الدرامي قد يختفي انيا من المسرح، قد يقوم بدوره عنصر اخر كالضوء مثلا"⁽¹⁾، وكذلك اطروحات (يندريك هونزل) في مجال تحرر الخشبة من قيودها البنائية والفكرية بقوله: "اذا كان التمثيل يكمن فقط في تمثيل الشخصية الدرامية بواسطة شيء ما، عندها ليس الشخص وحده قادرا ان يكون ممثلا بل حتى الدمى الخشبية والالة"⁽²⁾، هذه الناحية التعويضية عن الممثل (حتى لفترة قصيرة) بعيدة عن الموضوعية وذلك باعتبار الممثل هو المسرح ومحركة والمحفز لعناصره والجامع لها وهو الباعث الديناميكي لاوصاله ومن ثم هو العلامة الرئيسة لكل العلامات على خشبة المسرح "فبينما يعمل المسرح بوصفه نظام علامات من خلال استخدامه المتغير للمكونات المسرحية، فان الممثل، خلال تاريخ المسرح الطويل، ظل بصفة عامة مهيمنا ومسيطر في هذا التدرج المتغير، ولهذا السبب كان الممثل موضوعا هاماً من موضوعات الدرس السيميوطيقي"⁽³⁾، وهذا التاكيد على اهمية الممثل كونه مجسدا لفكرة المؤلف ونصه وكذلك المخرج فانه ايضا يشكل علامة مستقلة عن كونه صانعها وحاملها وموصلها وبأثها، وخاصة عند الممثل في المونودراما باعتباره نقطة بؤرية تسلط عليها كل ازمات النص ثم العرض المسرحي، لذا فان "الممثل هو المسرح كله، فيمكن الاستغناء عن أي شيء في العرض المسرحي الا هو، انه صلب العرض ومتعة الجمهور، ومن المفارقة ان يكون الممثل منتجا للعلامات ومنتجا بفعلها في ذات الوقت، فهو رسام لوحته القماشية وهو قماشها، وهو النحات وهو موديله وتمثاله"⁽⁴⁾، وحتى في مسرح الدمى فان الدمية لا تعطينا دليلا حاسما من خلال حركتها، بل من خلال الصوت الحوارى الذي يجسدها او المرافق لها، ومن ثم فان وجود الممثل كمنتج للعلامات جاء وفق اوليات التكوين المسرحي الذي يحتاج الى صانع ومنفذ ومنظم ومن ثم مهيمن على كل مجريات ما يحصل على الخشبة فهو "كائن بشري يتلخص دوره داخل عمله في صنع العلامات وتحويل ذاته الى

(1) كاروفسكي، يان ميو: حول الوضع الراهن لنظرية المسرح، مصدر سابق، ص 48.

(2) هونزل، ينديريك: ديناميكية الاشارة في المسرح، مصدر سابق، ص 98.

(3) استون، الين وجورج سافونا، مصدر سابق، ص 144.

(4) سفيلد، ان اوبر، مصدر سابق، ص 171.

علامات⁽¹⁾، هذا التحول الذاتي له كونه ممثل في علاماته وانتمائه لفكر الشخصية المتحولة (هي ايضا) الى علامات اخرى ترتبط بالمزاوجة بين ذاتية الممثل كونه انساناً حياً موجوداً وموضوعية الشخصية كونها انساناً اخر متحولاً او متخيلاً، هذا الصراع بين الممثل وشخصياته ينتمي الى مرحلة التناقض بين الرمزين غير المتالفين ف"هناك توتر بين ذاتية الفنان وموضوعية عمله في كل الفنون، الا ان هذا التوتر يختبر بحدة اكثر من قبل الممثل لان شخصيته التامة جسدا وروحا هي مادة فنه"⁽²⁾ ويظهر هذا التناقض اكثر وضوحا في المونودراما فقد يوجد ممثل واحد وشخصيات متعددة فوق الخشبة، لذا فالممثل هنا مصدر اساس للعلامات لانه الموعز الوحيد للموجودات على الخشبة وفي تكوين علاقات حركية معها تؤدي الى انشاء علامات جديدة او مترابطة مع السابقة او اللاحقة او الموجودة اساسا على الخشبة، فهو علامة لكل العلامات، فيكون "دور الممثل هو بنية من اشارات غاية في التعدد، اشارات يعبر عنها بالكلام بالايماء بالحركات بالوقفات بالمحاكاة بالثياب"⁽³⁾، لذا فان اداء الممثل (كونه علامة) لا يتم الا عبر مجموعة من الاشارات تجسد الشخصية (بالاشارة اليها) خلال طريقة، النطق والملابس، والمكياج، والسلوك، وازاء هذه العلاقة العلاماتية بين الممثل والشخصية، كان لابد من استيعاب الممثل لخصائص الشخصية (التقريبية) لعدم وجود تطابق بينهما في الاساس لذا فان العلامات عند الممثل في المونودراما او المسرح التقليدي (الجماعي) هي اشارة لاشارة حيث "لا يمكن اقامة معادلة بين الممثل والشخصية التي يمثل ، وان ملابس، وقناع، وايماءات الممثل ليست الا اشارة لاشاره ترمز الى الشخصية التي اراد الممثل تصويرها"⁽⁴⁾،

والممثل في المونودراما (كونه علامة مستقلة) يشكل الجانب الديناميكي المتحول والمحول لباقي العلامات على الخشبة، فان "الاشياء في المسرح تماما مثل الممثل نفسه قابلة للتحويل، كما يمكن ان يتحول الممثل على الخشبة الى شخص اخر (شاب يتحول الى شبح، وامرأة الى رجل)"⁽⁵⁾، هذا التحول لا يحصل فقط بين الممثل وشخصيته الرئيسة، بل بين شخصية واخرى وكذلك بين الممثل وكل اجزاء الخشبة الى الصالة، كعملية التحويل والاندماج مع الضوء او التالف الدلالي مع صوت الموسيقى او اللون.

(1) سفيلد، ان اوبر، مصدر سابق، ص 173.

(2) كاروفسكي، يان ميو، حول الوضع الراهن لنظرية المسرح، مصدر سابق، ص 58.

(3) بوغاتيريف، بيتر، مصدر سابق، ص 77.

(4) المصدر نفسه، ص 81.

(5) المصدر نفسه، ص 66.

الجسد وعلاماته

كان زال جسد الممثل اهم عناصره التي تتشكل من خلالها دلالاته التعبيرية عن التكوين الفكري والجمالي للنص عند بلوغه العرض المسرحي، لذا فقد اهتم الممثل بجسده لانه المكون الاكثر تجسيدا من خلال حركاته التعبيرية الكبيرة والصغيرة أي بعموم الجسد او اجزائه الایمائية وفي ايسر مكوناتها، وتوظيفه لبناء شخصياته المتخيلة او بعث العلامات ودلالاتها عبر تكويناته المختلفة، وعليه فان الجسد هو علامة مستقلة بوصفه مكوناً يشكل كيان الممثل نفسه، حيث "تعتبر حركة الجسد كوسيط اتصالي موضوع علم امريكي اساسا معاصر للبونية* تقريبا وهو الكينزياء** وقد اكتشفت الكينزياء في شكل رئيس ان كل ثقافة تختار مخزون هائل لمادة ممكنة عددا محددا بشكل صارم من وحدات الحركة الملائمة"⁽¹⁾، من هنا فقد اعتمد الممثل في المونودراما بجانب سرديته وفي كثير من الاوقات على التعبير بالحركة لانها تشكل التأثير الاكبر والمباشر من الكلمة، حيث تكون "الحركة من اغنى وسائل التعبير عن الافكار واكثرها مرونة، بمعنى انها تمثل اكبر مجموعات الدلالات اتساعا وتطورا، وقد تكون الحركة اليد او الذراع او الساق او الراس او الجسد كله. وتسعى الحركة الى خلق بعض الدلالات وتوصيلها"⁽²⁾، وهذا ما يحدث في خصوصية الجسد عند الممثل في المونودراما لانه بحاجة اليه اكثر من الممثل في العرض التقليدي، لان الممثل هنا يتحاور مع ممثلين اخرين بالكلمة ومن ثم الجسد، اما في العرض المونودرامي فانه يتعامل مع شخصياته بالجسد (أي الحركة)، ثم الكلمة، وحتى عند تحوله من جسد ممثل الى جسد شخصياته الاخرى فانه يحتاج الى انشاء وضعيات جديدة في تكوين الجسد وتعابير الوجه بما يلائم الشخصية المتخيلة والجديدة عليه وبما يلائم تكوين العلامات وتشفيرها اذا كانت تحتاج اليه او للتعبير المباشر (اليقوني)، ومن ثم اعتماده للتوصيل الدلالي بين الخشبة والصالة، حيث "تؤلف مواصفات الممثل داخل فضاء ما- طريقة مشفرة لتوليد المعنى، كذلك تفعل حركة الممثلين في اطار الفضاء، لقد استخدم سيميوطيقو المسرح الدراسات التي تتناول الجسد الانساني كوسيلة للاتصال، أي لغة الجسد من اجل تحليل

* البونية: علم المسافة بين شخصين او اكثر، ومنه علم البون او البونية، ينظر: ايلام، كير، مصدر سابق، ص 88.

** الكينزياء: علم حركة الجسد، ينظر: المصدر نفسه، ص 110.

(1) المصدر نفسه، ص 110.

(2) اسعد، سامية، الدلالة المسرحية، مصدر سابق، ص 90.

وتشفير الايماء في العرض المسرحي⁽¹⁾، ولكن هذه الميزة في فهم الجسد لا تتبني على حركته فقط وانما حتى في سكونيته القائمة على لغة الجسد المعبرة وهذا ما يدع جسد الممثل في المونودراما يعتمد عليه في اىصال الفكرة والمعنى الدلالي عبر تالف حركاته لكي يتأكد ان هذا الترابط والتناسق موح بايصاله للعلامة ودلالاتها عبر سيرورة معقدة ومتكاملة، إذ "ان الجسد خزان للدلالات فهو يدل من خلال حركته ويدل من خلال سكونه ، ان سكون الجسد ليس سكونا ماديا، ان السكون وضع اصلي في الجسد انه الكوه التي تطل منها الذات الفاعلة في السكون على ما سيصدر عنها"⁽²⁾، ومن ثم فان جسد الممثل في المونودراما حر في انتاجه للعلامة (الحسية والفكرية) عبر التخلص او تحجيم شكله القديم (أي شكل الممثل او الشخصية الرئيسة) وانشاء تكوينات جسدية جديدة (أي علامات جديدة) عبر مجموعة من الشخصيات المستدعاة او التكوين الجسدي المتالف (المكون للعلامة) مع الموجودات على الخشبة وعناصر العرض عامة، لذا فان "الجسد يعلن عن رغباته من خلال الاعلان عن اشكاله ، وتاريخ الجسد هو تاريخ الاشكال وتاريخ البحث عن الاشكال"⁽³⁾، هذا اللا تموضع للجسد في حيز منفتح قاده الى فهم اكثر للبقعة التي يمثل عليها وجعله اكثر وعيا في التعبير عن ترابط الجسد ومحيطه، إذ "تزداد اهمية جسد الممثل وحركاته كلما تحررت خشبة المسرح من الاشكال المعمارية الثابتة والتقليدية كالابرا ومسرح العلبة الايطالية"⁽⁴⁾، ومرد ذلك ان جسد الممثل لاسيما في المونودراما هو الذي يحدد بنية الفضاء المسرحي، وكل الموجودات وعناصر العرض المسرحي، او مكان العرض المختار، وهو الناطق الزمني والتاريخي والشكلي لها، أي بمعنى اخر هو الحر في حركته الجغرافية وتوزيع مكوناته في نطاق حيزه المختار، لذا كان "الممثل حامل العلامة الرئيسية في العروض المسرحية بلا استثناء، وبالتالي فان حركاته هي التي توحى بالفضاءات من خلال الاستبدال الاستعاري الرمزي لانساق العلامات الاخرى"⁽⁵⁾، وهذا هو حال الجسد عندما يكون ديناميكيًا ومنتجا لعلاماته عبر هذه الفعالية الحركية إذ ان "الجسم في حالة حياة هو شيء اكثر من جسم يحيا الجسم في حالة حياة يمدد حضور الممثل وادراك المشاهد"⁽⁶⁾، وهذا ما يجعل

(1) استون، الين، مصدر سابق، ص 163.

(2) بنكراد، سعيد، السيميائيات، مفاهيمها، وتطبيقاتها، مصدر سابق، ص 210.

(3) المصدر نفسه، ص 212.

(4) اليوسف، اكرم، مصدر سابق، ص 123.

(5) المصدر نفسه، ص 130.

(6) باربا، اوجنيو: الجسم المتمدن، تر: اليان ديشا- برياء، في كتاب: طاقة الممثل، مصدر سابق، ص 293.

المتلقي (لا سيما في العرض المسرحي المونودرامي) في حالة ذهنية ذات ديمومة واعية الى النمط الحركي وكثافة الدلالات المعطاة من خلاله.

الايقاعية الحركية المضافة

من البديهي ان يعبر الممثل عن الشخصية التي يجسدها من خلال تحليله الدقيق لابعادها الطبيعية والمكتسبة من الحياة أي انتماؤها الجغرافي والاقتصادي (الطبقي) والعرفي (الاجتماعي) ممزوجة بطبيعة الحال بتأثيرات الممثل نفسه وإسقاطاته على ابعادها للخروج بها في حدود المعقول، وتأتي بعد ذلك افعال الممثل وتصرفاته على الخشبة، ونقصد بها الياته الحرفية من جسد وصوت وفهم دقيق لايقاع الشخصية وطريقة نطق الحوار وتقطيعه ومن ثم ترجمة ما يريده المؤلف والمخرج من تجسيد لهذه الشخصية وفق الرؤية الفكرية والجمالية لها عند ذاك تقول ان هذه الشخصية، اصبحت منتمية للوسط والرابطة التي تعيش فيها، ولما كان الجانب النفسي هو المهيمن على كل ابعاد الشخصية كونه منتجا اجتماعياً محفزاً لمجمل التصرفات السلوكية للانسان، ولما كان ايضا الجسد هو المعبر الحركي للطلبات وتنفيذها، فعند ذاك يصبح النقاء هاتين الصفتين (النفسي والجسدي) هما المعبران عن سلوك الانسان ومن ثم سلوك الممثل في فهمه للشخصية وتجسيدها، وفق مشاعرها واحاسيسها فان "قيام الممثل باعادة تجسيد سلوك الانسان انما يهدف الى خلق صورة مسرحية معبرة ومتكاملة وهذا هو ما يشكل جوهر فن التمثيل"⁽¹⁾، ان النقاء هاتين الصفتين وتحريكهما باتجاه هدف ما وباعث ما ، تحدد من خلالها الشخصية وجهتها ومسارها ومطالبها ورغباتها وعند ذاك يبدأ الصراع الدرامي في التحرك باتجاهات عدة، ولما كانت هذه الشخصيات قد دخلت لعبة هذا الصراع بمختلف الاشكال، فكان لابد من تنظيمها تنظيميا إيقاعيا أي السيطرة على فعلها من خلال ميزان تعول حركته وسيطرته للممثل صاحب الفعل والرغبة لخلق حالة تتناسب فيها الحركة مع الفعل النفسي، فالإيقاع إذن "هو التجربة التي نتلقاها حين يتسق تتابع من الانطباعات السمعية والبصرية في مجموعات متواترة ذات نبرة خاصة... وبحسب شدة الانطباعات يتم التعبير عن تجربتنا بدرجات من الانفعال الوجداني والعضلي تتفاوت ما بين الشعور الداخلي الخالص والحركة الجسمية"⁽²⁾، هذا التنظيم لانفعال الممثل ومن ثم الشخصية ومدى تأثيره في حركته الجسمية له ما يسوغه في السيطرة على نسقية او التلاؤم بين الحالتين الوجدانية والحركية، وضمان عدم خروجهما عن

(1) زاخوفا، بوريس: ، مصدر سابق، ص 17.

(2) دين، الكسندر: مصدر سابق، ص 353.

المألوف الطبيعي او احداث اختلال في التعبيرات وردود الافعال غير المنسجمة مع متطلبات الحركة الفعلية على الخشبة، ومن ثم وصول صورة غير متطابقة بين الفعل الحركي والحسي او النفسي ف"لاشك ان الشخصيات المسرحية لها دور في تحديد الايقاع. فقد يكون تفكيرهم بطيئاً او حركتهم بطيئة او خطواتهم ثقيلة، او ثابتة، وقد يتصفون بالعجلة او بسرعة التفكير ومضائية او البهجة، كل واحد من هذه المجموعات يشكل ايقاعاً مختلفاً في اساسه"⁽¹⁾، وعندما تقترب اكثر من فهم الايقاعات في المسرح فنعرفه على الآتي: "خلق انسجام بين اجزاء العنصر المسرحي الواحد، او بين العناصر كلها، والايقاع في التمثيل هو ملاحظة التالفات الصوتية والحركية ومدى ارتباطها، اما الايقاع الاخراجي فيدل على العلاقة الانسجامية بين الازياء والتمثيل والمناظر"⁽²⁾، ولو ركزنا اهتمامنا على ايقاع الممثل الذي هو بالتأكيد ايقاع التمثيل نجد التعريف السابق لا يؤدي الغرض في تكوين ايقاع منسجم وواضح، فارتباط الجسد والصوت، او تالفات الصوت مع الحركة هو محدود الاثر في تكوين موازنة ايقاعية مقنعة من دون باعث داخلي نفسي يحكم هذه العلاقة حيث يميل الباحث الى فهم الايقاع على انه علاقة طردية بين الحالة والفعل، أي بمعنى تناسب الفعل الحركي للممثل او الشخصية مع طبيعة الحالة الوجدانية السائدة على الخشبة في تلك اللحظة، فاذا تفوقت الصفة الحركية على الوجدانية او بالعكس، نقول ان الإيقاع اصبح اعلى او اسرع او ابطأ من المألوف او الطبيعي، هذه المفاهيم الايقاعية تشمل العروض المسرحية التقليدية عموماً ومن بينها العرض المسرحي المونودرامي ولكنه يتميز عنها كون الممثل هنا وحيداً على الخشبة، يتواصل في تمثيله وعرض شخصه دون اللجوء الى ممثل ثان يساعده على ضبط تالفاته الايقاعية، لذا توجب عليه تكوين منظومة ايقاعية خاصة به (ليست بمعزل عن الايقاع العام) يستطيع من خلالها ابعاد حالة الملل التي قد تحدث بسبب السردية المرافقة ووجود ممثل واحد طوال العرض يطرح شكواه، فكان لابد من وجود موازنة جديدة لجسد الممثل وحركته وصوته في المونودراما عن سواه من خلال ايقاع حركي وصوتي متواتر مضاف يتناسب مع الحالة الوجدانية لاجراها تؤمن ابقاء المتلقي في حالة من الانبهار والدهشة والاستمرارية في المتابعة عبر ضربات ايقاعية يأخذ فعلها بين الحين والحين وتضمنها داخل الوحدات الحوارية او الحركية الكبرى او الايمائية، وذلك بتقسيم الحوار الى ضربات او وحدات و اختيار مكان مناسب بينها او ضمن حركة الممثل وايماءاته لغرض زيادة المؤثر الوجداني الواعي للمتلقي كالمثال الآتي (ايقاع حركي مضاف + جملة حوارية + ايقاع صوتي او حركي مضاف +

(1) المصدر نفسه، ص 354-355.

(2) حمادة، ابراهيم، مصدر سابق، ص 86.

جملة حوارية+ ايقاع صوتي وحركي مضاف+جملة حوارية+ايقاع حركي بسيط+ جملة+ ايقاع حركي اكبر(مضاف)... ولكن من الصعوبة تضمين هذه الايقاعات المضافة في العرض المسرحي التقليدي، لان الزمن فيه لا يعطي للممثل الوقت بالمجازفة بايقاع اضافي مبتكر، لانه محاط بممثلين اخرين يحددون زمن هذا الايقاع ودرجته، اما الممثل في المونودراما فهو من يقرر زمن ايقاع فعله وعلاماته واختيار موقعها ووقت حدوثها لانه المسيطر الوحيد على منظومته العلاماتية واعتمادها التنوع الايقاعي عند تغيير المشاهد او استدعاء لشخصية جديدة واطافة الفاصل الحدي (الانتقال بين الشخصيات) بين هذه الشخصيات أي ايجاد منفذ ايقاعي مناسب للتحويل بين الشخصيات او داخل الشخصية ذاتها او الانتقال من حيز الى اخر على الخشبة او استخدام المهمات المسرحية بجعلها تصدر اصواتا تعزز حالة الانبهار الايقاعي.

المساندة، الخيال- الاستدعاء

ظل المسرح منذ نشأته تكوينا جماعيا يجد الممثل فيه العون عند المواقف الممرجة التي غالبا ما تحصل للممثل وهو على خشبة المسرح، ولكن هذه الطمأنينة تكاد تكون غير واضحة عند الممثل في المونودراما لانه يقف وحيدا فوق الخشبة، ليس له مسانده من ممثل ثان مما يجعله في حالة قلق غريزي بانه قد ينسى حواراه او حركته لسبب ما بوجود ضغط نفسي من الصالة ومن فيها من النظارة المتربقين لحركاته الصغيرة والكبيرة، ومن هنا كانت اهمية وجود وسائل تجعل الممثل في المونودراما يقلل من الاحساس بامكانية حدوث ذلك الخطأ بنسب ضعيفة بالتقليل من وطأة الاحساس بالوحدة وضعف المساندة وهيمنة الصالة عليه، ف" على الرغم من ان الممثل لا يرى المتفرجين إلا إن الصالة حية تتنفس، وهذه الأنفاس تقلق الممثل الى درجة تفوق التصور، وكلما زاد إصغاء الممثل لتردد الأنفاس الخفية، ازدادت سيطرة الهلع عليه"⁽¹⁾، هذه السيطرة من الصالة وجمهورها تفقد في بعض الأحيان تركيز الممثل لاسيما في المونودراما لان أدائه للشخصيات والانتقال السريع بين أكثر من واحدة تجعله في حالة انتباه عالٍ ومستمر، وان أي حركة غير طبيعية تحدث هنا أو هناك تحول هذا التركيز والانتباه الى تشويش في فرز الشخصيات المتلاحقة ومجاراتها وربما عدم السيطرة على حركته وتوازنها فوق الخشبة حيث "يتذكر الممثل بأنه دخل إلى الخشبة وهو يحمل فكرة فنية ما، لكن ها قد مر ثلث المشهد الهام و مع ذلك فهو لا يتذكر مطلقا ماذا فعل أو ماذا قال وها هو يحاول السيطرة على نفسه، ويحاول إخضاع تصرفاته على خشبة المسرح لرقابة وعيه، وهنا يصبح هو ذاته موضوع

(1) زاخوفا، بوريس: اعداد الممثل، تر: توفيق المؤذن، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998)، ص 111- 112

انتباهه-تصرفاته ومعاناته الخاصة على خشبة المسرح"⁽¹⁾، هذا التركيز على تركيز الممثل نفسه قد يوقعه بمشكلة خطيرة، وهي تذبذب تجسيد الشخصية ومجارات انسيابيتها لأنه قد انصرف الى ما يجري له من مشكلات في انتباهه وتركيزه العام من دون رؤية ما يحصل له وما يجول حوله على الخشبة وهنا كان لابد من تشغيل (المسيطر الإضافي) في إثناء تجسيده الفعل المسرحي وذلك بترك مسافة بينه وبين الشخصية لا تسمح باندماج يغيبه عن وعيه الآني ومن ثم إضعاف قدرته الذهنية عن معرفة أين يقف وماذا يفعل هنا لذا "لا ينبغي على الممثل عندما يعيش الشخصية بصدق وعمق على الخشبة ان يفقد ذاته ويذوب تماما في الشخصية ولو للحظة واحدة، ان قانون الممثل لا ينحصر في الاندغام او الانصهار بين الممثل والشخصية بل في وحدتها الديالكتيكية التي تفترض وجود طرفين متناقضين حتما الممثل-المبدع-والممثل الشخصية"⁽²⁾، ويرى الباحث امكانية تطبيق فكرة مختبريه تدخل في تكوين منظومة ادائية ونفسية عند الممثل في المونودراما تجعله في حالة تركيزية، إلا وهي عدّه أن الشخصية التي يجسدها ممثلا ثانيا يسانده على الخشبة وليس شخصية مسرحية وهمية قد استدعاها وتعامل معها، وهذا الامر له اسناد نفسي قادر على جعله مطمئناً (بالخيال) بعيداً عن التوتر ومن خلاله يعرف كيف يصارع مظاهر السيطرة السلبية بقوة التركيز والانتباه (المضاف) وبما ان الممثل في المونودراما قد جعل من الشخصية ممثلا ثانيا (اختباريا) فانه يستطيع بتخيله المركز كذلك ان يتصور بان كل الموجودات على الخشبة من (كرسي، منضدة، قدح، سرير) هم ممثلون يتحركون امامه جيئة وذهابا، وكذلك ينظر الى الصالة الممتلئة على انها فارغة بلا جمهور الا من زميل واحد جاء لمشاهدته او مخرج ينظر الى مستوى أدائه ، واذا حدث ان وقع خطأ ما ادى الى الارتباك فانه يستطيع ان يحاور موجوداته على الخشبة بحوار مصطنع او حركية ذكية او ايماءة متخيلة للتعويض ريثما يستعيد قدرته على المواصله من جديد او ان يصور شخصياته بدون حوارها او حركتها المنسية من خلال (البانتوميم) او التصور الارتجالي المتخيل الذي هو "التفسير البصري لكل لحظة من لحظات المسرحية وهو وضع الشخصيات في مواضع بحيث توحى بمواقفها الذهنية والوجدانية تجاه بعضها البعض الامر الذي يؤدي الى نقل طبيعة المواقف الدرامية الى النظارة دون استخدام الحوار او الحركة"⁽³⁾، هذه الحيلة التخيلية التي تمثل اشارة لاشارة (أي الإشارة إلى الشيء من دون تجسيده كاملا) ابرز ما يمكن للممثل المونودرامي ان يفعله في

(1) زاخوفا، بوريس، مصدر سابق، ص 112.

(2) المصدر نفسه، ص 51.

(3) دين، الكسندر: مصدر سابق، ص 251.

تجسيد الشخصية وتلافي نسيان جوانبها اذا وقعت، ومن ثم فانه قادر على جعل من فهمه التخلي ابتكار علامات ارتجالية جديدة، تعطيه الامكانية والسيطرة على مكوناته فوق الخشبة، حيث "يرى الممثل قطعة حبل على الارض وبمساعدة خياله ينسب للحبل ذهنيا صفات ليست من طبيعة الحبل في شيء،-صفات الثعبان يجد في نفسه العلاقة الداخلية المناسبة التي تجد دورها حالا الشكل التعبيري الخارجي لتصرفاته وافعاله في تعامله مع الحبل كما لو انه ثعبان"⁽¹⁾، ومن ذلك فان استخدام الممثل في المونودراما خاصية الخيال هذه لا لتغطي بعض أخطائه الحاصلة على الخشبة فحسب، بل لتدعيم فكر العرض المسرحي وصورته من خلال (الايماة المتخيلة) وذلك بإنشاء افعال حركية وصوتية دون الحاجة الى استخدام الموجودات الواقعية في تنفيذها كقطع الديكور او الاكسسوار او المهمات المسرحية، حيث "يصور الممثل بواسطة مجموعة من الحركات التقليدية كيف انه يقفز فوق الحواجز ويتسلق ادراج متخيله ويطا عتبة متخيلة، او يفتح باباً متخيلاً"⁽²⁾، فالزمن في المونودراما هو في الماضي، ومن ثم فان الفعل اصبح ملك الماضي لا الحاضر ولا المستقبل، أي ان الزمن قد ارتبط بالنفس او الفعل النفسي، إذ إن "الزمن في المونودراما هو زمن نفسي، لا يتقيد بلحظة تاريخية معينة لها التزاماتها الملحة على طريق الفعل"⁽³⁾، هذا الزمن الحر والفعل المقيد المرتبط بتراث الشخصية (وايضا يستطيع ان يحوله الممثل الى فعل مفتوح) ولد علامات رجعية استفاد منها الممثل عبر شخصيته باستخدام الفعل والتجسيد المتخيل المطلق وكذلك (الحلم) المعزز لطروحات الشخصية المعزولة، هذا على صعيد الفكر اما على صعيد الاستغلال العلاماتي ودلالاته والصورة المرئية الجمالية فقد افاده في حرية التحرك متجاوزا قيود المجتمع واحكامه فهو حر لانه يحلم ويتخيل فلا رقابة على ذلك، وبذلك فهو عندما يستدعي شخصياته لا يراعي الزمن التاريخي الواقعي بل الزمن المسرحي المختار وحتى ملامح شخصياته تبدو حرة لانها في الماضي وليست في الحاضر كلها من نسيج خياله وهو قادر من خلال وعيه وتركيزه استدعاء شخصياته في زمن مسرحي قياسي (خاص) وحر مزيلا حالة التناقض بينه كممثل وبين شخصياته المستدعاة (المختلفة في الطباع والسلوك) ولكن كيف يوفق الممثل بعمل انسجام بينه وبين سرعة استدعائه لشخصياته المتناقضة في الصفات والتوجهات والقدرة على تحجيم الزمن في هذا الاستدعاء؟ بالتأكيد ان الممثل في المونودراما يعتمد على قدرته في التكيف الخاطف على استيعاب كل هذه الشخصيات المتناقضة

(1) زاخوفا، بوريس، اعداد الممثل، مصدر سابق، ص 125.

(2) فليترسكي، يوري، الانسان والموضوع في المسرح، مصدر سابق، ص 139.

(3) صليحة، نهاد: مصدر سابق، ص 150.

والتركيز العالي على الفرز والقدرة على التخيل السريع لمفرداتها فمثلا يستدعي الممثل الشخصية (أ) ثم التقدم للشخصية (ب) ومن ثم وبسرعة زمنية قياسية الرجوع الى (أ) مرة اخرى ثم الوثوب الى الشخصية (ج) ثم الرجوع الى الشخصية الرئيسة وهكذا، وعند ذاك فان الممثل في المونودراما مهيمن على زمن المسرحية وزمنه الخاص الحر ويحدد من خلال جملة مؤثرات تخضع لفكرة وعيه العلاماتي في التعامل مع شخصياته وزمن استدعائه وعرضه لها واهمها:

1. القدرة على فرز الشخصيات والتفريق بين خصائصها كلٌّ على حدة.
2. حساب زمن استدعاء الممثل لشخصيته الرئيسة.
3. حساب زمن استدعاء الشخصية الرئيسة للشخصيات المتوالدة.
4. الزمن القياسي لتمثيل كل شخصية (فترة التمثيل القياسية داخل الشخصية الواحدة).
5. حساب زمن الرجوع والتقدم لتمثيل الشخصيات السابقة واللاحقة.

هذا الزمن الحر يمثل خصوصية تتعلق بانتمائه لواقع يتناسب وطول فترة العرض ومتطلباته في صورة الحكاية وانتقالاتها المكانية والزمانية والتاريخية إذ "ندرك ان الزمن في العرض المسرحي يوجد داخل الزمن الواقعي لكنه ليس محكوماً به او بحدوده"⁽¹⁾، وتزداد هذه الخصوصية في المونودراما لانها تمثل زمناً متعلقاً بالماضي اكثر منه في الحاضر ويتعلق بزمن منتقى وخاص حيث الانتقال القياسي الحر بين شخصية واخرى، أي اقتطاع للزمن داخل الزمن المسرحي نفسه، لان الممثل لا يعنيه بهذا الزمن الا التواريخ المتعلقة بذكرياته في استدعاء شخصياته فاذا كان الزمن المسرحي يعني "الصلة التي توجد بين الزمن الحقيقي للعرض المسرحي تلك المدة التي يعيشها المتفرج والزمن الوهمي"⁽²⁾، فان الممثل في المونودراما يجد صلة ثانية (مستقطعة) بين زمن العرض والزمن الوهمي المتخيل داخله هو زمن وهمي خاص به يتحكم به لانه المهيمن على الموجودات في حيز الخشبة والصالة وعناصر العرض واحداثه أي اذا شئنا ان نقول انه (زمن المونودراما) الخاص.

الممثل في المونودراما بين السردية والفردانية

كثيرا ما نسمع بالسردية أي الحوار المستمر المتوالي على لسان ممثل واحد او راوٍ يعلق على الاحداث والشخصيات او تجسيدها على الخشبة حيث يكون السرد "هو فعل وعملية انتاج

(1) هلتون، جوليان، مصدر سابق، ص 37.

(2) سفيلد، ان اوبر، مصدر سابق، ص 265.

النص السردي وتختلف اشكال المخاطبة في وجهات نظرها السردية، السرد بضمير الغائب، العالم بكل شيء او السرد بضمير المتكلم الذاتي، ويعد السرد بضمير الغائب اكثر موضوعية من السرد بضمير المتكلم حيث يعمل على اخفاء عمل المؤلف ووساطته مما يجعل الحقائق والاحداث تبدو وكأنها تحدث عن نفسها⁽¹⁾، والذي يهنا هنا ان السردية على لسان الممثل في المونودراما تعني الحديث بضمير الغائب لان شخصياته كلها مستدعاة من الماضي وينوب عنها في رواياته بصفة الغائب الحاضر لا الحاضر الغائب، لذا فان هذه السردية تشكل جوهر العمل المونودرامي للممثل، إذ تكون مادته الرئيسة لوصف معاناة شخصياته وكشف اسرارها المخزونة، إذ يتوالى في اخراجها شيئاً فشيئاً، عبر استدعائه تلك الشخصيات المتخيلة من الماضي والتحدث عنها في لحظة وعي او افاقه شعورية مفاجئة، وبطبيعة الحال فان صفة الحوار هنا تضمحل بمعناها المتداول الذي يحدث بين شخصيتين او اكثر فالسرد حوار يصل الى مستوى الجدل مع النفس ومن ثم يصبح من الصعوبة خلق تجاذب مثير في لغة المخاطبة لوجود ممثل واحد وشخصية واحدة تفرز باقي الشخصيات العديدة، وحتى الحوار الذي تنشئه الشخصية الرئيسة مع الشخصيات الاخرى، او بينها يبقى اسير وجود مصدر واحد له، ولا يعطي الجمالية عند مشاهدة عدة ممثلين او عدة شخصيات تتحدث على الخشبة فان "انعدام الجدل في الاداء ينعدم الحوار بالمعنى الحقيقي، فالممثل في المونودراما قد يقيم جدلاً مع نفسه، ولكنه جدل زائف اذ هو احادي المنظور"⁽²⁾، وقد في يكون هذا الرأي فيه حكم قاسٍ، لان الحوار مع النفس او جدله لا يعني زيف المعنى أو صدقه بقدر ما هو استيضاح ما تكبدته الشخصية من ماسٍ مرت بها، و دائماً ما تكون مخاطبة النفس (خلوه صادقة) لانها بعيدة عن الآخرين وبطبيعة الحال فان الممثل في المونودراما يستطيع عبر قدرته على فرز الشخصيات من الناحية الجسدية والصوتية والنفسية في جعل هذا الجدل (بين الشخصيات الغائبة الحاضرة) قريب من الحوار الذي نشاهده ونسمعه بين ممثلين او اكثر على الخشبة من خلال لجوئه الى تصوير شخصياته المستدعاة على شكل دمية او تكوين خشبي على هيئة انسان حتى لا يكون فعل الحوار او الجدل والرد عليه قائماً عبر شخصية الممثل الرئيسة فقط دون هياكل او اشكال مترجمة للشخصيات الاخرى وهذا بدوره يحقق مبدا التنوع العلاماتي في تكوين نماذج الشخصيات عبر تلك الاشكال وكسرها حاجز الضجر او الملل الذي قد يحدث على الخشبة ومن ثم الصالة، بفعل وجود ممثل واحد يسرد على الخشبة، ان فهم الشيء يعني وصف ما جرى أي الماضي، وحتى لو كانت الاحداث في الوقت

(1) تشاندلر، دانيال: مصدر سابق، ص 129.

(2) صليحة، نهاد: مصدر سابق، ص 149.

الحاضر القريب فان مجرد نطق الممثل بكلماته السردية يعني انه يذكر إحداثاً (جرت) حتى قبل ساعة او دقائق إذ "يرتبط السرد بعملية روى الاحداث او قصها باستخدام الفعل الماضي"⁽¹⁾، لذا فان شكوى شخصيات الممثل في المونودراما نابع من احساسها بالضميم الذي وقع عليها او احداث جرت عليها مع (اصدقاء، حبيبة، سلطة، عرف، تقاليد)، ومن هنا فان الاحداث في المونودراما تركز على "ما كان وما كان يمكن ان يكون"⁽²⁾ أي التمني ان تلك الاحداث لو لم تقع واستطاع تصحيح مسارها قبل وقوعها، ان ديناميكية السرد تحدث من خلال قدرة الممثل على تصوير الحدث اكبر من حجمه وتصوير الشخصية اكثر معاناة من حقيقتها واقناع الجميع بعدالة ما يطرحه وما يصوره (حتى لو كانت اكاذيب)، وهنا يؤكد الممثل في المونودراما مهارته التمثيلية في التعبير عما يحسه او الذي يريد ايصاله عبر هذا الاحساس او الاقناع او التخيل فان "اهمية حادثة ما ربما تكمن ليس في الحادثة نفسها ولكن فيما يقال عنها"⁽³⁾، ومن هنا فمن غير الممكن وجود مونودراما بدون ممثل قادر على اكمال هذه اللعبة، أي الاستحواذ على اذهان من في الصالة ومشاعرهم وحثهم على التعاطي معه باي شكل من الاشكال فهو منحاز لفعله وقضيته ومسوغاتها بأي شكل من الاشكال، فان "الادائية في الكلمة المسرحية لا تعمل الا داخل التعبير الخيالي الخاص بالكلمة الوهمية فان صاح الممثل قائلًا (انا اموت) فهو لا يؤكد انه هو نفسه يموت ولكنه يؤكد ان الشخصية تقول انها تموت"⁽⁴⁾، ومن هنا فان الممثل في المونودراما قادر على التخفيف من تاثير شدة غربة شخصيته وتقليص نبرة الحزن والبكائية عبر أداء متوازن في وعيه واسلوبه الفكري، للتخفيف من فكرة ان الشخصية المونودرامية هي (بطل مكسور) لا بد من الشفقة عليه والسخط على المجتمع الذي أوصله الى هذه الحالة، ومن هنا جاءت الفكرة بان المونودراما "تتمتع كشكل فني بالكثافة الشعورية النابعة من تركيز الحدث الدرامي في شخصية واحدة تلح على وجدان المتفرج طول العرض"⁽⁵⁾، وهذا ما سوف يدفع الممثل في المونودراما إلى إن يجتهد مع نفسه ليجعل من شخصياته بعيدة عن انغلاقها وتدمير ذاتها وطبعاً هذا لا يحدث الا بتحديث بنية الكتابة للمونودراما ونصها وجعلها اكثر طليعية في تناوله الحدث والشخصيات واتصالها بالحاضر، او الازاحه في بنيه النص ومن ثم العرض ، وامكانية الانفتاح والتغير

(1) هارف، حسين علي: الخصائص الفنية في المونودراما، اطروحة دكتوراه غير منشورة، بغداد، جامعة بغداد، 1997، ص 10.

(2) صليحة، نهاد، مصدر سابق، ص 150.

(3) استون، الين وجورج سافونا، مصدر سابق، ص 86.

(4) سفيلد، ان اوبر، مصدر سابق، ص 47.

(5) صليحة، نهاد، مصدر سابق، ص 150.

الاجتماعي لا الانشغال الفردي بهوم البطل الواحد وشخصياته المبعثرة، ومن هذا فالممثل في المونودراما قادر على إن يحيل هذه الفردانية الى نهج نقدي للمجتمع لا الفرد وأنانيته، والتمثيل بوعي معرفي لحقيقة المشكلة ومسبباتها ونتائجها وما هي العبرة منها، لا البكاء عليها واجترار الدموع من النظارة على حدث مضى وانتهى.

الإيماءة وعلاماتها في المونودراما

كان ولا يزال التعبير الإيمائي عنصرا أساسيا في انشاء لغة اشارية رامزة الى معنى ما يفهمه الجانبان (مصدر الإشارة والمتلقي) وأصبحت هذه اللغة الإيمائية مختزلة لافعال جسدية كبيرة ومعبرة عن جمل طويلة وحوارات سردية مفعمة بالطول، بإشارات صغيرة في العين او الحاجب او الشفة او الاصبع، او اشارات كبيرة كالاستدارة بالجسم او الرأس، حيث تعطي دلالات اقوى من هذه الحوارات او السرديات الطويلة، ولكن هذه الإيماءة لا تكون مترجمة او بديلاً حرفياً لفعل حركي او حوار لفظي، أي بمعنى انها لا تكون واصفة بل معبرة ومختزلة عن ذلك الفعل او اللفظ والتعبير عنه بقيمة دلالية اعمق وابلغ من الاتيان به "فانه بمجرد ان تصبح الإيماءة موضوعا لخطاب وصفي، فانها تفقد كل خصوصيتها، وتختزل الى مستوى نص ولا تعبر عن حجمها وقدرتها الدلالية ومكانها في الرسالة المسرحية الشاملة"⁽¹⁾، أي هي فعل فيه من الدلالة يصل الى حد انشاء موقف فكري مؤثر في سير الأحداث ، إذ "تكنم في قدرتها على انشاء موقف اللفظ لتصبح علامة تعين حضور مسرح الممثل"⁽²⁾، وعلى هذا الأساس فهناك لغة الحوار ولغة الجسد، ومن لغة الجسد تتفرع لغة أعمق واجذر هي لغة الإيماءة التي ترمز الى معان كثيرة وعميقة، لذا يستخدم البشر لغتين منفصلتين تماما، احدى هاتين اللغتين هي اللغة اللفظية او اللغة الناطقة لنقل المعلومات وللتعبير المنطقي وحل المشكلات ، لكن هناك لغة اخرى تسمى لغة الجسد تعبر عن الجوانب الأكثر حقيقية من ذواتنا، من مشاعرنا وانفعالاتنا وحاجاتنا واتجاهاتنا فمثلا حركة حاجبي العين بسرعة مفاجئة برفعهما تعبر عن الدهشة السارة، وكذلك عندما تقوم بتحية صديق قديم لنا بالاتسامة والإيماءة بالراس.

ان الإيماءة تعطي مدلولاً حسيا وعاطفيا مباشرا او أي شيء آخر المطلوب عدم الافصاح عنه من خلال الكلام او الجملة المنطوقة لغاية ربما لتكون اكثر وقعا من خلال الرمز والاتجاه

(1) استون، الين وجورج سافونا، مصدر سابق، ص 163-164.

(2) ايلام، كير، مصدر سابق، ص 114.

المطلوب البحث عنه إذ "تبدو الإيماءة كما لو كانت تصورا لمسكوت عنه في الكلام... وفي أفضل الحالات تستخدم الإيماءة لعرض ما لا يستطيع قوله، فهي تعرض المشاعر التي لا يقولها الخطاب"⁽¹⁾، وجاءت الإيماءة في المسرح المعاصر (لاسيما في المسرح المونودرامي) لتعزز كيان اللغة المسرحية بإعطائها مدلولات رمزية تقلل من هيمنة الكلمة أو الحوار أو السرد الذي يستخدمه الممثلون واستبدالها بأخرى جسدية لتكون معيارا جديدا للتعبير عن الذات والسلوك والأهداف "وفي العصر الحديث فإن المسرح الذي يهتم بالإيهام... يعتنق فكرة دافع الشخصية ويستخدم الإيماء الذي يهدف الى محاكاة أو تمثيل الحياه... ان الأساليب الدائرية... تسعى الى طرق لاستبعاد الكلمة لصالح اللغة الجسدية"⁽²⁾،

عندما جاء دور الممثل في العرض المسرحي المونودرامي باتت الإيماءة أكثر أهمية في بنية العرض المسرحي وتثبيتها ضمن آليات راسخة تتعامل معها كجزء حيوي و أساسي في أدائه ، فإذا كانت الإيماءة في العرض المسرحي الاغريقي هي اشارة تعتمد اللفظ في تصوير الاحداث والافعال خارج الخشبة فانها باتت في العصر الحديث ومع ظهور فن الرقص وتطوره، تتجه الى تفعيل الجسد وحركته بدل الكلام المنطوق، فان دور الإيماءة في آلية أداء الممثل المونودرامي هي دخولها كجزء أساس في صلب العملية المسرحية لتعطي معنى أكثر واكبر مساحة في الفعل المسرحي والتعبير عن المكنونات النفسية والسلوكية للشخصية، إذ يعمل الممثل بجسده طوال الوقت مع مرافقته للفظ وكسر حالة الملل التي قد تحدث من استمرار حالة السرد إذ "تمتلك الإيماءة معنى خاص بها فهي مكلفة بمهمة قول-عرض- عدد من الأشياء"⁽³⁾، أي استخدامها للتعبير عن اكبر عدد من المواقف والأحداث والأشكال وعليه فلا بد من إيماءة مميزة لعمل الممثل في المونودراما وعدم اقتصارها على التعبير الاختزالي بل إنشاء إيماءة ذات موقف فكري إزاء ما جرى وما سوف يجري أي بما يشبه (الإيماءة التكوينية) التي تكون رمزا موقفيا قادما في إشارة لتغيير الأحداث بوعي فكري أي بمعنى ان تكون ذات مدلول واضح للشخصية والمتلقي وتنبئها عن حدث مستقبلي متأسس لا مجرد استخدامها للاستغناء عن الكلام أو الجملة المنطوقة أو اختزال لفعل حركي بل تكوين تصور ما سوف يكون في ضوء فهم ما كان موجوداً وما كان ممكن ان يكون، ففي مسرحيه (اغنيه التم) لتشخوف حيث يثور (فاسلى العجوز) في اخر المسرحيه بتحطيمه ابواب المسرح والخروج من سجنه المظلم الى عالم اكثر ثقلًا كرد فعل دلالي على

(1) سفيلد، ان اوبر، مصدر سابق، ص 211.

(2) استون، الين، و جورج سافونا ، مصدر سابق، ص 167.

(3) سفيلد، ان اوبر، مصدر سابق، ص 217.

الاعراف الاجتماعية السائدة والتي اوصلته الى حافة الجنون، ولا يقتصر دور الإيماء التكوينية على المونودراما فقط بل حتى في المسرح التقليدي كما حدث في مسرحية (بيت الدمية) (لابسن) إذ ان صفة الباب من قبل نورا هي فعل الإيماء الاحتجاجية في تشكيل موقف مستقبلي من خلال سماعنا لصوت صفة الباب، فقد شكلت دلالة بارزة في تغيير المفاهيم الرجعية السائدة ورفضها، إذ حفزت على احداث موقف اني باتجاه تأسيس فعل اكبر وخطر جرائها، ولأهمية الإيماء في المونودراما فقد شكلت تغيرا ملحوظا في نمط الأداء من السردية الى فعل مسرحي ذي أشكال وتقنيات تتعلق بالجسد أكثر من اللفظ.

المبحث الرابع

الاداء ونظم التحول العلاماتي للعرض المونودرامي

- علامات اداء الممثل وسلطته في المونودراما.
- التشكيلات العلاماتيه لاداء الممثل في المونودراما.
- علامات الاداء بين الذات والآخر في المونودراما.
- التكوين العلاماتي بين اداء الممثل الطبيعي (النفسي) وبين الاداء الراديكالي (الواعي) في المونودراما.
- التحولات العلاماتية لعناصر العرض وعلاقتها باداء الممثل في المونودراما.

علامات اداء الممثل وسلطته في المونودراما

ظل الصراع قائماً ومازال بين انصار الممثل المستقل وهيمنته (بالفعل المسرحي) وتمفصلاته الدرامية، من دون عناصر العرض المسرحي ومكملاتها وابعادها الدرامية للخشبة وسينغرافيتها المتألفة مع ذلك الفعل، وبين انصار تقليص هيمنة الممثل وطغيان عناصر العرض والفعاليات الراقصة او البانتوميم او الموسيقى والغناء، فانصار الاتجاه الاول يعتقدون، ان الممثل هو الاساس في تجسيد الشخصية والحدث وثيمة النص، وان كل العناصر الباقية هي علامات زائفة ومقحمة على الممثل، بل تشكل عبئاً يضيع مركزية الفعل التمثيلي ويجره الى فنون مسروقة طارئة عليه، اذ يؤكد (كروتووسكي) في طروحاته نحو مسرح فقير قوله "يعتمد المسرح على الولوع بالسرقة الفنية والاقتباس من معارف وبناء مشاهد هجينة يعوزها السند والامانة وتقدم هذه رغم ذلك على انها عمل فني متكامل"⁽¹⁾، ومن دعاة الاتجاه الاخر هو (ادولف، ابيا 1862-1928) الذي دعا الى زيادة العلامات المسرحية وعناصرها التشكيلية على حساب دور الممثل وفعله المسرحي من خلال "تحقيقه بتقليص دور الممثل الى دور متحرك لصورة المسرح باخراج المسرحية ايقاعياً، كان اهتمامه الرئيس منصبا على الموسيقى والمسرح الغنائي"⁽²⁾، ويشاركه في هذا الرأي (ادوارد جوردن كريج 1872-1966) حين اعطى "الكلمات دورا اقل اهمية من التأثير البصري وان يقلص دور الممثل عمليا الى جزء من المشهد المسرحي بحيث يكون سهل التحريك والمناورة الى نوع من دمية متقنة"⁽³⁾، وهناك من يؤكد مزج الجانبين في تشكيل الصورة المسرحية ووصولها بامانة وقدرة حسية على استيعاب واشباع خيال المتلقي وذهنه، اذ يدعو دعاة المسرح التقمص في العصر الحديث (وبالذات المخرج ستانسلافسكي) الى التاكيد على وحدة البناء الشكلي (المادي) والعاطفي والحسي والخيالي والانفعالي والادراكي بواسطة الترابط بين صدق الحواس وتجسيد الشخصية بعلاماتها الاساسية الزمانية والمكانية والاجتماعية والقومية والاقتصادية من خلال دعم عناصر المسرح لها (ديكور، ازياء، اضاءة، اكسسوار)، اذ ان لهذه الاتجاهات المتحولة من الواقع الحياتي الى الشكل الفني المقصود على المسرح وصدقها، الاساس في قناعة المتلقي بها والتواصل مع مكوناتها الفنية على الخشبة ومقارنتها بما هو

(1) كروتووسكي، جيرزي، نحو مسرح فقير، تر: كمال قاسم نادر، (بغداد: دائرة الثقافة العامة، 1986)، ص 17.

(2) تيلر، جون رسل: الموسوعة المسرحية، ج1، تر: سمير عبد الرحيم، (بغداد: دار المامون، 1990)، ص 32.

(3) المصدر نفسه، ص 147-148.

موجود خارجها، فلا يمكن ان تكتفي الخشبة بعنصر دون الآخر، او يكون هناك عنصر هو المهيمن، وتبقى باقي العناصر في حالة التهميش او المشاركة الضعيفة للفعل المسرحي، اذ ان الممثل لديه الحضور المادي والعلاماتي (جسد وصوت) فان عناصر المسرح الاخرى لديها ايضا نفس مستوى ذلك الحضور، ويشكل وجودها ارتباطا وثيقا بالقيمة الدلالية للفعل التمثيلي لما ينتجه الممثل من حركة معها ومن خلالها (أي مع العلامة) ، فالعلامة في المسرح لا يمكن ان تتكامل الا ببعدها الحركي والفكري من خلال الممثل في لفظة وتماسه مع موجوداته وقيمتها الدلالية الحسية والعاطفية.

ان ادلجة الفن على حساب الشكل او النظريات الفنية الداعمة لفكرة الشكل على حساب المضمون او الشكل على حساب وجود الممثل وقيمته المادية، نظريات تمثل اصحابها في تطرقها وصياغتها لشكل المسرح والصور الفنية له، ولكن المسرح هو تمثيل او تجسيد متخيل لرؤيا فكرية ابداعية فنية خالصة غايتها التأثير الانبي والبعدى باساليب حتمت وجودها المدنية وصاغت باساليب حرفية كالرسم والموسيقى والاضاءة والازياء والمكياج وهذه الصورة موجودة بالذات في المسرح الواقعي ولكن حتى المسرح البعيد عن الواقعية فانه لا يستغني عن الممثل وعناصر العرض الا من خلال اعادة صياغة هذه الموجودات او العناصر او شكل اداء الممثل لا غير، فهي لا تؤمن باستقلالية العناصر عن الممثل او بالعكس فهي مهتمة باتخاذ طريقة او فلسفة حركية او فكرية لتجسيد ذلك المذهب بمختلف الاشكال وحتى مسرح (برشت) بالرغم من ادلجته، ولكنه لم يستغن عن الممثل او عناصر العرض المسرحي الا لكي يؤكد فكرته في (التغريب)، وعند ذلك فان الممثل ليس بالضرورة يمثل كما في المسرح الواقعي أي ابقاءه في دور التجسيد المحدود المنقطع او الواسطة او الراوي او المعلق او المراقب للاحداث، فمسرح (برشت) هو منظم للعلاقات واعادة في صياغة الفعل الحركي والفكري بين الممثل وعناصر العرض او بينه وبين المتلقي على اساس ايدولوجي واعادة في رسم الصورة المسرحية وفقا لذلك، وفي مسرح (العبث) تنتظم صورة اخرى في صياغة المشهد التمثيلي على اساس اصال الفكرة بواسطة الممثل وعناصر العرض وتشغيلها بوعي دون الغور في التجسيد الالهامي او التخيلي فهي تؤدي نفس الدور الذي يشغله المسرح (البرشتي) مع اختلاف في الفكر الفني او الشكلي او السياسي، فهناك ممثلون يلعبون طوال العرض وشخصياتهم تتحدث وترتدي الملابس وتسلط عليهم الازضاء والالوان ويقومون بعمل المكياج ويتأثرون بالموسيقى ويستخدمون الاكسسوار وقطع الديكور البسيط والمطابق لفكرة وعلامات العرض، ففي مسرحية (في انتظار جودو) (الصموئيل بيكيت 1906) هناك شجرة وسط الخشبة ساقطة بلا اغصان للتدليل على (اليباس، العطش الروحي، اللأجدوى) وهناك تحتها شخصيتان (استراجون، فلاديمير) ينتظران (جودو) بلا

جدوى وهناك من يدخل عليهما بحبل يمسكه (بوزو) الذي يحمل سوطاً ويدخن (غليوناً) ويمسك (اعواد ثقاب) ويجر (لكي) من رقبتة والذي هو بالتالي يحمل (متاعاً) و (حقيبة) فالعلامات موجودة في كل مكان والممثل يتحرك على مساحة الخشبة ويتعامل مع الاكسسوار والديكور وباقي عناصر المسرح، اما العرض في المونودراما فان الممثل فيه لا يمكن ان يتخلى عن عناصر المسرح وموجوداته باي شكل من الاشكال من دون الافراط في استخدامها، وعمل موازنة بينها (توزيعها، احجامها، ضرورتها) وبين حركته وسهولة حملها او تغيير علاماتها والتعامل معها بلا اعاقه حركية، اذ تشكل هذه الموجودات وعناصر العرض مساندة مهمة لتصورات الممثل وشخصيته الرئيسية في استدعائه للشخصيات المشاركة في احداث المسرحية من خلال جلبها وتصويرها بواسطة (الحلم او الهلوسة او الخيال) حيث تؤدي (الاضاءة واللون والموسيقى والمهمات المسرحية) اساليب خداعية للاستعانة بها في اتمام هذه المهمة فالفعل الحركي الديناميكي لجسد الممثل في المونودراما يحتاج لتماس مع تلك الموجودات وعناصر العرض الاخرى لينتج علامات لتضخيم الحدث (درامياً) والمبالغة فيه. بحدود الاقناع والتأثير أي زيادة نسبة التكوين الحركي والحسي عنه عند الممثل في العرض التقليدي.

فكل عناصر المسرح مكونات علامائية تتداخل مع العلامات التي يصنعها الممثل (اضافة الى كونه علامة مستقلة) لتشكل علامة اخرى مرمزة تعطي دلالات وفق السياق الحاصل لاحداث العرض الدرامية من خلال امتزاج عنصر واحد او اكثر مع تلك العلامة (علامة الممثل) ودلالاتها، فاللون علامة ذات دلالة مهمة تتشأ مع فكرة الممثل وشخصيته في استخدامها للدلالة على شئ ما (حزن، فرح، غضب، دم) اذ تبرز تلك الدلالة في صياغة الحدث ومعناه، فاللون الوردى او البنفسجي يدلان على (الحلم) للوصول لما يحدث في داخله من هلوسات تكشف فيه الشخصية عن اسرار متوارية في دواخلها اللاشعورية، وكذلك فان الزي (هوية الشخصية) او الديكور (مكان عيش الشخصية) فانهما يدلان على هوية الشخصيات وبعادها وانتائها ومنع التداخل والتفريق فيما بينها وكذلك معرفة زمانها ومكانها، وكذلك الموسيقى التي تعبر بها عن فشل تلك الشخصيات وغضبها وفرحها وحزنها وما الت اليه.

التشكيلات العلامية لاداء الممثل فى المونودراما

كان ومازال سلاح الممثل في العرض المسرحي المونودرامي (سرديته) المعبرة عن حالة الاغتراب التي ما انفكت تعيشها شخصياته المنكسرة، واحساسها الموحدة والتجاهل ونكران الآخرين لها، وكأن الممثل هو الوسيط الاساس بين هذه الشخصيات وبين افكارها وهمومها فان "الممثل في السياق المسرحي يلعب دور الوسيط الذي تنقل الشخصية عبره الى المتفرج... فان الممثل هو الذي يؤلف بشخصه القناة الاولى التي تصل من خلالها الشخصية"⁽¹⁾، فكان عليه الاخذ بالتفريق بين هذه الشخصيات لاعطاء الفرز المناسب لكل شخصية وازاحة حالة الاشتباك التي قد تحدث في فشل هذا الفرز، واعطائها الجانب الحقيقي لمرجعياتها الحياتية، ومعاناتها واسبابها، وفشلها في الوصول الى مراميها، فالشخصية المونودرامية (الرئيسة او الاولى) لا تحمل هزيمة افكارها بمفردها فحسب، بل افكار الشخصيات المتألفة معها او المستدعاة من خلالها او ربما (وهذا نادر) نجاحاتها، ولما كان على المتلقي استقبال الرسالة من مصدرها الاول (الممثل) وموجوداته على خشبة، فكان من اهم مهمات الممثل خلق التواصل الفعال بينه وبين المتلقي وعدم قطعه او التشويش عليه، بسبب مشاهدته ممثلا واحدا على خشبة ليس لديه وسيلة غير ان يفسر ويشرح معاناة شخصياته المبعثرة، فكان عليه ان ينشا صياغة جديدة في الطرح والاداء وفي التعبير عن هذه الخوارج بأسلوب فعال وجديد في الشكل والمضمون، فكانت العلامة هي احدى الوسائل لجعل المسرح قادرا على ان يكون ديناميكيا ليعطي دافعا للمتلقي للانجذاب والمتعة، والتفكير في المشاهد وتحليلها "اما ثراء نظام العلامات المسرحية وقدرته على التغير، فقد كان دليلاً على ثراء المسرح .. انني اريد ان اصور امكانية التغير التي تجعل من خشبة المسرح شديد التنوع والجاذبية"⁽²⁾، ولكن الممثل في المونودراما هو غير الممثل في المسرح الجماعي او التقليدي الذي ياخذ نمطا مغايرا له في نوع الايقاع او الزمن المسرحي او نوع التعامل مع موجودات المسرح وعناصره لانه ليس وحيدا على خشبة، بل يرافقه مجموعة من الممثلين يحاورونه ويصنعون معه الفعل المسرحي اما الممثل في المونودراما فانه يتعامل مع موجوداته على انها شخصيات حقيقية وكل ما حوله علامات متحركة نابضة بالحياة فان "كل شيء يشكل واقعا على خشبة المسرح الممثل، الاضاءة المسرحية، كل هذه الاشياء ترمز الى اشياء اخرى بمعنى اخر العرض المسرحي هو مجموعة اشارات"⁽³⁾، هذه اللغة المسرحية الجديدة

(1) استون، الين، وجورج سافونا مصدر سابق، ص 71.

(2) المصدر نفسه، ص 20.

(3) هونزل، يندريك، ديناميكية الاشارة في المسرح، مصدر سابق، ص 97.

حتمت عليه انشاء جملة من الصياغات التشكيلية للموجودات وتوزيع مفرداتها وعمل موازنة بين حيز حركته وانتاجه لهذه العلامات وشفراتها، حتى لا يميل الميزان الى الجانب الحركي على حساب انتاج العلامة ورموزها ودلالاتها، وتصبح هناك قصدية في هذا العمل وكان هناك قسرية في الشكل على حساب المعنى او المضمون، فالممثل يقع في " ملتقى طرق الشفرات البصرية والسمعية.. وترتبط به جميع العلامات البصرية، ويجسده (الملبس، المكياج، القناع) وبحركاته (الادوات والديكور) وعليه تسليط الاضواء"⁽¹⁾.

ان كل ما هو موجود على المسرح (دال) لا يصل الى حد تكوين (علامة كاملة) في قسمها الاول، ولكن ارتباط هذه الدال باعتبارها الجانب المادي مع دخول المعنى الفكري عليها، الذي هو المدلول تكون عندها العلامة الحقيقية اذن لا بد من معنى (دلالة) في التحريك والتحول والمعاملة، فالممثل ينشيء علاماته من خلال جسمه او لفظه او تعامله مع موجوداته على الخشبة، فهو دال مرتبط بمدلول معنياتي فكري لتحقيق تلك العلامة، فاذا اراد الممثل تحويل الكرسي الى قفص او سجن لا يكون علامة الا بارتباطها الفكري والمعنوي لسياق الحدث والفعل الدرامي الحاصل، أي بمعنى اذا لم يكن هناك مسوغ لجعل الناحية التحويلية للموجودات ذات باعث فلا مسوغ لهذا التحول بالمعنى الفكري وليس الشكلي، أي ان تحول الكرسي الى سجن لن تكون دلالاته ناجحة ما لم يكن هناك مسوغ لهذا التحول حيث "لا تعتبر الاداة المسرحية هنا علامة بل اداة مثل كل الادوات، الا انها تتحول الى علامة عندما تخلع عنها عملية النفي المسرحي وظيفتها كاداة في العالم لتصبح تلك الوظيفة خيالية او بمعنى ادق متخيلة"⁽²⁾، هذه العلامات مصوغه ومنتجة بشكل قصدي أي مسبقة التصور، والمبنية على اساس التخطيط والبناء لانتاجها، ولكن هل من حق الممثل في المونودراما (كونه وحيداً) تحفيزه على ارتجال العلامة على اعتبار ان وجود الدال المادي، (المرتبط بذهنية الممثل وبديهيته) وارتباط الحر بالمدلول الفكري والحسي لها والشحن العلاماتي المنفعل من الاتيان بمثل هذه المبادرة بشكل مفاجيء وسريع؟.

ان هذا الامر مرتبط بعنصرين هما ثقافة وذكاء وبديهية الممثل خلال العرض وامكانية وجود فسحة مرتبطة بزمناها ومكانها وقيمتها لتحقيق فعل علاماتي ودلالي مرتجل فيكون:

(موقف اني او لحظوي + انتباهة سريعة + موقف يسمح ← علامة دالة مرتجلة)

(1) سفيلا، ان اوبر، مصدر سابق، ص 171.

(2) المصدر نفسه، ص 123.

ولكن هذه العلامة الارتجالية قد تأتي بنتيجة دلالية عكسية، اذا لم تكن على درجة من الاتقان، فالعلامة المسبقة التخطيط والموظفة سيميائياً مع مساحة الخشبة وموجوداتها ومسوغات وجودها، هي قائمة ايضا على ازاحة الفكرة الضيقة في النص المسرحي نفسه، على اعتبار ان تحويل النص المسرحي الى عرض مسرحي يعني تضمينه وتحويله من جديد الى علامات ودلالات غير موجودة او غير مكتشفة في النص ونقله الى واقع جديد غير مرتبط بشكل او باخر بسياقه القديم في الشكل على اقل تقدير فان "النص بمجرد ما ان يفصل عن مرسله، وعن الشروط الملموسة لانتاجه فانه سيخلق في فضاء فسيح من التاويلات التي قد لا تنتهي عند نقطة بعينها"⁽¹⁾، أي بمعنى ان تعامل الممثل في المونودراما مع الموجودات المسرحية قائمة على حرية الحركة والفهم الجديد لقراءة النص المسرحي، ومن ثم نص العرض اذ يأتي دوره في تجسيد علاماته وبثها لشفراتها (ان وجدت) باتجاهات عدة ومحاولة حلها من المتلقي، ولكن هل أن زيادة هذه الشفرات هو ارباك للحدث او الفعل المسرحي او العلاماتي؟ ام ان الاقتصاد فيها تعطيها بعضاً من الحرية في الجانب الحركي والابداعي والنفسي، ان كثافة تعلق الشفرة بالعلامة هو ارباك للرسالة المبنوثة وتجعلها في حالة تسارع مضطرب في الخط بين هذه الشفرات وتجعل من عمل العلامة وصانعها الممثل بعيداً عن التوجه الابداعي لجوهر الحدث الدرامي وتجسيده الحركي البعيد في بعض الحالات عن العلامة ومتعلقاتها المتشابكة لذا فان "زيادة الشفرة يزيد تعقيد الشفرة"⁽²⁾، وهذا متصل بعمل العلامة ورموزها وشفرتها ومن ثم دلالتها وذلك عندما تعامل الممثل في المونودراما مع موجوداته والقائم والمرتبطة على تحول العلامة في العرض المسرحي وتغير كل مدلولاتها تلقائياً وذلك عند تغيير تكوينها او موقعها او شكلها، فقطعة الديكور المدورة قد نفهم منه بانها مقعد للجلوس او ان تصبح قاعدة للوقوف عليها، او تصبح مائدة للاكل او دولاباً او اطاراً متحركاً او (طبلاً) للضرب عليه او مكان لوضع الحاجات عليه هذه التكوينات المتحولة تعطينا علامات دالة (رامزة او مشفرة) بحسب شكل تحريكها الجديد او نمط العمل عليه، كالعظمة الكبيرة قد تستعمل كمطرقة او مسدس او مقبض هاتف او خنجر او معنى فكري كعلامة على الجوع او القحط او مكان ما في الصحراء حيث العطش والجوع، وهذا مرجعه ارتباط الدال بالمدلول، أي المعنى الفكري لطبيعة الرمز الخاص بالعلامة وما ترمي اليه، فالتحول من ايقونية صورية جامدة الى رمزية متحركة (فيها تفسير او من عدمه) سمة اساسية

(1) ايكو، امبرتو: التاويل بين السيميائيات والتفكيكية، مصدر سابق، ص 45.

(2) راي، وليم: المعنى الادبي، من الظاهرية الى التفكيكية، تر: يوثيل يوسف عزيز، (بغداد: دار المامون،

في انشاء العلامة وشفرتها او رمزها وتحولها، وبالطبع في اخر الامر دلالتها، فالممثل عندما يذهب الى السايك الخلفي الذي لصقت عليه عشرات الجرائد (من لحظة جمود فكري وشكلي) الى لحظة متازمة غاضبة) اذ يقوم بتمزيقها فانه قد يعطي دلالة على رفض الكذب او النظام او رفض منطق السياسية ورفض واقع اجتماعي معين.

ومن هنا فان الممثل في المونودراما قادر على التناغم مع علاماته وتحولها وفق سياقها المعنوي، حيث لا تصبح اسيرة لدلالة ثابتة غير قادرة على التحول في الشكل والمعنى "فبينما تتمتع عناصر التصوير الايقوني في المسيحية مثلاً بثبات معانيها ودلالاتها بحيث يحمل الصليب دلالة المعاناة والتكفير او يحمل الخنجر المقدس دلالة جسد المسيح، نجد ان دلالات الصور الايقونية في المسرح تختلف وتتغير من موقف الى اخر. ففي مسرحية عطيل مثلاً يستخدم مندبل ديدمونة في البداية كايقونة تعبر عن الحب ثم يتحول عن هذا المعنى ليصبح ايقونة للشك فيها واخيراً يصبح صوره ايقونة لرققتها وضعفها"⁽¹⁾.

اذن فالعلامة الايقونية موجودة (على الدوام على خشبة) ويتعامل معها الممثل بشكل محدد وثابت، ولكنها في أي لحظة قد تتحول الى علامة اخرى ومن ثم الى دلالة اخرى عما سبقتها اذ تستمد قيمتها من موقعها وزمانها واهميتها للحدث الانساني على خشبة المسرح، وكذلك حيزها المكاني وحجمها بالنسبة لبقعة الخشبة الواقعة عليها، واسلوب التعامل معها في مجال الحركة الانسيابية للممثل بجانبها او من خلالها، وهذا يشمل العلامات المادية (الموجودات على خشبة) وليس اللفظية بالطبع، فالممثل في المونودراما تتحدد حركته بفضاء منصبي محدد واقعي وحر ومنفتح وليس له حدود (خياليا) وليس هناك من يشاركه فيه الا من ادوات وعناصر العرض المتحركة والثابتة، وبهذا المعنى فانه معني ان يضع في حسابه كبر مساحة حركته وقلة فضاءه المنصبي أو زيادته، وكمية الموجودات المسرحية (كعلامات) على خشبة المسرح، اذ لا يجوز توزيعها على حساب حركة الممثل او بالعكس فان "الاداة في العرض المسرحي فيرسلها المخرج المسرحي (ومصمم السونوجرافيا) فهما اللذان يبينانها ويختارانه، ثم يضعانها في النور بمعناها الحرفي او المجازي، ويعزلانهما على خشبة المسرح او يضعانهما مع اخريات، اما الشجرة في (في انتظار جودو) فهي ملفوظة خلال النص الذي كتبه بيكت، اما في الفضاء المسرحي لعرض (كريجكا) فهي مبنية ومعزولة ومسلط عليها اضاءة حيث توجد في موقع شبه مركزي"⁽²⁾، فالموجودات ليس خشبا او قماشاً او لونا جامداً، بل روحاً يقودها الممثل لانشاء اشكال علامانية

(1) هلتون، جوليان، مصدر سابق، ص 73.

(2) سفيلد، ان اوبر، مصدر سابق، ص 144.

حية متحركة وترميزها او تشفيرها، فالسلم يمكن ان يتحول الى برج او جسر او فانار او مكان للمراقبة، أي قدرة الخيال على تجسيد الاشياء بدلالات مختلفة فليس المهم وجود تلك الاشياء بلا فائدة على خشبة، فالمسرح لم يعهد كما كان عبارة عن خشبة مليئة بالديكورات والاكسسوارات والاثاث، مما يجعل الصورة البصرية ذات كتلة من الضخامة ويصبح الممثل داخلها عبارة عن شيء لا يذكر فهو يختار مهامه الاساسية والتي تحقق نسبة عالية من رمزية المكان والزمان والحاجة في صياغة العلامات البصرية والسمعية ومدلولاتها فـ" مائدة ومقعدان، هذا ما احلم به .. اعظم مشاهد (كريستينا) مثلت في ديكور يقتصر على مائدة ومقعدين ، المائدة تعطي نقطة ارتكاز متينة، وتسمح بالحركات الجميلة الحية، انها بمثابة همزة وصل بين الشخصيات التي تتكلم اذ تعطي حوارا تماسكاً وتفرق وتجمع"⁽¹⁾ هذه الحرية في الاختيار حفزت الممثل في المونودراما على الحركة والخروج الى ساحة المتلقي ونقل فعله المسرحي وموجوداته من خشبة المسرح وسحبها خارج حدود فضاء المنصي باتجاه فضاء الجمهور وانشاء علاماته فيها وباشراك الفضاء المسرحي باكملها (فضاء منصي + فضاء جمهور)، "فالتضاد، منصه - قاعة في سبيله الى التلاشي فمن المخرجين من يخلط بين المتفرجين والممثلين"⁽²⁾.

ان ايجاد الفة انية تعشق التقارب بين المنصة والصالة بمفهوم وجداني نبيل يأتي من خلال شغل العلامة وارتباطها بموقعها مع فضاء الجمهور، كالحبال الممتدة من اخر الصالة الى مقدمة الخشبة او الحبال النازلة من سقف الصالة الى كرسي الجمهور كأنها اشجار او اشباح او ثعابين، او احبال للشنق، وقد يعوض الممثل في المونودراما عن وجود مفردات الديكور والاكسسوارات عن طريق اداء الحركة التخيلية وبذلك يعوض عن كثير من ثقل هذه القطع ومستلزمات وجودها، اذ "تشمل الدلالات الحركية على عدة مجموعات فمنها ما يصاحب الكلمة ومنها ما يحل محلها، او يحل محل عنصر من عناصر الديكور: حركة الذراع التي تفتح بابا وهميا او اكسسوار من الاكسسوارات ومنها ما يدل على الاحاسيس والانفعالات"⁽³⁾، ان ديناميكية الفعل السيميائي في المونودراما يأتي من خلال التجريد الرمزي للموجودات على الخشبة، وهذا ما يوحي بانماط العلامات وشفراتها المبتوثة عبر موجودات الخشبة الرمزية لا التجسيدية الواقعية، فالعلامة قد تفقد بريقها وديناميكيته اذا تجسدت بنمطها الحياتي المعتاد، فان وجود "اشجار

(1) اصلان، اوديت: فن المسرح، (ج 2)، تر: ساميه أحمد سعد،(بيروت:مؤسسة ايف للطباعة والتصوير

1970)، ص 814

(2) سفيلد، ان اوبر، مصدر سابق، ص 119.

(3) اسعد، سامية احمد، الدلالة المسرحية، مصدر سابق، ص 90.

حقيقية وشلالات وطاولات وملابس تاريخية متحفية، طعام حقيقي، دالة على الشيء ذاته، وتفقد ديناميكيته، أما المسرح الفقير فهو يتميز بحاملات علامة قليلة يلعب فيه الممثل، صاحب العلامة بامتياز⁽¹⁾.

اذ العلامة لا تجد نفسها الا جزئيا في المسرح الواقعي حيث نمطيتها الايقونية، ولكنها تنطلق في المسرح الفقير او صاحب الالياءات الديكورية والمنظرية التي بالامكان انشاء علامات من صغير موجودات الخشبة وبساطتها فانه "بحذف كل ما هو غير ضروري بصورة تدريجية، وجدنا من الممكن ان يعيش المسرح بدون مكياج وبدون ازياء ومشاهد مستقلة وبدون مكان تمثيل منفصل وبدون اضاءة وتأثيرات صوتية، ولكن لا يمكن ان يعيش بغير اتصال حي ودائم ومباشر بين الممثل والجمهور"⁽²⁾، ومن هذا الرأي للمسرح الفقير الذي يعتبر كل الفنون في المسرح هي زائفة وطائرة عليه، لذا فهو يرفض فكرة التحول التلقائي في السياق التواصلية للفكرة وحسها الدرامي ويصر على ان تتحول الشخصية من نوع الى اخر ومن صورة الى اخرى امام الجمهور، وكذلك التحول العلاماتي في الازياء وتغيرها امام الجمهور ايضا، وعند ذلك فان هذا التحول الراديكالي في الشخصيات والاشياء في المونودراما يتبعه تحول اخطر في العلامات المسرحية باشكالها غير المتناظرة في الشكل... ومن ثم تغيير دلالاتها في الفكر والوعي المتخيل لذات العلامة وليس شكلها او حجمها المتحول، فانه "بواسطة الاستعمال المحكم للإشارة يحول الممثل قاع الغرفة الى بحر، والطاولة الى كرسي اعتراف، وقطعة الحديد الى زميل حي"⁽³⁾، ان هذا الاهتمام باداء الممثل وتشكيلاته العلاماتية في المونودراما سمة اساسية في المسرح المعاصر نحو الاهتمام بعلامات الممثل التي يضعها بجسده وايماءاته المتخيلة.

(1) اليوسف، اكرم، مصدر سابق، ص 112.

(2) كروتووسكي، مصدر سابق، ص 17.

(3) المصدر نفسه، ص 19.

علامات الاداء بين الذات والاخر في المونودراما

كثيرا ما يرتبط فعل الاداء وقدرته التأثيرية من خلال ارتباط الذكاء بالخيال عند الممثل وامكانية تجسيد الشخصية والاحداث بتكوينها وتشكيلها المرئي والفكري على خشبة، على اعتبار ان فن الاداء هو القدرة على استعادة السلوك الانساني للشخصية المتخيلة ومحاولة صياغتها على وفق منظور الممثل ورؤيته لها بجوانبها السلوكية والحياتية وخصوصيتها المتفردة وعلاماتها المفترضة، لذا فان "الاداء عبارة مفيدة مشهورة جدا وهي (السلوك المستعاد)". وقد اكد جون موكلون ايضا على انه لا يوجد اداء دون وجود اداء سابق⁽¹⁾، أي استعادة تصور سلوك (متكرر ومسبوق) ولكنه تخيل (بطرق شتى) الى حقيقة ماثلة على خشبة المسرح، وهذا ما يميز ممثلاً عن اخر في ادائه واستيعابه للدور او الشخصية على اعتبار ان كل ممثل (الذات الماثلة بالجسد) يحدد بادائه السلوك المستعاد للآخر (الشخصية المنشقة عن ذات الممثل) ولكن ليس على حساب غياب الوعي (الادراك الخارجي الذهني) واللاوعي عنده (الصور المخزونة في اللاشعور) باتجاه الحضور المزيف او المصنع للآخر والذي يقرره الممثل وخياله من خلال درجة تأثيره الادائي في لحظة ذلك العرض "فالممثل لا يفقد ذاته تماما على خشبة المسرح ويتعرض في كل لحظة لمثيرات ومؤثرات مختلفة تتدخل بدرجة ما في تحديد حالته السيكلوجية ومن ثم في تفسيره للدور وادائه له"⁽²⁾، وهذا ما يقود المتلقي للتعاطف مع ممثل في دوره لشخصية معينة وقد يكره او لا يتعاطف مع ممثل اخر في الدور نفسه او الشخصية، لاختلاف تعاطي سلوكها وادائها وتخليه أو استعادته بطريقة تختلف عن الآخر، وهذا يرتبط ايضا بمزاج العرض وظروفه في ذلك اليوم والذي قد يختلف في يوم اخر ومن ثم فان الاداء يكون مختلفا تبعا لذلك المزاج ونوعية الجمهور والظروف الموضوعية للعرض "وقد علق لورنس اوليفيه" ذات مرة، وبعد ادائه الفذ لشخصية (الملك لير) اعرف ان ادائي كان عظيما، لكن لا اعرف كيف قمت بذلك، ولذلك فانني لا اعرف ما اذا كنت قادرا على القيام بذلك مرة اخرى ام لا"⁽³⁾، انن فالاداء سلوك (فعالية) تتناول سلوكاً اخر يستعيه او يصنعه او يتخيله الممثل واذا فشل السلوك الاول (الممثل) بأستعادة السلوك الآخر (الشخصية) يعني فشل ذكاء الممثل على الاستعانة بالخيال لاتمام صفقة السلوكين "فالاداء هو سلوك يتم بقدر معين من المهارة في مجال معين، وهو يتطلب قدراً مناسباً

(1) كارلون، مارفن، مصدر سابق، ص 22.

(2) هلتون، جوليان، مصدر سابق، ص 213.

(3) ويلسون، جلين، مصدر سابق، ص 12.

من التدريب والاستعداد والتهيؤ حتى يصل المرء الى مرحلة التمكن او الكفاءة⁽¹⁾، لذا فان القدرة الادائية تحول الزيف الى حقيقة وتجعل من المتلقي مطاوعا لرغبات الممثل في تخيله المستقل للصورة المرئية المتمركزة على الخشبة، على اساس ان علامات ادائه تاتي من خلال تحويله الخيال الى واقع او الصناعي الى الطبيعي (ليس بالضرورة مطابقا مع خيالات المتلقي) هذا التحول يجعل المتلقي يدرك طواعية ان كل ما في الطبيعة (في الماضي والحاضر) قد نقل جزءا منها على الخشبة "والمترجون بدورهم يعتمدون على قدرة المؤدي على اقناعهم بصدق ما يقول داخل الاطار المحدد للعرض"⁽²⁾، وبهذا الاداء تحصل شبه اتفاقية بين المتلقي والممثل على اعتبار ان كل ما يقدم من زيف هو حقيقة يستوعبها او يؤجل النظر فيها على انها غير واقعية او زائفة (لحين انتهاء العرض) فالعرض المسرحي زمنيا خاضع لقوانين خارج حيزه المعتاد (وقت العرض+ وقت الاحداث داخل العرض) أي انه وقت مستقطع من الزمن الحياتي او الواقعي وعليه فان المتلقي يؤمن بان ما يحصل على الخشبة جزء من حياته او امتداد لها ومن ثم فان قوة اداء الممثل تجعل من العلامات الموثقة قادرة على تصديق العرض حيث يكون "الاداء المسرحي هو بناء للصورة الخادعة... وباعادة ترتيب المكونات نفسها او اضافة مكونات جديدة لها يمكن ان يعطينا صورة خادعة مختلفة تماما"⁽³⁾، وهذا لا يعتمد فقط على اداء الممثل بل استعداد المتلقي التخيلي هو الآخر باستقطاعه للزمن والمكان المسرحي من الزمن نفسه والمكان الحقيقي (الحياتي) "فالمؤدي هنا يعتمد على استعداد المترجين للتعاون معه في تحويل خشبة المسرح العارية الى عشب اخضر عن طريق الخيال... أي اننا نعتقد مؤقتا منظور المؤدي الذي يراها عشا وحين يحدث ذلك نكون قد قبلنا مبدا الاشارة والتعريف فلا نحتاج لعشب حقيقي يجسد وصف الممثل"⁽⁴⁾، ولكن هذه الفكرة على ترابط الذات (الممثل) والآخر (الشخصية) تحددتها قيمة قياسية تجعلها متباينة بين العرض الجماعي (التقليدي) والعرض المونودرامي، فالاداء في الاول هو توافقي بين مجموعة من الممثلين يصنعون شخصيات تتفق او تختلف في رغباتها، ولكل ممثل شخصيته المختلفة عن الاخرى والتي لا تحدد ايقاعها او زمنها المسرحي لوحدها بل من خلال توافقها مع مجموعة اخرى من الممثلين من وقت ظهورهم الى خروجهم او انتظارهم لمشهد اخر او الخروج نهائيا من الخشبة، لذا فان اداء الممثل في المسرح الجماعي غير مجهد نفسيا

(1) ويلسون، جلين، مصدر سابق، ص 8.

(2) هلتون، جوليان، مصدر سابق، ص 36.

(3) جوردون، هايز، مصدر سابق، ص 23.

(4) هلتون، جوليان، مصدر سابق، ص 36-37.

وعضليا (في اغلب الاوقات) لانه محدد بزمن مسرحي ثابت (الظهور في مشاهد دون الاخرى في اغلب الاوقات) أي انه غير خاضع لزمن مفتوح، وهو اداء تنافسي بين الممثلين وابرار قدراتهم على الظهور المميز اذ "ان اداء الممثلين ينبغي الا يفسد فيتحول الى صراع تنافسي بين الممثلين حيث يحاول كل منهم ان يبرز نفسه على حساب الاخرين"⁽¹⁾، اما في المونودراما فالاداء احادي (مفتوح طوال العرض) يقرر زمنه ممثلا واحدا يملك زمام شخصياته ويحدد سلوكها وصراعها (في بيئتها الحقيقية) من خلال شخصيته الرئيسية نفسها (المتازمة اصلا)، هذه الاشكالية في تداول الشخصيات تشكل للممثل هاجسا في انقسامها باتجاهات مختلفة حتمت عليه اتقان توزيعها واختيار الوقت المناسب لظهورها واختائها. ومن ثم فانه مضطر على تقسيم جسده او توزيعه على انماط اجساد شخصياته المتخيلة والمختلفة الاحجام والاطوال مما قد ينشأ صراع خفي او جدل بين ذاته كممثل وبين الاخر (كشخصية لها ابعاد) وهذا قد يحدد نجاح الممثل او فشله في هذا الخط المتباين في الاداء فهو "يفرض جملة علامات جسده الخاص على الشخصية الدرامية.. أي حوار بين الجسد الواقعي والجسد المتخيل الذي يرتسم بمساعدة هذا الاول"⁽²⁾، ومن ثم حتم على الممثل في المونودراما التركيز على تقاسم مختلف التعبيرات الجسدية بين شخوصه الممثلة والسريعة التحول والتبدل، بعكس الممثل في المسرح الجماعي الذي يحتفظ بتعبير واحد خاص به طوال مدة العرض اما الممثل في المونودراما فقد احتتمت عليه هذه التنويعات الادائية، ان يكون قادرا على التركيز على جوانب اخرى من ادائه او من ادائها: كالتلوينات الصوتية في كلمات الدور الخاص به، وفي تعبيرات الوجه.⁽³⁾، والمشكلة الاساسية في تعقيد الاداء بين الشكليين هي ان الاول يستعيد سلوك شخصيته مرة واحدة مع وضوح معالمها لديه (أي الممثل وشخصيته فقط) اما في الاخر فانه يركب هذا التداول من خلال استعادة الممثل لشخصيته الرئيسية اولا والتي بدورها تستعيد سلوك شخصيات تتولد او تلد منها ومن ثم فان التعقيد يصبح اكثر صعوبة في تبني مجموعة من الشخصيات في وقت واحد او متقارب، وهذا ما يعطي فرصة للتطهير الدرامي لتزاحم ازمات الشخصيات وتراكمها اكثر من وجود الحدث نفسه أو ظهوره مع الشخصيات في المسرح الجماعي، وما دام الاداء في المونودراما عرضاً لازمات واخفاقات الشخصيات اكثر مما هو عرض للاحداث وصيرورتها فانه "يعتبر الوصول الى سيطرة اكبر على الرعب الذي نشعر به، خاصة ما يتعلق منه بصدمات تنتمي الى ماضيها الحاص هو جوهر

(1) ويلسون، جلين، مصدر سابق، ص 150.

(2) سفيلد، ان اوبر، مصدر سابق، ص 193-194.

(3) ويلسون، جلين، مصدر سابق، ص 150.

ما يسمى بالتطهير⁽¹⁾، فالتطهير يرتبط بالخيال (عند الممثل والمتلقي) وقدرة الاداء على انشائه وجعله قابلاً للتصور والتجسيد المرئي، ولكن تجسيد الشخصية وازمتها للوصول الى هذا التطهير لا يعني الغاء ذات الممثل او عملها أو تحجيمها على حساب الاخر فهذا امر خارج السياقات الطبيعية، فلا يمكن باي شكل من الاشكال مزج او حتى فصل الذات عن الاخر، حيث ان كليهما مكمل للآخر، ومن ذلك فان الممثل سواء في المسرح الجماعي او المونودرامي يؤدي بوعي على انه البديل عن ذات الشخصية ومن ثم فانه يجتهد ان يمنح جزءاً من ذاته الى ذات الاخر وان يترجمها بصدق الحياة، لذا فان ادائه "يكون طبيعياً باصطناع فوق الخشبة وان يحاول ان يجعل اصطناعاً غير مصطنع"⁽²⁾،

ان الممثل كونه علامة فانه يشير الى شيء اخر غير ذاته بل يشير الى الاخر باعتبار ان العلامة لا تشير الى نفسها أي في ايقونيتها ومن ثم تصبح شيئاً جامدا يرمز الى اتجاه واحد لا غير، ولكن العلامة المركبة والمتحركة لا تمثل ايقونة رمزها او وظيفتها الحياتية فحسب بل الى وظائف واشارات لجوانب الترميز الاخرى، فالعلامة في اداء الممثل تعطي تصوراً للآخر ولكن من وراء ستار ذات الممثل فهي هنا "واقع يدرك بالاحساس وهذا الواقع يشكل علاقة مع واقع اخر يستدعيه الواقع الاول"⁽³⁾، في المونودراما حيث التراكم العلاماتي الذي يشكله الممثل (كونه وحيداً على الخشبة) باتجاه تجسيده للشخصية الاولى او الرئيسة ومن ثم الشخصيات المستعادة منها حيث تشكل اشارات مستمرة لواقع متحرك في انتاج سيل من العلامات المختلفة بفعل كثرة الشخصيات المتوالدة من الشخصية الاولى التي يؤديها لذا فان الاداء هنا هو البحث عن الاخر ويجاد هويته ورموزه وعلاماته من خلال صوت الاول وجسده (الممثل)، للوصول الى اصطناع الحقيقة ولا يتم بلورة ذلك الا من خلال مجموعة من الاليات والتقنيات التي من خلالها يستطيع الممثل الوصول بقناعه لما يحصل على الخشبة وكذلك مراقبة الناس وكيف يتصرفون ويتعاملون، فينصح المؤلف المسرحي (هايز جوردون) في كتابه (التمثيل والاداء المسرحي) الممثل على "الادراك الحسي حتى تزيد من حدة وسرعة حسك البصري الحركي والثابت... ومارس استعارة سلوك الاخرين وجعله سلوكاً لك، ومارس ايضاً التخلص من سلوك الاخرين

(1) ويلسون، جلين، مصدر سابق، ص 20.

(2) باربا، اوجينو، مصدر سابق، ص 71.

(3) ملروز، سوزان: اتجاهات جديدة في المسرح (علامات النص الدرامي)، تر: ايمان حجازي، (القاهرة:

مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، 2005)، ص 11.

المستعار عند الطلب، عادة باحلال محله مجموعة جديدة من سلوكيات شخص ما آخر⁽¹⁾، ان اعادة سلوك الشخصية المتخيلة لا يعني تصويرها حرفيا في معاناتها والتي يمقتها الجمهور كالحظات التعذيب او الموت لذا "لا ينبغي ان نعذب الجمهور باختناقنا امامه، او تشنجا ساعة احتضارنا، لا يمكن ان تثير هذه الاساليب سوى الالم والاشمئزاز"⁽²⁾.

وعليه لابد من اعادة ترتيبها وبرمجتها الفنية على الخشبة، وهذا ما ينطبق على العلامات الادائية في المونودراما، فالممثل يعطي علامات الاداء بالاشارة الى شخصيته لا تصويرها الفوتوغرافي لان هذا التصوير يعني الابطاء الايقاعي في حركية الحدث او التحول داخل العرض في حين ان احدى سمات الاداء في المونودراما هو السرعة في الايقاع لحاجة العرض اليها في صورة الانتقال من شخصية الى اخرى وحالة الى اخرى.

التكوين العلاماتي بين اداء الممثل الطبيعي (النفسي)

وبين الاداء التشخيصي (الواعي) في المونودراما

دائما ما يؤدي الممثل في سياق العرض دور الوسيط في استحضاره سلوك شخصيته المتخيلة وعرضها على الجمهور، وحتى في مسرح الدمى فان صوته هو الاساس في نمط تحريك لعبته او دميته وما توحى به من سلوك شرير او خير لها "فان الممثل وهو يلعب دوره يؤدي وظيفة علامة للشخصية"⁽³⁾.

وللتعبير الادائي في نقل زيف السلوك (المصطنع) الى حقيقة على الخشبة حاول الممثل بشتى الطرق الاندماج في الشخصية لزيادة هذا التعبير بواسطة استغلال التقنيات المتاحة من مكياج وازياء وديكور واكسسوار للوصول الى دقة النقل الحرفي لجزئيات الشخصية. ولكنه في موضع اخر ترمد على غياب الذات كليا واصبح يطالب بوعي الاداء يحقق له الحضور الذهني ويلامس مشكلة شخصياته من خلال تحليل مضامينها الفكرية والاجتماعية، لا من خلال البكاء عليها، وبذلك فانه تحدى لغة الذوبان والاندماج او الانصهار او حتى الاقتراب من جسد شخصيته ف"عندما يبدا الممثل في الاعتقاد بانه الشخصية فهذا هو

(1) جورديون، هايز، مصدر سابق، ص 47.

(2) اصلان، اوديت، (ج2) مصدر سابق ص 525.

(3) استون، الين وجورج سافونا، مصدر سابق، ص 71.

الوقت لترك المسرحية"⁽¹⁾، وعند ذلك فقد اتجه الى الاداء الراديكالي الواعي ليحقق نسبة حضوره كمراقب للشخصية وسلوكها لا مندمج فيها، وبهذا اصبح شريكا للشخصية على الخشبة يتواجدان عليها كل في حيزه الافتراضي، واصبح كذلك المتلقي يفهم اللعبة المسرحية ولا يغوص في مجاهلها او مجاهل شخصياتها الدرامية "فان الفضاء انفتح مرة اخرى بين الممثل والدور، والمتفرج الان في موضع على مسافة نقدية من الوهم الدرامي بتوحد النص الدرامي الراديكالي وجماليات الاداء غير الايهامي"⁽²⁾، وما دام الممثل هو مصدر العلامات بشكلها الايقوني او المركب: واداءه هو اشارة لشخص اخر متخيل باستخدامه اللغة او الحركة (الجسد) وتعامله مع عناصر العرض فان الجمهور يدخل في ثنائية المقارنة والتقييم لطبيعة هذا الاداء ويقرر مستواه، فحسب ما يقوله عالم الاجناس واللغات (رينتشارد بومان) في كتابه (الموسوعة العالمية للاتصالات) "كل اداء يشتمل على وعي بالثنائية ومن خلال هذه الثنائية يتم تنفيذ فعل ما بعد وضعه في صوره ذهنية مقارنة بنموذج اخر مثالي له او نموذج اصلي موجود في الذاكرة وفي العادة تتم هذه المقارنة بواسطة الشخص الذي يراقب هذا الفعل مثل جمهور المسرح"⁽³⁾، ولكن الممثل لا يعتمد في تقييم ادائه على الجمهور فقط بل من خلال ثنائية وعيه الخاص ومدى قدرة حسه وذهنيته على مقارنة ادائه بمستوى ذهني خاص، أي مراقبة ادائه بوعيه الشعوري الداخلي. وهذا ما ينطبق على تناول التجسيد الدرامي بين الاداء النفسي (الطبيعي) عند ستانسلافسكي وبين تناوله التشخيصي عند برشت، فالاول يطالب الممثل ان تكون الشخصية كاملة بكل ابعادها وان يعيشها من خلال تقمصه لها، اما الثانية فلا بد من ايجاد التناقض او المسافة بين الممثل وشخصيته .

ان الممثل في ادائه الطبيعي يكون سلوكا متوحدا مع شخصيته في اظهار تفاصيلها بينما في الاداء الراديكالي فانه يقف منحازا الى افكار شخصيته وخطها الايدلوجي لا الى جسدها او تعبيرها الداخلي، وبذلك يصبح راويا ومتحدثا باسمها ففي "النص الراديكالي تمثل الشخصية باعتبارها "بناء" ففي مسرحية (الام) يفيد برشت كثيرا من توجيه الحديث مباشرة الى الجمهور، وهو يحطم حواجز التقاليد المكانية ويحقق المشاركة بين الممثل والمتفرج"⁽⁴⁾، ولما كان الحوار في الاداء الطبيعي متماسكا ومجسدا لروح الشخصية فاننا نجده في الاداء الراديكالي شارحا

(1) جوردون، هايز، مصدر سابق، ص 27.

(2) استون، الين وجورج سافونا، مصدر سابق، ص 71.

(3) كارلسون، مارفن، مصدر سابق، ص 12-13.

(4) استون، الين وجورج سافونا، مصدر سابق، ص 57.

وناقدا ومحللا للفكر الايدلوجي للشخصية لا الى واقعها السيكولوجي "فعلينا ان نتوقع ان نجد تمزقا للوظائف التقليدية التي يتسم بها الحوار الدرامي، أي وسائل رسم الشخصية والمكان والفعل وان نبحت عن اساليب التمزق وتجلياته في نظام العلامات اللغوي"⁽¹⁾، وعليه فان الاداء التشخيصي هو " تكسر حالة الايهام والغاء مظاهر التماهي بين الممثل والشخصية وتنبه المتلقي الى اليات الخطاب المسرحي بدلا من ان تخفيها"⁽²⁾، ويقترب الاداء في العرض المونودرامي من طبيعة الاداء الطبيعي في تجسيد الشخصيات والاحداث لخلق درجة عالية من الايهام والخيال لاجترار التعاطف للشخصيات المستدعاة ومعاناتها لخلق التطهير المراد من هذا الاداء، وما دامت كثير من المسرحيات المونودرامية تعنى بالعودة الى الماضي باحداثه وشخصه فانه محاولة لشرح وتبيان ازمات بل فشل تلك الشخصيات في حياتها فكان الاداء يحث المتلقي على التعاطي والتعاطف معها، ويرى الباحث ان الاداء المفترض في المونودراما هو اداء يمتزج فيه الاداء الطبيعي (النفسي) مع الاداء التشخيصي وذلك لخلق المتعة من خلال التنوع الادائي وليس حصره على نمط واحد والرجوع الى الممثل في طرح الافكار ومناقشة مسببات ما حصل لشخصياته لا البكاء عليها، وكذلك اشراك الجمهور في اللعبة المسرحية وعمل التواصل الانبي بين الممثل ومتلقيه وعدم اعطاء المبالغة لما حدث لتلك الشخصيات بل ايصال الحدث على انه شئ عادي يحصل لكل فرد وكان بالامكان تجاوزه بالحكمة وضرورة تجاوزه مستقبلا، فنحن يجب ان نشعر "بان الهدف المعروض امامنا وكأنه حدث عادي غير متوقع له خاصية فريدة ومميزة ويتسم بالراديكالية"⁽³⁾، اذن لابد من مزج بناء الشخصية السايكولوجي مع بنائها الايدلوجي كرمز موضوعي لصيرورة بناء الاحداث في الحياة واستخدام لغة العقل والقلب في تفسيرها وتحليلها العقلاني والحسي وبهذه المزوجة يترجم الاداء وفق الاحتياجات الانية، وما ينتجه العرض من افكار وحوارات، تزوج بين الذهاب الى الشخصية والذهاب الى المتلقي، وخلق ترابط ثلاثي بين الممثل والمتلقي، وبين الممثل والشخصية ومن ثم بين الشخصية والمتلقي، وبذلك تتاح الحرية في انتاج العلامات لتعدد نمط العلاقات الميدانية المتبادلة على خشبة وتعدد الاداءات وما يفرزه من علامات تكونت بفعل تعدد الاتجاهات بين النفسية والذهنية، وبالضرورة سوف يعود هذا التداخل الى شكل اخر بين الحوار الفصيح وبين الحوار الشعبي (اللهجة الدارجة) كتتنوع ادائي تغريبي يعزز سلطة الحوار وفكرته في المواصلة الحسية والفكرية للعرض وكذلك

(1) استون،الين وجورج سافونا،مصدر سابق، ص 95.

(2) علي، عواد، غواية المتخيل المسرحي، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 1997)، ص 43.

(3) كونل، كولين، مصدر سابق، ص 314.

المتعة الانية المضافة له ومن ثم اصفاء الدهشة والتقرب اثناء العرض , وهذا ما قاد الى راديكالية جزئية في مشهد الاداء المونودرامي في صيغته التعبيرية بما يتسم بالانفعالية واللامالوفية، مما يؤدي الى خلق فرص انشاء العلامات بسبب تحرر العرض من ايقونية التصوير الفوتوغرافي، وتحرره من النقل الحرفي للحياة الذي تصبح فيه نسبة تكوين علامات قليلة جدا على العكس من المذاهب البعيدة عن الواقعية والتي تتحرر فيها الخشبة من اليات الحياة الاجتماعية وتتطلق في حركات وحوارات بعيدة عن المألوف الحياتي مما يتيح تجاوزه نحو خيال الحركة في الفعل المسرحي وحدثه وعلاقته بكل عناصر العرض المسرحي، وبذلك فان الاداء عند الممثل في المونودراما بالضرورة سوف ينشيء علامات تخضع للمنطق الراديكالي (في جزء منه) المتعجر والمتشظى والمتحول واستخدام المهمات المسرحية والديكور بل كل عناصر العرض وتحويلها على وفق رؤية الرمز المشار اليها لا التطابق في الصورة الحياتية خارج الخشبة، وبذلك فان التزاوج بين الاداء الطبيعي والراديكالي يولد حالة من الامتاع لدى الممثل وليس المتلقي فحسب لانه يعطيه القدرة على التنوع في اللغة والحركة، والاهم انتاج العلامة فالمزوجة بين الادائين قد اثرت في المتلقي في تواصله مع العرض ومتعته في التنوع الحاصل على الخشبة وتأثيرها الذي اصبح بمثابة "التغيير في البيئة الاجتماعية لهذه الجماهير وفي كنههم وطبيعة ثقافتهم، ومن قبيل المفارقات والالهام فان المحرك المؤثر لمثل هذه التغييرات يتمثل في النتائج وردود الفعل الفوري والوقتي لاثراء الاداء - كالضحك والبكاء والتصفيق والاستحسان والاستجابات الجماهيرية الاخرى للمشاهدين ولقد خصصت هذه المؤثرات الحركية كاسس جوهري لتبديل الثقافة الاجتماعية وتحويلها في اتجاهات خاصة حتى تحدث تعديلات واسعة ودائبة في الثقافة وفي المجتمع ككل بصفة عامة"⁽¹⁾.

ان الاداء في المونودراما بات لا يجسد شخصياته كما هي في الماضي فحسب، بل قد يضطر الى محاكمتها على اخطائها وخطاياها وبذلك فانه ينتقل من مرحلة الاستعراض الدرامي الحياتي لها الى مرحلة محاسبة وعيها الفكري والاجتماعي والتأكيد على التأثير الانى والبعدى في المتلقي لما كان وما سوف يحدث وترجمته على الخشبة، حيث يشكل هذا التأثير "للعروض الفردية والمستوى الكبير الضخم للمنهج السياسي والاجتماعي يحتملان التفاعل المثمر على نحو متبادل وبشكل ما ومن ثم فأنني اعني (بالفاعلية) الامكانية والاحتمالية التي يمكن للمسرح

(1) شو، بازكير: سياسات الاداء المسرحي، ت: امين الرباط، (القاهرة: مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي،

استحواذهما ليحدث النتائج الفورية للتأثير الادائي⁽¹⁾، وبذلك يشكل اداء الممثل في المونودراما علامات من خلال خلق المتعة والفائدة بالتلوين الحوارى والمذهبي واسلوب التعامل مع الاداء على انه ليس شكلا جامدا يصب باتجاه واحد لا غير.

(1) شو، بازكير، مصدر سابق، ص5.

التحويلات العلاماتية لعناصر العرض

وعلاقتها باداء الممثل في المونودراما

علامات الاداء ومنظومة الزي في المونودراما

هل العمل المسرحي اتصال ام تواصل؟ فمن البديهي ان يوجد طرفان في المعادلة المسرحية، الطرف الاول هو (الباث) ويعني هنا الممثل وموجوداته وعناصر العرض المسرحي كعلامات دالة (اضاءة، موسيقى، ازياء، مهمات مسرحية) والطرف الثاني هو المتلقي أي الجمهور وهذا يعني ان هناك جهة تعطي الرسائل والمعلومات والعلامات وجهة اخرى ليس عليها سوى تسلمها بدون رد الا من الانفاس المتصاعدة وعلامات الاستحسان او الاستهجان من خلال الصفيق او التصفيق "فالمفرجون لا يستطيعون ان يردوا على الممثلين"⁽¹⁾، وتبقى بعض الاراء تؤكد في هذه الحالة عدم وجود مفهوم (للتواصل) لعدم قدرة المتلقي على المحاوره او ابداء الراي الا بعد انتهاء العرض لان الرسالة المبنوثة تسير باتجاه واحد دون رد عملي او (اني) على ما يجري على خشبة الجمهور "لا يحق له ان يشارك مباشرة في الفعل الدرامي الواقع على المسرح"⁽²⁾، ومن جهة اخرى فهناك الراي الاكبر والاعم (وهو راي الباحث ايضا) الذي يقوم على الفكرة الاساسية في المسرح أي قدرة (الباث) الممثل على الارسال العلاماتي من خلاله ومن خلال موجوداته المتضمن شكل العرض وفكرته التي سوف تعمل عملها في ذهنية المتلقي وتجعله في حالة من التواصل في المتابعة الحسية والعاطفية للشخصيات والافكار من خلال مشاركة المتلقي (الخيالية) في الاحداث كونه اصبح جزء من سيرورة ذلك الحدث وبنيته، اذن فالتواصل لا يفقد عنصره لان هناك جهة باثة واخرى متلقية صامتة، فالاداء هو فن التمكين والتمكن من فرض الشخصية والاقناع بها، ومن علامات هذا الاقناع هو (التبرير، الخداع، الايهام) أي رسم صورة مطابقة او مقاربة او ربما مختلفة لما يرسمه او رسمه المتلقي مسبقا (قبل دخول الصالة) وبين ما سوف يشاهده على خشبة من (اماكن، طرق، اشكال الشخصيات، الازياء، الوان) وهو اتفاق يكاد يكون (اجبارياً) بين ما يريده العارضون ولا بد ان يقبله المتلقون (سلبا وايجاباً)، "فمن يقصد المسرح يتوجب عليه ان يقبل... بانه هنالك واقع خيالي جديد سوف يمثل افراد جرى اختيارهم كمؤدين وان دوره... هو دور المتفرج"⁽³⁾.

(1) اسعد، سامية احمد، الدلالة المسرحية، مصدر سابق، ص 67.

(2) ايلام، كير، مصدر سابق، ص 137.

(3) المصدر نفسه، ص 137.

وما دام (الزى) احد العلامات المهمة التي يبتها الممثل عند ارتدائه له باتجاه الصالة فانه لا يمثل اشارة لاشارة واحدة بل اشارة الى اشارات متعددة (سلوك، نظافة، قذارة، انتماء اقتصادي، قومي، ديني) أي ان الزى من العلامات المركبة وليست احادية الاشارة فهي تشكل اهمية في ذوق المتلقين عند تلقيه صورة ذلك الزى وتطابق او اختلاف ما رسمه وما يشاهده الان على الخشبة، ذلك الحس المزاجي والذوقي هو (مقارنة خفية) فيما يرتديه هو وما ترتديه الشخصية على الخشبة، فالزى على المسرح من الحساسية بمكان لا تسمح باي فشل في اظهاره بشكل غير كامل من ناحية تفصاله وخياطته واللوانه ومدى ترابطه مع جوهر الشخصية (المحبوبة او المكروه) في احداث المسرحية حيث تشكل علامة دالة على هوية الشخصية وانتمائها الاجتماعي والطبقي والقومي والديني فان "الزى هو شيء مادي واشارة في ان واحد، بمعنى ادق، يحمل الزى بنية من الاشارات، يعين الزى القومي هوية اعضاء طبقة اجتماعية، وهوية قومية ودين، ويرمز الزى الى منزلة لابسها وعمره"⁽¹⁾، ولا تشير الازياء فقط على هوية الشخصية بل حتى في سلوكيتها او نفسيتها فان "القميص غير المزور يمكن ان يوحي بالجندی اللامبالي الذي يلبسه وهو جالس مع رفاقه منهمكا يشرب الخمر وحين يزور القميص يشير الى موقف حريص ومركز واضح لللبسة"⁽²⁾. ان تاثير الازياء فى الممثل وادائه تظهر معالمها من خلال راحة الممثل النفسية لما يرتديه ودرجة اقترابها من تصويره المسبق لطبيعة الدور او الشخصية فهذا الممثل بالتاكيد لن يكون راضيا اذا اسند له دور (الملك) وكانت ملابسه متهاكة وضيقة او اللوانها غير متناسقة ويقف بجواره على الخشبة وزيره بملايس افضل منه، وهذا بالتاكيد سوف يؤثر فى أدائه ويجعله فى حالة من التوترطوال مده العرض، وهذا ما يحصل مع ملايس الممثل فى المونودراما عندما تكون ملابسه رديئة وضيقة وغير مريحة فى حركته المتواصلة وبعيدة عن تصويره او تخيله لما مرسوم لصورة الشخصية الرئيسة، فالازياء عند الممثل فى المونودراما ترمز الى حقائق يجب ان يصورها خيالها بالاشارة والايماة والحركة السريعة والبطيئة للجزر التاريخي والطبقي والديني لكل الشخصيات الاخرى، وكذلك فان الازياء فى المونودراما البعيدة عن الواقعية فانها تهتم بها على اساس اظهار الفكرة الاجتماعية او السياسية للنص بمعزل عن تطابقها فى الواقع مع نمط عيش الشخصيات او مكانها او زمانها، وهنا يكون الاداء حرا أي لا يتجه اتجاها سايكولوجيا او واقعيا (مطابق للحياة) بل اداء (تشخيصيا) يهتم بالفكرة وطرحها واسنادها الى ما تحتويه الخشبة من موجودات وعناصر مساعدة لها، ولما كان الممثل فى المونودراما هو العلامة

(1) بوغاتيرف، بيتر، مصدر سابق، ص 63.

(2) المصدر نفسه، ص 66.

الرئيسة والمحرك لباقي العلامات على الخشبة فانها من خلال جسده المتحرك سوف تجري تحولا تلقائيا لباقي العناصر ولاسيما المتلامسة مع جسده ومنها الازياء اذ تتحول من شكل الى اخر تبعا لتكوين جسده الجديد والاداء المختلف والملائم للشخصيات الاخرى، فالرداء على الكتف قد يتحول الى عباءة فوق الراس او غطاء على الوجه للاخفاء والتتكر، وشرشف المنضدة الاحمر قد يتحول بيد الشخصية الى قطعة القماش الذي يستخدمه مصارع الثيران في اسبانيا واذا كانت بيضاء تستخدم كاشارة للاستسلام او الصلح او شراع سفينة، هذا الاداء المتغير يتحقق من خلال التوافق بين ما ينتجه الممثل من علامات متحولة وما يساعدها او يساعد تحولها من المهمات المسرحية او الاضاءة او الموسيقى ولاسيما الازياء بالطبع، ولما كان الممثل في المونودراما مستمرا في عرضه لفترة طويلة، فان راحته فيما يرتديه من ملابس والتي تؤثر في طبيعة ادائه المتواصل والمرهق ومن ثم الضغوطات النفسية وهواجسه برضى او سخط متلقيه في الصالة والذين لا يجدون امامهم الا ممثلا واحدا وعدة شخصيات تقرض بالضرورة لحظات قلق لعينييه وذهنه في ان واحد، وعليه فان هناك جملة مؤشرات يجدر (بالمخرج ومصمم الازياء والممثل) ، اتباعها حتى تكون الازياء ملائمة لحركة الممثل وتطابقها مع واقع الشخصيات وملائمة للناحية البصرية والجمالية) لعموم الخشبة واهمها:

1. تناسق الوان الازياء مع الديكور والمهمات المسرحية وارضية الخشبة وخلفياتها.
2. قياس تاثير شدة الضوء الساقط وانعكاسها على الوان الازياء فوق الخشبة.
3. تناسق الوان الازياء مع المكياج (في حالة وجوده) أي عدم استخدام الالوان المتضاربة.
4. مطابقتها مع بياض او سمره بشرة الممثل.
5. تناسقها مع الاكسسوار المرافق لها (الخاص بالازياء) من ناحية الحجم واللون والقيمة.
6. استخدام قطع الملابس المستقلة والسريعة الفرز لاستخدامها الخاطف في التحول من شخصية الى اخرى.
7. اختيار نوعيتها وفق الموسم الذي تعرض فيه المسرحية، أي عدم استخدام الملابس الغليظة في الصيف او الخفيفة في الشتاء وذلك لطول فترة اداء الممثل في المونودراما على الخشبة.
8. مطابقتها في التفاصيل لازمان الشخصيات الممثلة على الخشبة وأماكنها ودياناتها.
9. خياطتها بشكل يناسب والاداء الحركي المستمر والطويل للممثل في المونودراما.
10. خياطة اكثر من قطعة ملابس للشخصية الرئيسة (للاحتياط) واستخدامها في حالة الطواري.

علامات الاداء ومنظومة الديكور المسرحي في المونودراما

قد تؤدي الصورة المرئية للخشبة بمحتوياتها من (ديكور، اكسسوار، ازياء، اضاءة) دورا في تشكيل معالم الرؤية الجمالية والوظيفية، والتمثيلية لما يجري فوقها وما سوف يستقبله المتلقي منها (سلبا او ايجابا) في اشكال الشخصيات وافعالها، والاحداث واماكنها وزمان حدوثها، وغالبا ما تحفز هذه الموجودات وفي مقدمتها (الديكور المسرحي) البعد الخيالي للمتلقي في شكل الاحداث وصورها خلف المنظور المتمركز انيا على خشبة المسرح، أي الاماكن المتخيلة المحيطة بذلك التكوين المائل فوقها، اذ يمثل الديكور "النصف الاخر في المكان العام الخيالي الذي يحيط به والذي يتخيله المتفرجون من واقع الديكور كمكان الاحداث"⁽¹⁾، وهذه صفة سيميائية للعلامة المتخيلة لما ورائية المسرح وما يجري لأمتداد الخشبة من داخلها الى خارجها وبالعكس، وبذلك فان اشكال الاشياء وحجومها على الخشبة تعطي علامات مهمة في تكامل الصورة الواقعية مع نظريتها المتخيلة في الخارج فان "الديكور الذي هو بحجم طبيعي فهو اغنى لانه يتمتع بعمق واقعي، ولذلك هو اقرب الى الموضوع الحقيقي الذي يرمز اليه"⁽²⁾، فجسد الممثل كتلة مادية محددة وثابتة نظريا، يقاس عليها ومن خلالها موجودات الخشبة والديكور المسرحي بالذات باعتباره كتلة كاملة او كتلا متغيرة ومصنوعة (تقريبا) عن مثيلاتها في الحياة الواقعية ويخضع في تجسيده لمساحة وحيز الخشبة وحركة الممثل بجانبه وداخله، ومن ثم فان المبالغة في حجم الديكور او صغره يقلل او يزيد من حجم كتلة الممثل (الثابتة) بالنسبة له ويخلق صورة مشوهة في ذهنية المتلقي عن الصورة المثالية التي انشاها مسبقا، اذ لا بد ان يلتزم مصمم الديكور في عرضه المسرحي الدقة التاريخية والتقريبية لاحجام مثيلاتها في الواقع (اذا كانت موجودة او متخيلة) فلا بد للديكور ان يحاكي "الاماكن العامة مثل البرلمان الروماني القديم او كاتدرائية كانتربري او دار الاوبرا الباريسية على خشبة المسرح بل ويستطيع ايضا ان يحاكي الاماكن الخاصة الداخلية في تشكيل يتخذ شكل العلبة"⁽³⁾، وهذا ما يجعل هذه الدقة سمة اساسية في تقبل المتلقي لما يحدث على الخشبة من دون خلق فجوات بين الفعل ومحيطه فان "عيون الصالة كلها متجهة الى الديكور، كل واحد يبدي رايه في الدقة الاثرية الخاصة بغرفة منحوتة او باب مبطن بالحزير"⁽⁴⁾، فان اول ما يراه المتلقي على الخشبة هو الديكور والمهمات المسرحية

(1) هلتون، جوليان، مصدر سابق، ص 128.

(2) فليتروسكي، يوري: الانسان والموضوع في المسرح، مصدر سابق، ص 142.

(3) هلتون، جوليان، مصدر سابق، ص 128.

(4) اصلان، اوديت: مصدر سابق، ص 638.

من اكسوار وقطع ديكورية منتشرة هنا وهناك، فهو يريد ان يعرف اين تقع هذه الموجودات وفي أي فترة وفي أي زمان قبل ان يعرف ماذا يفعل الممثل بينها وداخلها، ولماذا فالديكور يعني للمتلقي "الدلالة على المكان الجغرافي (ميدان عام) او الاجتماعي (مسرح، قهوة) او كليهما (شارع تطل عليه ناطحات سحاب) ويمكن ان يدل الديكور او احد عناصره على الزمان، فالمعبد اليوناني دلالة لفترة تاريخية معينة، وسقف المنزل الذي يغطيه الجليد دلالة لفصل الشتاء.. وقد يكون الديكور دلالة للجنسية او الوضع الاقتصادي او الديانة"⁽¹⁾، ولما كانت العلامة بطبيعتها تحفيزا للعلامات الاخرى من حيث "هي واقع حسي على علاقة بواقع اخر يفترض بالاشارة اثارته"⁽²⁾، فان الديكور (كعلامة) لا يحفز الصورة المتخيلة مسبقا والمرتبطة بذهن المتلقي فحسب بل على الفعل المسرحي نفسه، وبالتحديد فعل الممثل الحركي والشخصية وابعادها في المحيط نفسه الذي رسمه في مخيلته، كذلك فان الممثل نفسه يشترك مع المتلقي في تخيل الصورة النهائية لمكان الشخصية وحركتها وعيشها (ليس في اللحظة الانية للعرض المسرحي) بل في التمارين الاولى للمسرحية (اثناء القراءة والحركة) ومن ثم فان ادائه سوف يتاثر تلقائيا بما يراه ويحسه من دقة ما يجلس عليه او يتحرك من خلاله او ينام فوقه او يتحاور او يتصارع داخله، وهذا ما حفز الممثل في المونودراما على الاداء الجيد بوجود هذا العون في بيئته (الخشبة وما توفره له من مستلزمات الراحة البدنية والنفسية) وبيئة شخصيته والشخصيات الاخرى (في دقة تخيلها وتنفيذها) في الزمن والمكان والتوجهات فالاداء يتاثر سلبا اذا احس ان الديكور اكبر او اصغر منه ولا يمثل الدقة في تجسيد محيط شخصياته او احس ان حركته اصبحت مقيدة بديكور حجم فعله المسرحي، لذلك فان ادائه يعتمد بشكل اساس على فعله الحركي المرتبط بقيمة الديكور المائل على الخشبة، فانه ايضا يستعين (بالخشبة المتخيلة) وامتداداتها خارج حيز الديكور وموجوداته لكي تساعده على ابراز الفعل المتخيل وتضمينه وتلوينه وكذلك التعويض بالصوت عن ملحقات الديكور وتواجدها على الخشبة ففي مسرحية (بستان الكرز) لـ(تشيكوف) فان "البستان يلعب الدور الاساسي بستان الكرز هو على الخشبة ولكن لا نستطيع ان نشاهده، لم يشر اليه فضائيا بل عبر صوت ضربات الفؤوس التي نسمع وهي تقطع اشجار الكرز"⁽³⁾، او من خلال الاداء الحركي (التعويضي) بالديكور المتخيل من خلال الحركة الایمائية او الاشارات اللفظية "فالديكور الدرامي مثلا لا يصور في اغلب الاحيان تماثليا بواسطة وسائل فضائية

(1) اسعد، سامية احمد، الدلالة المسرحية، مصدر سابق، ص 87.

(2) كاروفسكي، يان مو، الفن كحقيقة سيميائية، مصدر سابق، ص 35.

(3) هونزل، يندريك: ديناميكية الاشارة في المسرح، مصدر سابق، ص 100.

ومعمارية او تصويرية، بل قد يشار اليه بايماءة (كما يحصل في الميمياء) وبواسطة اشارات لفظية او وسائل صوتية اخرى (المشهد الصوتي)⁽¹⁾، لذا فان الباحث يرى ان يتجه الممثل في المونودراما الى الاداء في المسارح ذات الخشبة الصغيرة لتكون كتلته هي البارزة او تكون في بؤرة مركزية واضحة، حيث تكون القسمة عادلة ومتوازنة بين كتلته ومساحة الخشبة وموجوداته على الخشبة بما فيها الديكور المسرحي، وان تكون رمزية الى واقعها الطبيعي والاستغناء عن المجسمات الواقعية الكبيرة باخرى رامية لها، للوصول الى التعبير الدلالي السريع والمفاجيء باستخدام الديكور البسيط في تغيير اماكن الشخصيات المونودرامية وأزمانها وأشكالها، فاذا كانت الديكورات كبيرة ومجسمة فمن الصعوبة اجراء التحول العلاماتي في انماط عيش الشخصيات واختلاف اماكن تواجدها، فالسرعة مطلوبة وتحتاج الى زمن قياسي في التغيير كما انه لا يحتاج الى قوة عضلية لتغييرها بل حركة بسيطة لكي يتحول باب المحكمة او الكنيسة او الدار الى ممر او منضدة كتابة او طعام، او السلم الى ماذنه او برج للمراقبة او فنار او المداخل الى ممرات لقصر او دهاليز لسجن او اماكن للاخفاء والتجسس او للتكرار "ففي بعض الحالات يزود الديكور بوظائف خاصة بحيث يسمح بالظهور والاختفاء المفاجيء"⁽²⁾، كما يمكن استخدام نماذج متحركة (مزودة بعجلات) ومستقلة عن بعضها وصغيرة الحجم، حيث يمثل كل نموذج مكان عيش وتواجد كل شخصية على انفراد والحدث الخاص بها، حيث يسهل ابعاده او تقديمه للمشاهد المطلوب والحالي على الخشبة بواسطة الممثل في المونودراما، كما يمكن اضافة لذلك تعليق معظم هذه النماذج او الموجودات الديكورية الاخرى، بحبال في سقف المسرح لتغييرها المتتابع بتغيير المشاهد الخاصة بنمط عيش الشخصيات واماكنها، ولضرورة تحرير الخشبة وتحديد انماط اماكن الاداء في المونودراما وعدم اقتصارها على المكان المنصي، كان لابد من زج الصالة مع الفعل الدرامي من خلال اشراك (مكان الجمهور) مع المكان المنصي (عمل الممثل) لكي يعطي الاداء المونودرامي تنوعا بعيدا عن الجمود الحركي والمكاني، وجعل الصالة مكانا ديكوريا كساحة عامة او مكان تجمع الناس في السوق او اضراب لعمال المعمل او جمهرة في الشارع او المحلة.

علامات الاداء ومنظومة الاضاءة في المونودراما

(1) ايلام، كير، مصدر سابق، ص 23.

(2) هلتون، جوليان، مصدر سابق، ص 128.

ظلت المادة كونها تشكل المتغير الطبيعي للأشياء عنصرا للابتكار والولوج المعرفي والعلاماتي والدلالي لها والقدرة على تشكيلها بتوازٍ مع احتياجات الإنسان ورغبته في التطور والتغيير المستمر، والضوء ثم (الاضاءة) باعتباره مادة متغيرة لها علاقة بالدلالة الزمنية والحسية فقد اهتم بها رجال المسرح لانارة (خشبته) ومن ثم (روحه) كونها تشكل عنصرا علاماتيا في الدلالة على الأشياء باعتبارها مادة متغيرة (ظاهرة فيزيائية) تشير الى أشياء أخرى (حسية وعاطفية) فكان "يجب ان تقوم نظرية الضوء السيميائية في وقت واحد على تصور الضوء بوصفه ظاهرة فيزيائية وعلى تصويره ظاهرة نفسية دون ان تختلط مع أي من هذين التصويرين"⁽¹⁾، فادراك صعوبة ما كان يجري عند تقديم العروض المسرحية في الهواء الطلق قبل ظهور اساليب الاضاءة الحديثة يشكل علامة على معاناة رجال المسرح في تثبيت قيمهم الدرامية مع أحداث المسرحية وشخصياتها، حيث كان يمثل مشكلة لكاتب النص بحشوه بكثافة من الارشادات عن حلول الليل والنهار او الفجر او وقت النوم، او موعد الاستيقاظ وهذه المشكلة واجهها (المؤلف المخرج) عند تنفيذ العروض نهارا "اذ كيف يتأتى له اقامة الحدود الزمنية داخل الحبكة وكيف يميز الليل عن النهار؟ ففي مسرحية (ماكبث) على سبيل المثال يدور جزء كبير من أحداث المسرحية اثناء الليل، رغم انها كانت تعرض في الواقع انذاك في فترة بعد الظهر على مسرح الجلوب المكشوف"⁽²⁾، ومع ذلك فقد حاول اصحاب عروض الهواء الطلق استخدام نوعين من الحيل للتغلب على مزوجة أحداث المسرحية بالزمن، اما النوع الاول الاول فهو (لغوي) "فيتمثل في الاشارات المتكررة للوقت التي تجي صراحة على لسان الشخصيات او تتضمنها الدعوة الى تناول الوجبات او الذهاب الى الفراش"⁽³⁾، اما النوع الثاني من الحيل فهو باستخدام عنصر مادي مرئي او مسموع.. يشير الى زمن الأحداث مثل "استخدام المشاعل... لاعلان قدوم الليل او استخدام صياح الديك لاعلان قدوم الفجر او استخدام حيلة تغيير الملابس"⁽⁴⁾، أي لبس ملابس النوم او الخروج، اما في المسارح المغلقة فقد كانت المشكلة الاولى في انارة خشبته، فقد استعملت مجموعة من الوسائل المتاحة انذاك فقد "كانت الاضاءة في عصر اليزابيث هي الفتيل المغمور في الزيت ومصابيح تضاء بالشحم بالاضافة الى الشموع العادية"⁽⁵⁾، وقد استعملت

(1) فونتاني، جاك: سيمياء المرئي، تر: علي اسعد، (اللاذقية، دار الحوار، 2002)، ص 34.

(2) هلتون، جوليان، مصدر سابق، ص 149-150.

(3) المصدر نفسه، ص 150.

(4) هلتون، جوليان، مصدر سابق، ص 150.

(5) هويتج، فرانك م، مصدر سابق، ص 382.

الشموع بالذات في المسارح الفرنسية والانكليزية في القرن السابع عشر ولكن الفرق بينها ان الفرنسيين وزعوا الشموع في انحاء خشبة اما الانكليز فكانوا يستعملون باقة كبيرة منها فوق مقدمة المسرح "واستمر ذلك حتى منتصف القرن الثامن عشر حين نجح الممثل والمخرج (جاريك) في تغيير هذا الوضع تحت تاثير النموذج الفرنسي في الاضاءة فقام بتوزيع الشموع توزيعا دقيقا محسوبا حول المنظر المسرحي"⁽¹⁾، ثم جاء دور استخدام الاضاءة بالغاز ومن خلالها تطور الاداء والحركة المسرحية بكاملها حيث "كان هنري ايرفنج من اوائل المناصرين لها وقد تمكن في منتصف القرن التاسع عشر من اجادة فن التحكم في المصباح الغازي ودرجات ضوئه الازرق الى درجة الكمال"⁽²⁾، وجعل هذا الاكتشاف المسرحي بعيدا عن الحرائق التي كانت تحدث بسبب المشاعل والشموع او الزيت، كما اصبحت مشاهد الصراعات والقتال اكثر وضوحا وبعد ذلك وبالتحديد عام 1880 حلت الكهرباء "واصبحت الوسيلة الرئيسية للاضاءة المسرحية حتى الان ويوجد نوعان من انواع الاضاءة المسرحية (الاضاءة العامة floodlight) و (الاضاءة المركزية spotlight). اما وظيفة النوع الاول فهي الانارة الشاملة العامة... اما النوع الثاني فيوجه الاضاءة الى منطقة معينة على خشبة المسرح ويستخدم عادة لتحقيق مؤثرات خاصة"⁽³⁾، ومن هذا ندرك اهمية الاضاءة في الاداء المسرحي اذ انها "تساعد على تركيز انتباه المتفرجين وتوجيه انظارهم الى كل ما هو هام وجذاب على خشبة المسرح واغفال ما عداه"⁽⁴⁾، فالعلاقة مركبة بين (الاضاءة والعرض المسرحي) ، حيث تشمل على جانبين "جانب عملي وجانب يختص بالخيال ... فالضوء هو احد المصادر الرئيسية للصور المسرحية ، وهو ايضا ا لمؤشرات الرئيسية للزمن"⁽⁵⁾، على هذا الاساس فهناك فرق بين الضوء والاضاءة، فالاول وظيفته وظيفته مجرد رؤية او انارة الخشبة ومن عليها، من دون تعليق اما الاضاءة فهي مرتبطة بالقيمة الدلالية للاشياء بعد امتزاجها باللون وارتباطها بالزمن المسرحي وانفعال الشخصيات، وكشف غموض صوره الحدث المسرحي (حلم، تخيل، صراع، قتال) وتجسيده بشدة الضوء المسلط او خفوته واللون ودرجته والضوء وظله فالاضاءة هي "التعليق على الاحداث او التداخل في مسارها حتى تصبح عنصرا فاعلا من عناصر الاداء في العرض.. والتعبير عن الحالات الشعورية

(1) هلتون، جوليان، مصدر سابق، ص 151-152

(2) المصدر نفسه، ص 152-153.

(3) المصدر نفسه، ص 153.

(4) هوايتيج، فرانك م، مصدر سابق، ص 379.

(5) هلتون، جوليان، مصدر سابق، ص 149.

والنفسية المتباينة وعلى تنظيم وتوجيه استجاباتنا للامكنة والاشكال⁽¹⁾، وعلى هذا الاساس فان الاضاءة لها القدرة على تشكيل الفضاء المسرحي من خلال التحديد الضوئي (الخيالي) المرتبط بالزمن ومكان الحدث المسرحي نفسه ، فبأستطاعة الضوء :

1. " ان يتركز في نقطة معينة وينقل هذا التركيز
2. ان يغير من ابعاد الفضاء باضاءة منطقة وترك بقية الفضاء في الظلام.
3. ان يبين علاقة الفضاء بالزمن بتغيير اضاءة الوقت او الساعة.
4. ان يمحو حدود الفضاء عن طريق عدم انارتها وبذلك يوحي بلانهائية الفضاء.
5. ان يشكل بطريقة تجريدية الجو، واقع فضاء خارج المنصة⁽²⁾.

من هذا الادراك لاهمية الاضاءة في الاداء المسرحي فقد شكلت علامة مهمة في الوظيفة السيميائية له كونها وضعت مفاهيم كثيرة في العمل العلاماتي على الخشبة فقد حددت "المكان الذي تجري فيه الاحداث مؤقتا، كما ان ضوء الكشافات يمكن ان يعزل احد الممثلين عن الاخرين، او قطعة اكسسوار عما يحيط بها.. ومن ثم الاضاءة دلالة لاهمية الممثل والشخصية التي يتقمصها او اهمية الشيء سالف الذكر وتقوم الاضاءة بوظيفة اخرى هامة فهي تستطيع ان تضخم حركة من الحركات او جزءا من الديكور او تغيرهما"⁽³⁾، لهذه الضرورات فقد كان اداء الممثل في المونودراما مرتبطا ارتباطا جوهريا بالاضاءة لقيمتها في شكل الصورة بعزل الشخصية عن الاخرى او اظهار مدى مشاعرها الحسية وتحديد اوقات ظهورها وزمان حدوث ما جرى لها من فشل او انتصار، وقدرتها على الاليهام بالرجوع الى ماضي الشخصية المونودرامية والتحويلات التي تحصل بين الشخصية الرئيسة والشخصيات الاخرى والفرز بينها من خلال اختلاف درجات الشدة في الضوء المسلط ودرجة اللون عليها والتفريق بين محيط وانتماء ذلك المشهد لتلك الشخصية عن الاخرى في الشكل المادي والمزاجي والعاطفي فالاضاءة "يجب ان لا تكون جامدة بل مرنة ومتغيرة حتى تناسب مختلف المشاهد في المسرحية"⁽⁴⁾، كذلك تناسب سرعة ايقاع الضوء مع حركة الممثل في المونودراما (كونه وحيداً) أي التناسق والانسجام مع سرعة الضوء وحركته مع ايقاع المشهد المونودرامي (بشكل عام) وتغيراته (التي تصنعها حركة الممثل بشكل خاص) في تحول الشخصية في اللحظة وفي فترة زمنية قياسية غاية في السرعة لذا "يجب ان

(1) المصدر نفسه، ص 149.

(2) سفيلد، ان اوبر، مصدر سابق، ص 100-101.

(3) اسعد، سامية احمد، الدلالة المسرحية، مصدر سابق، ص 92.

(4) هوايتنج، فرانك م، مصدر سابق، ص 379.

يكون التنويع والتغيير في تركيز الاضاءة سريعا مع ملاحظة تناسبها وانسجامها مع ايقاع وجو الحركة⁽¹⁾، وهذا ما يقود بالاضاءة الى تكوين علاماتي جديد لنوعية الاداء المونودرامي باستخدام الظل والضوء في شكل الصورة الجمالية والوظيفية للمشهد المونودرامي باستخدام مساقط الضوء الجانبية بدرجات تتشا من خلالها ظلال الضوء المنسحب خلف جسد الممثل والموجودات بامتدادات واشكال ثلاثية ورباعية مختلفة لاستخدامها في المشاهد الخاصة حيث (الكوابيس او الهلوسات او الاحلام او محاكمات الضمير او الرعب)، فان "اهم المتغيرات البصرية التي تظهر للعين على المسرح هو الظل او ما يسمى بفقدان الضوء او تسربه اذ يخلق به التضاد في الصورة الكلية، ويوجد انواع عدة من الظلال، أ. الجزء غير المضاء من الجسم نفسه او ظلال الجسم، ب. ظل الجسم المسقط على ارضية او جدار"⁽²⁾، وهذا يقود الى التقليل من استخدام الاضاءة الشاملة والمتساوية وتنويعها في شدة الضوء واللون على اجزاء الخشبة، أي تكوين التباينات في المساقط الضوئية عند المقدمة والوسط والعمق والخلفية والممثل نفسه، مما يجعل الصورة المسرحية ذات مزاج حسي يعطي للاداء قدرة على البروز مما يشكل نوعاً من الفصل في القيمة المعنوية والعلاماتية في دواخل الممثل وعطائه الادائي، لذا "يجب الا تسلط الاضواء على المنظر بكميات متساوية، حتى عندما يكون المطلوب اضاءة عادية واقعية لمنظر داخلي"⁽³⁾ وهذا مرتبط ايضا بالحيل التي يستخدمها الممثل في المونودراما بأخفائه المؤقت والسريع بواسطة الاضاءة في مراحل التغيير من شخصية الى اخرى او لتلافي رؤية تغيير الملابس او القطع الديكورية عند تحولها من علامة الى اخرى، ولابد هنا ان يتوجه الممثل في المونودراما الى استخدام الاضاءة واللون في التنويع الادائي وتضمينه علامات جمالية ذات دلالات مهمة في الحدث المسرحي وذلك بواسطة المشهد المتضمن (الاضاءة داخل الاضاءة) وذلك باستخدام الشمعة او الفانوس في الجو المظلم، اذ يشكل الضوء المنبعث منها جوا نفسيا وجمالي بعيد الاثر سواء كان على صعيد البقعة المضاءة (المترجحة) او التأثير في الشخصية او علامات الحدث، وقد يكون المشهد المونودرامي داخل المسرحية التقليدية (الجماعية) في مسرحية (ماكبث) لشكسبير صورة واضحة لتأثير الاضاءة داخل الاضاءة في الصورة المسرحية للعرض، اذ "تعد الشمعة التي تحملها (ليدي ماكبث) وهي تمشي نائمة ابلغ تمثيل رمزي للعلاقة

(1) المصدر نفسه، ص 379.

(2) كاظم، وسام مهدي: الضوء منظومة ديكورية في العرض المسرحي الحديث (بغداد: مطبعة صباح ، 2007)، ص 14.

(3) هويتج، فرانك م، مصدر سابق، ص 379.

بين الاضاءة والضوء، فالشمعة تلقي بضوء من نوع خاص... هذا النوع من الضوء المتذبذب الراقص الذي يرتبط بالشمعة تخلق جواً من الترقب المتوتر والخوف الغامض يمهد لانتحار (ليدي ماكبث) فالشمعة هنا ليست سوى حياة ليدي ماكبث التي توشك ان تخبوا⁽¹⁾، فالاضاءة لا تصبح علامة مميزة (بل ضوء ليس له قيمة) اذ لم تشر الى معنى دلالي مرتبط بشدتها او خفوتها او لونها او مكانها او محفرة ومساندة ومجسدة للفعل الحركي والتمثيلي على الخشبة لذا فان " الخصائص المادية للضوء (البريق واللون والاشباع) لا تضي وتصبح اصنافا تنتمي الى مستوى المضمون وبالتالي لا تصبح سيميائية الا في فعل الابلغ الذي يبينها⁽²⁾، أي ان سرعة الاضاءة وحركيتها (كعلامة مستقلة) لا يمكن تحقيقها وتبيان فعاليتها الا بمزجها بحركة العامة في الفعل والحدث المسرحي المتواجد على الخشبة وذلك للتدليل على فكرته لاسيما في المونودراما لانها تمثل بؤرة مركزة على حدث بعينه وممثلاً واحداً بعينه أي ليس لها اهتمام اخر غير ما يفعله ويحصل له على الخشبة ، فالاداء في المونودراما " يشكل جزءا من الاضاءة ولا يمكن تصويره من دون وجود هدف"⁽³⁾ ، وهذا ما يقودنا الى الغور في نفس وفعل الممثل في المونودراما لانه يمثل الجزء الثاني من ادائه للشخصية المونودرامية من خلال اللون وتأثيره الشعوري في صورة المشهد وارتباط الالوان بالقيمة الدلالية لكل حدث او فعل يعطي انتماءه الحسي في الخيال والذهن " فاللون الابيض يدل على اللحم بينما اللون الاحمر على جو القتل والتعذيب "⁽⁴⁾ ، وذلك باقي الالوان التي تمتزج مع الخصوصية المزاجية للشخصية ولاسيما في المونودراما كونها ترتبط بذاتها واستقلالها الدرامي وتكوينها النفسي المختلف الواحدة عن الاخرى فان "اللون الاسود في المسرح يعني الحداد على عكس الذهبي والوردي اللذين يوحيان بالامن والمرح"⁽⁵⁾، ومن ذلك فان الاضاءة في المونودراما تستغل التناقض الحاصل في الصورة المشهدية لاثارة العلامة عند احالتها الى عملية التشفير من خلال انشاء اختراقات بين الفعل واللون لتعطي دلالة واضحة بمعنى مغاير لها وخلق تكوينات دلالية غير محايدة في صلب الفعل المسرحي ففي مسرحية (ماكبث) " يتناقض لون الغابة الخضراء المتحركة مع ملابس ماكبث السوداء التي يرتديها حدادا على وفاة زوجته فيجد التناقض بين اللونين ببلاغة فكرة انتقام الطبيعة من الشر

(1) هلتون، جوليان، مصدر سابق، ص 150-151.

(2) فونتاني، جاك، مصدر سابق، ص 40.

(3) المصدر نفسه، ص 41.

(4) اسعد، سامية احمد، الدلالة المسرحية، مصدر سابق، ص 92.

(5) هلتون، جوليان، مصدر سابق، ص 159.

وزحفها المنتصر عليه⁽¹⁾، وهذا ما يدفع الممثل في المونودراما الى انشاء التناقضات الادائية بواسطة الاضاءة واللون لكسر حالة الخمول التي قد تحصل بالتوافقات اللونية التقليدية وبالتالي يكون الاداء في حالة من التراخي الممل.

علامات الاداء ومنظومه الموسيقى والمؤثرات الصوتية في المونودراما

غالبا ما يشعر المتلقي بردة فعل سلبي عند مشاهدته عرضا تخلو احداثه من مرافقته لموسيقى والمؤثرات الصوتية والتي غالبا ما تؤكد ذلك الحدث ومتانته، فالموسيقى تجعلنا نغادر منطقة الحياد وتارجحها الى منطقة الانحياز التي ترجح كفتها قوة الموسيقى في الاقناع والتاثير والميل الى جانب جهة على حساب الاخرى بل تجعل من مشاعرنا ومن ثم وعينا متحدين بعمق ذلك الحدث وطروحاته (خصوصا في الاحداث المتوازنة في الفكر والمعنى) "فالموسيقى قد تنقلنا الى حالة اخرى من خلال خلقها لمشاعر سحرية غامضة بداخلنا"⁽²⁾، فالموسيقى هي الحالة المجاورة والمتممة والصانعة لذلك الحدث فهي في المسرح "تاكيد الحدث او الاحساس او تضخيمهما او نفيهما وعن طريق الايقاع او اللحن تستطيع بعض انواع الموسيقى ان تخلق جو الاحداث او زمانها او مكانها واختيار الالة الموسيقية له قيمة سيميولوجية ايضا فهي توحى بالمكان او البيئة الاجتماعية او الجو العام للمسرحية، كما يمكن ان تصاحب قيمة موسيقية معينة لدخول الشخصيات او خروجها .. نلاحظ اخيرا ان الموسيقى يمكن ان تقول ما يقوله النص: الفرح، الحزن، الخوف"⁽³⁾، ومنذ نشأة المسرح ادرك رجاله اهمية الموسيقى والمؤثرات الصوتية في تمثيل الحدث المسرحي وتأكيد اهمية الشخصيات الداخلة في فعله، فان "المؤثرات الصوتية والموسيقى التصويرية قديمان قدم المسرح، فمن عصر الطبول البدائية التي كانت تصاحب الطقوس الدينية الى الصوت والموسيقى المصاحبة للافلام الحديثة، وهذه العناصر السماعية تفيض قوة طاغية لخلق الجو المطلوب"⁽⁴⁾، وزادت هذه الاهمية في فترة عصر النهضة وترجمة الحدث المسرحي بشكل فعال ورافقت العروض المسرحية كلازمة لها من دون انقطاع "وكل من قرا شكسبير لابد ان يدرك اهمية الصوت والموسيقى في المسرح الاليزابيثي ولو حظ ما

(1) المصدر نفسه، ص 159.

(2) ويلسون ، جلين، مصدر سابق، ص 283.

(3) اسعد، سامية احمد، الدلالة المسرحية، مصدر سابق، ص 92.

(4) هوايتنج، فرانك م، مصدر سابق، ص 376.

دون من مذكرات عن الصوت انها تكون نسبة كبيرة من التوجيهات المسرحية⁽¹⁾، واستمر هذا الاهتمام الى القرن العشرين حيث اصبحت الموسيقى والمؤثرات الصوتية احد العناصر المهمة في العرض المسرحي ليس للمتلقي وحسب بل للممثل نفسه "ويقول البعض ان الموسيقى الجيدة لا تساعد فقط المشاهدين ولكنها تساعد ايضا الممثل"⁽²⁾، فمشاعر الشخصية وكيانها ترجمه لذات الممثل فان ما يمسه او يشعر به في اثناء الاداء ما هو الا امتزاج كبير بين كينونته كإنسان مبدع (تاخذ الجانب الاكبر) وبين فهمه وتفسيره لابعاد الشخصية الطبيعية والاجتماعية المتخيلة، لذا فان اي دعم له من العناصر الداخلة في العملية المسرحية هي تأكيد لذلك الاداء، اذ ان العرض المسرحي هو امتزاج للعديد من الفنون تشترك في بلورته واتمامه، اذ "ان المسرح الحقيقي كان ولا يزال دائما مزيجا من فنون عديدة وحرف وان تأثيره يجب الحكم عليه من تكامل هذه الفنون والحرف ككل موحد وفعال وليس بالحكم على عنصر واحد فقط"⁽³⁾، ومثلما كان للموسيقى في العرض المسرحي التقليدي (الجماعي) اهمية في تعميق الحس الدرامي لكلا الطرفين (المتلقي والمؤدي) فانها تاخذ منحى في اداء الممثل في المونودراما وعلاماته الذي يحاول ان يجسد شخصياته باستقلالية الحضور على الخشبة وفرزها وعدم حدوث التقارب في نوعية ادائها المختلف اصلا، فالموسيقى مثل الازياء او العناصر الاخرى تأكيد للمكان والزمان والحالة الحسية والعاطفية للشخصية وتنوعها وبذلك فان لكل منهما ولكل حدث فيها ولكل مشهد يحتويها موسيقاها المستقلة عن بعضها، لذا فان "الخصائص التي تشترك الموسيقى بها مع الفاعلية المسرحية، كاداء الصوت المتعلق بالحن الموسيقى والايقاع، درجة الحركة والايماة، وتعابير الوجه والصوت تجعل كل حدث مسرحي يظهر حيال خلفية موسيقية وياخذ شكلا حسب نموذجها"⁽⁴⁾ وما دام الحدث في المونودراما معنى باستقلالية شخوصه وابرازها، فان الموسيقى تضخمه بزيادة شحناته العاطفية قبل حدوثه على الخشبة وفي أثنائه وبعده، ومن ثم اعطاء الهيبة للممثل المشارك في انشائه من خلال موازنته في ادائه وجعله مقنعا للمتلقي ولنفسه بالذات "ولان فاجنر كان يعتقد ان الدراما هي شي اساسي في الاوبرا، فانه نادرا ما كتب موسيقى من اجل الموسيقى لقد كان يستخدم الموسيقى دائما لتقوية مشاعر شخصياته وقد كان يتم انجاز هذا الهدف من خلال ترميز وتحديد المكونات الكبرى للدراما ثم الاكتشاف بعد ذلك موسيقيا اكثر منه

(1) المصدر نفسه، ص 377.

(2) المصدر نفسه، ص 377.

(3) المصدر نفسه، ص 377.

(4) كاروفسكي، يان ميو، حول الوضع الراهن في المسرح، مصدر سابق، ص 45.

لفظيا⁽¹⁾، وبما ان الممثل في المونودراما يقف وحيدا فان الموسيقى هي البديل الايقاعي للعرض والمعوض عن غياب الممثلين الاخرين، فالايقاع في المسرح التقليدي يصنعه الحوار وتواصله بين الممثلين وقدراتهم على تكوين نبض ملائم لشخصياتهم يتلائم بين الحركة او الفعل وبين الحالة الشعورية ضمن حساب الزمن المسرحي وكذلك الزمن المقتطع منه والانتقال من شخصية الى اخرى ودقة تجسيده لها ومن ثم قدرة الموسيقى على سد الثغرات في هذا الايقاع الاحادي الذي من الممكن ان لا ينتظم بوجود النمط السردى واحتمال تكرار نبضة وصيغته من دون دراية، وبذلك فان الموسيقى ومؤثراتها تؤدي الدور الاكبر في التمهيد للانتقال الجسدي من شخصية الى اخرى وضلوها في القياس الزمني للفترة التي يقضيها الممثل في ادائه للشخصية الواحدة واختلافها عن الاخرى، أي استقلالية النغم الموسيقى لكل شخصية وحدث يعني موازنته او تناسبه مع طول ذلك الزمن المستقل، ومثلما يحاول الممثل في المونودراما اشارة الانتباه بواسطة ادائه المضخم في التعبير الحركي والجسماني وتعبير الوجه وابرارها والايقاع المبتكر فان الموسيقى هي الحالة الاثرية المرافقة لذلك التغيير "وقد وصف جوشتاين الاثرية النموذجية بانها عبارة عن (رعده خفيفة، رجفة واحساس بالوخز الخفيف.. اما الاثرية الاشد قوة فهي تستمر وقتا اطول وتتقدم فوق الوجه... وقد تصاحبها قشعريرة يمكن رؤيتها على الجلد"⁽²⁾، ان ضرورة التنوع الادائي للممثل في المونودراما الجالب للانتباه من خلال التراكم الدرامي والحسي والوصول الى اقصاه ثم الهبوط الى حالة الهدوء فقد كانت الموسيقى العامل المهم في انشاء هذه الانفعالات وتناقضاتها والمساعدة على ابقاء الحس وتواصله في كلا طرفي المعادلة (الممثل والمتلقي) "وفي حين تتسارع ضربات القلب.. فان اغاني الهدوء (التهويدة) تقوم بابطاء النبض بشكل اسرع مقارنة بالاستخدام لموسيقى الجاز.. وقد تبين ان الموسيقى الاسرع والاعلى تعمل على زيادة معدل ضربات القلب ومن ثم تحدث احساسا بالاستثارة"⁽³⁾، لذا فان جهد الممثل في المونودراما هو ايصال الانفعال الى اقصاه ثم تفريغه بسرعة او بشكل تدريجي لاحداث هذا التنوع الادائي المطلوب، لذا فان هدف الموسيقى المرافقة هو "اطلاق حالات من التوتر ثم العمل على تفريغها او التحرر منها في النهاية"⁽⁴⁾.

(1) ويلسون، جلين، مصدر سابق، ص 296.

(2) المصدر نفسه، ص 275-276.

(3) ويلسون، جلين، مصدر سابق، ص 284-285.

(4) المصدر نفسه، ص 297.

ان الجهد الكبير الذي يتحمله الممثل في المونودراما كونه السارد الوحيد لمعاناة شخصيته والشخصيات المتخيلة الاخرى تمثل مصدرا مقلقا للمواصلة والاستمرارية بنفس الجهد والمثابة الى نهاية العرض فان الموسيقى هي مرحلة التقاط الانفاس وللراحة ومرحلة الوثوب للذي ياتي بعد هذا الحدث او الفعل المسرحي، لذا فالموسيقى والمؤثرات "تترك مسافة فسيحة بين الجمل من اجل السماح بحدوث التنفس الكامل والمريح، وتكون نتيجة ذلك هي استعادة الشعور بالراحة او الهدوء، وهو شعور يكون ضروريا بعد تلك الوفرة او ذلك التدفق الاول في النشاط"⁽¹⁾، ومن جانب اخر أدت المؤثرات الصوتية دورا مهما في تقريب الحدث الدرامي لقناعاته الواقعية وايصاله بصدق الى المتلقي "كدقات الساعة لتحديد التوقيتات على مدار اليوم مثلا وفي صباح الديكة وتغريد الطيور لتحديد الوقت في الصباح وقد تشير هذه المؤثرات الى المناخ والموسم بسقوط الامطار والرعد والبرق، بالاضافة الى تحديد بيئة الفعل الساحلي (صوت امواج البحر/ صوت طيور البحر/ صوت سفن، بيئة ريفية، اصوات الحيوانات، صوت الساقية، واصوات الرياح في البيئات الصحراوية"⁽²⁾، وما دام الممثل في المونودراما معنياً باستقلالية الحدث والشخصية بطريقة تختلف عن الحدث والشخصية الاخرى فانه بحاجة الى ركائز يستند عليها في تبين هذا الاختلاف وفي نوعية الاداء المرتبط باختلاف المكان والزمان والبيئة، فكان لابد من المؤثرات الصوتية للحصول على الفرز المناسب لكل شخصية وحدث بشكل مستقل.

علامات الأداء ومنظومة المهمات المسرحية في المونودراما

ليس من المعقول ان يتحرك الممثل على خشبة المسرح من دون الاستعانة بالادوات او الملحقات او المهمات المسرحية التي تساعده على اتمام فعله الدرامي والتي بدونها لا يمكن انجاز الفعل او الحدث المسرحي او صياغة هيكل الخشبة وشكلها او تحديد الفضاء المسرحي لها، فهي "مرتبطة بالفضاء المسرحي وتساعد في تشكيل هيكله (مائدة، ستار، كرسي)"⁽³⁾، فاذا اراد الممثل ان يجلس داخل ديكور يمثل صالة الجلوس فلا بد من كراسٍ ومنضدة ولا بد من وجود اقذاح ماء عليها وكذلك احتواء ذلك المكان على ستائر وسجاجيد ولوحات زيتية وربما بنادق او شماعة ملابس نعلق عليها الملابس او مظلة المطر او عصاً للمشي وغيرها من الملحقات المنزلية، فالعرض المسرحي يمكن .. تقديمه من دون الاستعانة بالاضاءة الخاصة او المكياج او المناظر او الملابس ولكنها لم تقدم قط دون ملحقات .. فهذه الاشياء عادة ضرورية لارتباطها

(1) المصدر نفسه، ص 286.

(2) غالب، رضا، الممثل والدور المسرحي، (القاهرة، منشورات اكاديمية الفنون، 2006)، ص 199.

(3) سفيلد، ان اوبر، مصدر سابق، ص 142.

بحركة الممثلين⁽¹⁾ ، ولدلالاتها فان المهمات المسرحية شأنها شأن كل الموجودات على المسرح بمجرد انتقالها من الحياة الى الخشبة تصبح بحكم الواقع (علامة) فهي "تتحول الى علامة عندما تخلع عنها عملية النفي المسرحي وظيفتها كأداة في العالم لتصبح تلك الوظيفة خيالية او متخيلة"⁽²⁾ ، ولكن ما المهمات المسرحية وما ارتباطاتها مع الديكور او مع الزي المسرحي؟ فقد تكون هناك مهمات داخل الديكور المسرحي او معلقة عليه كالساعة او اللوحات او حتى النوافذ التي يفتحها الممثل ، وقد تكون في الملابس قطع صغيرة منها تكمل شكل وزينة الزي وصاحبها ، كالمنديل او الحزام او القلادة او الاقراط او الدبوس الذي يعلق على صدر الزي، اذن كل ما هو على الخشبة ما عدا الديكور الثابت او الاضاءة او الموسيقى هي مهمات مسرحية يستطيع الممثل تحريكها او حملها بسهولة من مكان الى اخر او هي جزء من زيه او زينته او مكانه المتواجد فيه ومن " الممكن ان تضم الادوات عرائس الماريونيت وان كانت عملاقة والنوافذ التي تفتح والاحذية سواء كان الممثلون يرتدونها او يخلعونها والمائدة او أي عنصر اخر من الديكور اذا كان الممثلون يحركونه"⁽³⁾ ، وما دامت المهمات المسرحية بحكم انتقالها على المسرح تصبح علامة فانها بالضرورة تشير الى شيء اخر غير وظيفتها الايقونية الا انها كعلامة لا بد ان تكون (اشارة لاشارة) أي ان لها وظيفتين الاولى اعطاء اشارات مكملة لمرجعية الشخصية من الناحية الذوقية والجمالية وكذلك اشارات للمكان والزمان المتواجد فيه اذ "يمكن للادوات ايضا ان تكون محددة للفعل بتحديد لها المكان والزمان فعبارة الفواكه تدل على السوق والللمبة المنيرة تدل على وقت الليل"⁽⁴⁾ ، والوظيفة الثانية هي قدرة هذه المهمات المسرحية على الاتيان او الاشتراك في الفعل المسرحي وتقدير سلوك ودوافع الشخصية "من هنا فان شخصية دون جوان .. تتحول الى النفاق في الفصل الخامس- تقدم مشروب شيكولاته ساخنة الى اسقف يتبعه جيش من رجال الدين ، في هذه الحالة يجسد ابريق الشيكولاته الساخنة والاقداح صفة النهم التي تتسم بها شخوص الكنيسة وفي الوقت نفسه تجسد ملحقا للمعنى التركيبي للامانة المنافقة للبطل"⁽⁵⁾ ، وقد تكون للمهمات المسرحية شكلان متناقضان في الهدف والمعنى، فالسيف يدل على الذوق كامله من خلال صناعته وتطعيمه بالذهب والاحجار الكريمة ويمكن وضعه على الجدار للزينة ولكن

(1) هوايتيج، فرانك م، مصدر سابق، ص 372.

(2) سفيلد، ان اوبر، مصدر سابق، ص 123.

(3) المصدر نفسه، ص 122.

(4) سفيلد، ان اوبر ، ص 152.

(5) المصدر نفسه، ص 153.

هذا السيف يمكن ان يتحول الى وسيلة للقتل او الارهاب او الدم، وتحقيق العدالة، وكذلك العكاز يمكن ان يستخدم للمشي وكذلك للشجار ، ومن الممكن ان تتحول المهمات المسرحية الى فعل درامي يمثل عنصرا خطيرا مشاركا في الحدث المسرحي كما حصل في " المنديل المطرز الذي تفقده ديدمونة بمحض الصدفة يتحول في المسرحية الى قوة مدمرة تقود عطيل الى الجنون وديدمونة الى الهلاك"⁽¹⁾ ، وتتحول الى مصدر للاضاءة وذلك عندما استخدمت الليدي ماكبث الشمعة في مشهدها المونودرامي، ويمكن ان تكون المهمات المسرحية علامة متخيلة لصعوبة تحقيق فعلها او اشارتها على خشبة المسرح لاسباب تقنية او مادية او ذوقية فان "الاداة المسرحية هي اشارة الى ما هو متخيل فتستطيع مثلا ان تكون نموذجاً او عينة لكل ما لا يمكن عرضه على المسرح ولكل ما حكم عليه بالمكوث خارج الخشبة المسرحية او بان يكون غير مرئي (مثل الراية بالنسبة للجيش والكاس بالنسبة الى الوليمة الغائبة)"⁽²⁾ ، ويمكن لهذه المهمات ان تعطي رمزا لواقع مادي او معنوي " كان يكون علماً احمر رمزا للثورة او يكون الصليب رمزا للمسيحية او للفداء "⁽³⁾ ، واذا كانت بعض المهمات المسرحية تعطي اشارة واحدة لدلالاتها فان هناك ما تعطي مجموعة من الاشارات في وقت واحد "قالبجعة المصنوعة من الكارتون على خشبة المسرح تقوم مقام 1. بجعة من الكارتون (أي لعبة من الواقع) 2. ايقونة لبجعة حقيقية(أي الحيوان الحي) 3. فهرس لمساحة ممتدة من الماء 4. رمز لـ النقاء او الـ الشعر"⁽⁴⁾ ، ومثلما كانت المهمات المسرحية مهمة للمثل في المسرح الجماعي (التقليدي) فانها مهمة جدا للمثل في المونودراما لتثبيت علاماته المستوحاة من التركيز على الفعل المسرحي (كونه وحيداً) بين جسده وبينها وحتكاكه معها بصورة مباشرة وغير مباشرة لانها تمثل اشارته الاساسية التي يتعامل بها والتي تمثل نسيجه الخيالي والنفسي من انها عبارة عن (اناس احياء) او ممثلين آخرين يشاركونه رقعة الخشبة وكذلك اعتمادها كعلامات لفرز شخصياته المتعددة، فكل شخصية لها مكانها وزمانها وطبيعتها ومن ثم فكل شخصية لها مهماتها التي تميزها عن الاخرى، فعندما يضع الممثل في المونودراما على راسه (التاج) فانه بذلك يدل على شخصية الملك وعندما يمثل دور الاعرج لابد ان يمسك بعكاز وعندما يمثل دور المهرج لابد ان يضع على راسه الطربوش او الغطاء المخروطي ويمسك بيده الكرات الملونة وقد ترمز هذه المهمات الى معانٍ

(1) هلتون، جوليان، مصدر سابق، ص 163.

(2) سفيلد، ان اوبر، مصدر سابق، ص 128.

(3)، سفيلد، ان اوبر، مصدر سابق ، ص 129.

(4) المصدر نفسه ، ص 129.

سامية او حقيرة فقد يتعامل الممثل في المونودراما مع القفص الذي بداخله عصفور على انه تأكيد على فقدان الحرية التي فقدتها منذ زمن بعيد ومن ثم فان اطلاقه دلالة على الانعتاق من هذا الشر وانطلاقه الى حياة جديدة ، ومن استخدامه للكرسي لغرض الجلوس ثم تحويله الى وضعية منقلبة تدل على الحجر والتقرص بين اركانه الاربعة (كالفقاص) او استخدامه كملاذ ينام بداخله او كدرع يحميه من الرصاص او عندما يتعامل مع عكازه لكي يستند عليه وفجأة يرفعه كالسيف يحارب اعداءه في الخيال فعلاطات الاداء عند الممثل في المونودراما لابد ان تتشكل مع شي مادي (مهمات مسرحية) او (اشارات لغوية مباشرة) اذ يصوغ هذا الالتقاء نوع الانفعال المترتب عليه وشكله على الخشبة، فالممثل عندما يقوم في لحظة متازمة بتحطيم الاناء الذي يحوي اسماك الزينة وتحويله الى قطع متناثرة من الزجاج يعني دلالة انه فقد الامل في الحياة بموت هذه الاسماك وتسرب الماء الذي هو رمز الحياة، وبذلك فان شكل المهمات المسرحية وتركيبها تصبح محفزة لفعل الممثل، ومن ثم فان النقاء هذه العلامات أي علامة الممثل باستقلاليته في الشكل والفكر مع علامة المهمات المسرحية قبل تحولها وفي أثنائه وبعده تشكل ذروة الاداء الذي يحاول الممثل في المونودراما ان يجعله مضخما وبارزا وعند ذاك فان المهمات المسرحية تعني "ملتقى طرق او مزجاً للوظائف السيميائية"⁽¹⁾، لذا فان الباحث يرى ان تكون المهمات المسرحية بمواصفات تجعلها قادرة على تنظيم اداء الممثل في المونودراما بشكل يتيح له انتاج العلامة وحملها وبثها بطريقة سلسلة تحفزه على الفعل الدرامي لا مجرد اداة ايقونية ثابتة غير قابلة للتحويل او الحراك... ومن اهم هذه المواصفات :

1. سهولة الحمل والانتقال من مكان الى اخر.
2. لها القابلية من خلال شكلها على التحول من علامة الى اخرى.
3. لها مواصفات الاشارة الى اشياء(مرجعيات) اخرى غير وظيفتها الاساسيه.
4. الاعتناء بشكلها الجمالي (صناعتها ولونها) وتناسقها مع الديكور والازياء.
5. ان لا تكون اكبر من حجم الممثل او اصغر منه بدرجة غير معقولة.
6. قدرتها على تحفيز الفعل الدرامي (مثيرة).
7. مطابقتها الواقعية لزمان الشخصية ومكانها وفكرها.

(1) سفيلد ان اوبر، مصدر سابق، ص 129.

الفصل الثالث

إجراءات البحث

- مجتمع البحث.
- عينة البحث
- اداة البحث
- صدق اداة البحث
- اعداد تعليمات الاداة
- ثبات الاداة
- تطبيق الاداة
- طريقة القياس
- الوسائل الاحصائية
- تحليل العينة ومناقشة نتائجها

الفصل الثالث

إجراءات البحث

مجتمع البحث

لغرض تحديد مجتمع البحث الحالي وهي الفرقة القومية للتمثيل زار الباحث دائرة السينما والمسرح الحاضنة للفرقة القومية للتمثيل بوصفها المنتج الاول للعروض المسرحية المونودرامية، ويتمتع اعضاؤها بمستوى فني عالٍ، كونهم محترفين للعمل الفني لاسيما مهنة التمثيل، لذا تكون هذه العروض ذات مستوى فني يمكن القياس عليه.. وبعد جرد ارشيف العروض المونودرامية للفترة (1995-2009) تم تحديد (16) عرضا مونودراميا. ملحق رقم (1)

عينة البحث

بلغ عدد عينة البحث (5) عروض مونودرامية بنسبة 20% من المجتمع الاصلي، اذ قام الباحث باختيارها قصديا لتوافر الاقراص المسجلة عليها هذه العروض بالاضافة الى مشاهدتها مما يوفر قدرة على تكرار مشاهدتها وتحليلها المتقن من كل الزوايا وقد اختار الباحث خمسة مسرحيات للفرقة القومية للتمثيل.

عينة البحث

ت	اسم المسرحية	المؤلف	المخرج	سنة العرض	مكان العرض	الممثل	جهة العرض
1-	يا طيور	عواطف نعيم	عواطف نعيم	1997	مسرح الرشيد	محمود ابو العباس	الفرقة القومية للتمثيل
2-	النهضة	عباس الحربي	عباس الحربي	1998	مسرح المنندى	عواطف السلطان	الفرقة القومية للتمثيل
3-	الاحدب	علي حسين	فلاح ابراهيم	2002	مسرح الرشيد	عبد الخالق المختار	الفرقة القومية للتمثيل
4-	عودة اشيلوس	مثال غازي	عماد محمد	2004	مسرح الرشيد	علاء حسين	الفرقة القومية للتمثيل
5-	انا في الظلمة ابحت	عواطف نعيم	عواطف نعيم	2005	محترف بغداد	عزيز خيون	الفرقة القومية للتمثيل

اداة البحث

لغرض تحقيق هدف البحث (التعرف على ملامح اداء الممثل في العرض المونودرامي في ضوء علم العلامات) ونظرا لعدم توافر الاداة لتحقيق هدف البحث الحالي ولعدم تمكن الباحث من الحصول على الاداة، رأى لزما عليه ان يقوم ببناء اداة بحثه والتي من خلالها يستطيع تحقيق هدف البحث ومن اجل بناء الاداة المناسبة، فقد اعتمد الباحث على:

- 1- مؤشرات الاطار النظري.
- 2- الاستعانة بالنماذج والأطروحات التي أوردها الباحثون في مجال الأداء المسرحي والسميائي.
- 3- الاستفادة من مشاهدة العروض المونودرامية، وما كتب عنها من خلال الاقراص والارشيف المتاح.
- 4- وقد توصل الباحث الى (19) فقرة تمثل اداة البحث بصيغتها الأولية(ملحق 2) قبل عرضها على الخبراء.

صدق الاداة

يقصد بصدق الاداة ان "الاداة قادرة على قياس ما وضعت لاجله"¹، ولكي يتحقق الباحث من ذلك، عرض الفقرات بصيغتها الاولى على لجنة من الخبراء* مؤلفة من (9) اساتذة مختصين في الفنون المسرحية ، وذلك لبيان مدى صلاحية هذه الفقرات لقياس الاثر(ملاح أداء الممثل في العرض المونودرامي في ضوء علم العلامات) وفي ضوء ملاحظاتهم السديدة، حذفت

¹ الامام، مصطفى وانور عبد الرحمن: التقويم والقياس، (بغداد: دار الحكمة للطباعة والنشر، 1990)، ص 57 و فرج، صفوت: القياس النفسي، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1980)، ص 215.
* السادة الخبراء حسب الالقاب العلمية:

- 1- د - حامد عباس - استاذ في كلية الفنون الجميلة.. جامعة بابل.
- 2- د- عبد الكريم عبود- استاذ في كلية الفنون الجميلة.. جامعة البصرة.
- 3- د- سمير اللبان- استاذ في كلية الفنون الجميلة.. جامعة بابل.
- 4- د- هدى هاشم محمد- استاذ في كلية الفنون الجميلة.. جامعة بابل.
- 5- د- طارق كاظم العذاري- استاذ مساعد في كلية الفنون الجميلة.. جامعة البصرة.
- 6- د- عباس محمد ابراهيم- استاذ مساعد في كلية الفنون الجميلة.. جامعة بابل.
- 7- د- علي محمد هادي- استاذ مساعد في كلية الفنون الجميلة.. جامعة بابل.
- 8- د- محمد فضيل- استاذ مساعد في كلية الفنون الجميلة.. جامعة بابل.
- 9- د- حيدر جواد العميدي- استاذ مساعد في كلية الفنون الجميلة.. جامعة بابل.

فقرة واحدة من فقرات الأداة، هي الفقرة رقم (12)، (الملحق 2) لأنها لم تحصل على موافقة (7) خبراء فاكتر إذ اعتمد الباحث على موافقة (7) خبراء فاكتر لتعد الفقرة صالحة للقياس، أي بنسبة 77% فما فوق، وبهذا الاجراء فقد اصبح عدد فقرات الاداة التي يمكن ان تحقق هدف البحث نحو (18) فقرة.

الفقرة التي لم تحصل على نسبة اتفاق مناسبة من الخبراء:

12- الممثل في المونودراما يكسر ملل السرد من خلال التنوع العلاماتي في تكوين نماذج خشبية على شكل دمي او حيوانات.

ثبات الاداة:

يشير (كرونباخ cranbach) الى ان "الثبات هو اتساق في درجات الافراد عبر سلسلة من القياسات"¹ وقد تم حساب الثبات بطريقة التجزئة النصفية (فردى - زوجى) باستخدام جميع استمارات التحليل البالغة (20) استمارة، وقد قسمت فقرات الاداة البالغة (18) فقرة الى نصفين، النصف الاول، الفقرات الزوجية والنصف الثاني الفقرات الفردية، ثم حسب معامل ارتباط (بيرسون) بين الدرجات الكلية للفقرات الفردية والدرجات الكلية للفقرات الزوجية، فكان معامل الارتباط (0.71)، ثم صحح بمعادلة (سبيرمان - براون) فاصبح معامل الثبات (0.83) ويبدو من خلال استخدام هذه الطريقة في حساب معامل الثبات بان الاداة التي اعدتها في هذا البحث تتسم بثبات عال في قياس هذه السمة (ملحق 3).

تطبيق الاداة:

بعد ان تاكد الباحث من صلاحية الاداة ومن خلال ما تتمتع بها من صدق ظاهري وثبات عال طبقت الاداة على عينة البحث المختارة والتي ضمت (20) خبيراً (ملحق 4) بعد ان جمعهم الباحث في قاعة (التبريد) في كلية الفنون الجميلة/ جامعة بابل وعرضت عليهم المسرحية المونودرامية (اما-او) من تأليف عبد الكريم السوداني، واخراج وتمثيل الباحث التي اعدت وأنتجت لغرض البحث، اذ وضح لهم الباحث التعليمات وما يتعلق بكيفية الإجابة، مع تأكيد على ضرورة عدم ترك أي عبارة بدون جواب.

طريقة القياس

¹ Canbach, 1964, psychology testing. The macmillon. New York.

لقد تبنى الباحث طريقة (ليكرت likert) لقياس (ملامح اداء الممثل في العرض المونودرامي في ضوء علم العلامات) وكانت بدائل الاجابة ثلاثة (غالبا، احيانا، نادرا) امام كل فقرة، إذ يطلب المستجيب ان يضع علامة (√) امام البديل الذي يراه مناسباً للبدايل الموجود امام كل عبارة وهي (غالبا، احيانا، نادرا).

الوسائل الاحصائية

- 1- النسبة المئوية لحساب نسبة اتفاق الخبراء على فقرات الاداة.
- 2- معامل ارتباط بيرسون - لحساب معامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية
- 3- معادلة سبيرمان براون - لتصحيح معامل الثبات بطريقة التجزئة

تحليل العينة ومناقشة نتائجها

أولاً: مسرحية يا طيور

تأليف وإخراج: عواطف نعيم

تمثيل: محمود أبو العباس

مكان العرض: مسرح الرشيد 1997

غالبا ما يبرز الفهم العلاماتي أو السيميائي لأداء الممثل لاسيما في المونودراما من خلال التحولات العلاماتية السمعية والبصرية للفعل الجسدي ثم الفكري الناتج من حركة الممثل وتماسه مع موجوداته على خشبة، ومن ثم فإن ديناميكية العلامة المتحولة بين الممثل وشخصياته تأخذ منحى التبادل الاتفاقي على من يخضعها لمن أو على أقل تقدير من يتنازل عنها للآخر مؤقتا، ومن ثم فإن الحدود السيميائية بين الممثل والشخصية وفعلها على خشبة تأخذ منحى واحدا هو تأكيد المعنى للأشياء وحركتها المتصاعدة، ومسرحية (يا طيور) تأخذ أبعادها السيميائية من خلال تأكيد علامة الشخصية الرئيسية على ثبات نوازعها وإصرارها على تنفيذ فكرة نبيلة وسامية على صعيد الفرد والمجتمع، لذا فإن فضاء العرض في بدايته يوحي بالوحشية وعذابتها إذ يقف الممثل وحيدا في محيط تحوطه الظلمة وتجعل من التكوين الخشبي في وسط ذلك الفضاء ، علامة على التناؤل من هموم الغربة والضياع، حيث تتصارع علامات الشخصية مع المحيط وعلامات العدو المجهول، ومن هنا ينبع حزن الشخصية المونودرامية ومأساتها من خصوصية الأزمة التي مرت بها في الماضي وجعلتها في حالة من عدم التوازن أو فقدان التركيز أو الهلوسة أو كثرة الحلم أو التخيل أو الجنون، لكي تجد مسوغات أو منافذ تسرد هول تجربتها وما مر عليها من ضغوطات، كونت في المحصلة هذه الشخصية الرئيسية أو المركزية أو الأولى (والمنكسرة طبعا) والتي يستدعيها ممثل العرض المونودرامي الوحيد.. وهذه الشخصية المركزية بدورها تستدعي مجموعة من الشخصيات ترافقها في تأكيد تلك المعاناة أو دعمها لتسويق حجتها عبر أدلة دامغة تسردها هي الأخرى.. والشخصية الرئيسية في المسرحية المونودرامية (يا طيور) والتي يمثلها الفنان (محمود أبو العباس) تلجأ تارة للهلوسة وتارة للخيال وتارة للحلم والجنون، ولكن بوعي ساخر إذ تقص ما مر عليها من تجارب قاسية وصياغتها كعلامة أو كرمز أساسي للهدف المركزي الذي لا بد أن يكون مكثفا في العرض المونودرامي وهو هنا (الوصول إلى مقر الضمير الإنساني) وهو رمز وهمي للخلاص البشري من الظلم والدكتاتورية والاضطهاد، ومن يصنع الحروب والموت.. وكذلك يرمز هذا العرض لمحاولات وصول الشخصية الرئيسية إلى هدفها الأساس بكل إصرار وتحدي، إذ تمثل هذه الشخصية

(جندياً) سابقاً يرتدي ملابس عسكرية مهلهلة مع قلادة حربية معدنية تسمى عسكرياً (الرقم) يضع فيها اسم الجندي ورقمه لكي يستدل عليه في حالة مقتله في إثراء الحرب ... إذ إن غاية وصول هذه الشخصية لهدفها وهو (مقر الضمير الانساني) هو التعريف بما يجري في البلدان من قمع للحريات واضطهاد البشر على يد الطغاة المسيبين للحروب وما تحويه من ماسٍ وأهوال - وانه لابد ان نبعث برسالة حب تحملها هذه الشخصية (الجندي) الى اخيها الانسان ونشرها الى كل شعوب الارض لكي تسود المحبة ونبذ الحرب بالرغم من كل الأهوال التي تصادفها هذه الشخصية والإخطار عبر الطريق الوهمي المتخيل لإيصال تلك الرسالة وما تتكبد من مشاق وخوف حتى لا تقع هذه الرسالة بيد الأعداء وهم هنا أعداء السلام والحرية، وهنا تتشكل أولى سمات تفتح العلامة دلاليها الى حد ان تصعد مستويات الميثافيزيقيا عندما تتناص مع الموقف الهاملي (اكون - او لا اكون) فتكشف عمق الأزمة الإنسانية التي تتجاوز الواقع نحو الكون الشامل.

في بداية العرض المسرحي (يا طيور) يتحاور الممثل (محمود ابو العباس) عبر شخصية (الجندي) المتأزمة نفسياً مع (الحمار) الذي يفترض ان ينقله مع رسالته الى (مقر الضمير الانساني) ولكنه يرفض الانصياع الى رغبته هذه ، فتحاول الشخصية اقناع الحمار بخطورة المهمة واهميتها التي ينوي ان يقوم بها وانهما سوف يدخلان التاريخ اذا انجزاها ويحاول اقناعه بأداء هادي وكأنه يتصور الحمار في منظوره متخيلاً شكله وهو متصلب في وقفته ، إذ يتحدث الممثل بحواره الى جهة وكأنها مكان يتواجد فيه الحمار، وهذه إحدى الخدع او الوسائل التي يقوم ممثل المونودراما في تجديد محادثة مع شخصية ما من خلال توجيه الراس او الوجه الى مكان معين ما وكأنه يريد ان يوحي او يرمز الى المتلقي بأنه يتحدث الى شخص موجود أساساً على الخشبة وفي مكان معلوم بالتحديد.

- اني انطيتك عليجتين شعير وسطل ماي

- واني لقمة وحدة ما ضقت

- عيب عليك - حمار

- وانا مهمة خطيرة

- اسمي واسمك - وبحروف مضيئة راح تدخل التاريخ

ومازال مستوى تشكيل العلامة يقترب من نقاط التفعيل الذاتي من خلال تصاعد وتيرة الحدث نحو بداية حدوث الأزمة وعملية التبادل العلاماتي بين الأطراف المتصارعة فالحمار مازال واقفاً ونعرف ذلك من خلال علامات ردود فعل الممثل في أدائه التي ترسم على قسما وجهه ولاسيما على حاجبيه وصدفات عينيه.

- ان شاء الله ما عجبك التاريخ
- ليش بس البشر يحبون يدخلون ابواب التاريخ
- شنو عبالك هذه الابواب مال خشب لوجينكو
- لا يابة لا هناك- ابواب البطولة- وابواب الرجولة..
- وباب المحبة وباب الشرقي وباب الشيخ وباب المعظم

وهنا يتحول الاداء الى علامات لفظية وحركية حادة وسريعة تعرب عن الامتعاض لمحاولة الرد على سؤال (الحمار) الغريب والذي سوف يفتح الطريق نحو اداء اخر اكثر عصبية.

- شنو تريد تعرف شنو خطورة المهمة؟

وبلغة سيميائية تشكلت حديثا يضطرب فيها فهم علامات الجانبيين مبتعدة عن التصالح فيما بينها، مجبرة الاطراف على الخداع او تغليب راي احدهما لصالح الاخر وفي الوقت نفسه اثاره الشكوك وعدم قناعة الطرف الاخر بما يفعله الاول.

وهنا يهمس الممثل وكأنه يريد ان يقول سرا في غاية الاهمية ويحاول ان يقترب من الجمهور ويهمس لهم تارة وتارة اخرى للحمار.

- ايصال الرسالة الى مقر الضمير!!!

ويحاول الممثل ان يمسك خوفه- فيلتفت يسارا ويمينا ثم يذهب الى كافة اتجاهات الخشبة وكأنه اذاع سرا في غاية الخطورة وانه قد تسرع بالاعلان عن هذه المهمة الخيالية الوهمية وانه لابد ان لا يتكلم على تفاصيلها حتى لا يقع في قبضة الاعداء- ثم يهمس مرة اخرى الى الحمار باداء ينم عن الخوف والرغبة.

- ما اقدر احبيك لان الحيطان لها سماعات اذن

- اخاف من يعرفون بالرسالة- موبس يحبسوني

لا يطموني جوه الكاع

وهنا تبلغ حدة الاشتباك العلاماتي (النفسي) بين شخصيات العرض المتناقضة اوجها، حيث كل الاطراف تعيش معاناة الخوف الاول من طغيان احدهما على الاخر، وفي استحالة وجود لغة تفاهم بينهما.

وهنا يبدو ان الممثل (محمود ابو العباس) وعبر شخصية (الجندي) قد دب في اوصاله النشاط فيركب العصا التي هي علامة على انها الحمار فينطلق مهرولا وكأنه ممتطيا ظهره عبر

مساحة الخشبة من اسفل اليمين الى اعلى وسط المسرح الى اسفل يساره ثم الى الوسط فيتعثر ثم يسقط على الارض- وهنا يبدأ الاداء ياخذ منحى اخر فيزداد التوتر والعصبية لان الحمار في منظوره يحاول ان يعرقل المهمة، وهنا تأتي العلامة وديناميكتها فينطلق فعل الخيال عند الممثل في اشكال الاحتجاج، ثم كيل السباب الى الحمار او العصا في شكل حمار فتشتغل هذه العلامة الاحتجاجية على استحداث علامات جديدة قد تكون قصدية او ارتجالية (اداه 18 عبر تجسيد الممثل بفعل حركي او صوتي اني اشبه بالاستعراض كالصراخ او الغناء او النهيق او الضرب على الارض او التشبيه بحركة الحمار وعصيانه وهذا ما فعله الممثل (محمود ابو العباس) عندما احس ان الحمار قد شكل خطرا على مهمته فاخذ يدور على نفسه ويقفز وينهق ويضرب الارض بقدمه ثم يضرب الحمار .

- انت مجرد بغل
- صوجي اكبر راسك
- انت مال تاريخ.. انت زبالة
- احجي ليش تكون حجر عثرة
- انت تعمل مع معسكر الاعداء
- عميل جاسوس
- انت-امبلسين-امبرياليين- اقصد اميربالي
- شكك دفعوالك -بالدولار - باللين - بالفرنك

وهنا يبدو ان العلامات المتصارعة وصلت الى مفترق الطرق عندما تجد على وفق ظرفها الآن ان كل الطرق غير نافذة فتصبح أسيرة الخوف ثم العصيان فتصبح منفلة العقال غير أبهة بمن حولها حيث تتفجر معلنة غضبها.

وهنا يمزج الممثل بين الحوار الفصيح والشعبي وبين الأداء النفسي والراديكالي كتتويع أدائي يضفي المتعة والفائدة ويقلل من وطأة السرد وطوله والملل الذي قد يحدث من استمراريته. (اداه 17)

فالممثل نراه تارة يبكي ويتألم ومن ثم حتمية تأثير المتلقي بهذا الأداء الطبيعي النفسي وفجأة يتحول أداء الممثل الى مهرج ومضحك يخبرهم سوء اخلاق حمارة... فيهلوس بشرحه الغريب هول تعرضه لقسوة حماره.. وهذه إحدى وسائل الممثل في المونودراما في شكل وأسلوب استدعائه لشخصياته وعلاماتها من خلال نوافذ وطرق كالهلوسة (اداه 14) او التخيل او الحلم إذ تساعده في ذلك طبعا تقنية الإضاءة وألوانها وطريقة التماس مع المهمات المسرحية لإنشاء

اساليب خداعية لاتمام هذه المهمة ، كالاختباء او الاظلام او كثرة المساقط الضوئية وخيالاتها او من خلال الحركة او تحريك قطع الديكور الصغيرة او المتوسطة إذ بالامكان حملها او الاختباء خلفها للتهيئة الى شخصية جديدة ومن خلال الموسيقى والاصوات الخاصة ففي بداية المسرحية تحولت العصا من خلال سرعة الضوء الخافت وشدته والموسيقى المرافقة الى علامة وكأنها حمار يركب عليها ويسير بها الى مسافة عبر خشبة المسرح- وبسبب تعنت هذه الحمار ورفضه المهمة يتعثر على الخشبة دلالة عدم رضاه عن مواصله الطريق الى (مقر الضمير الانساني) و ثم يبلغ ذروة التأزم والعصبية في الأداء حين لا يتمالك نفسه ويتخيل انه يخرج مسدسا من حزامه ويقوم بإطلاق النار الوهمية على الحمار الخائن وسط المسرح إذ نحس من ردة فعل الممثل المرتسم على وجهه انه قد قام بقتله -وهنا يبدو انه أحس أن المهمة قد أصابها الخذلان والفشل فيقوم بالبكاء وهو يذرف الدموع على تعثر مهمته ولكن فجأة ومن غير سابق إنذار يقفز ويغير من أدائه بسرعة خاطفة مبينا قدرة على التحول والفرز الصحيح لنمط جديد في الشخصية والأداء المختلف عن الذي قبله حيث ينطق بحوار عنيد وصلب كله تحدٍ بعيد عن البكائية وخذلان الحمار له والخوف من عدم إتمام المهمة.

- لا سبيل الى التراجع عن اتمام المهمة
- الرسالة لا بد ان تصل
- حياة الملايين امانة برقبتي
- لازم اوصل رسالتي الى مقر الضمير

ثم يصعد الممثل عبر شخصية الجندي المنهكة والمتحدية، التكوين الخشبي المقام على خشبة المسرح وهو عبارة عن شكل مستطيل من الأعمدة المكونة من طابقين والذي تعامت وترا صفت الاخشاب المكونة له وأعطته شكل أعمدة البناء التي يستقلها عمال البناء قبل إضافة الجدران له والذي يعطي علامة على قوة المجتمع كهيكल متراس وقائم، وترابطه او عنوان تماسكه.. وقد ساعدت هذه العلامة في شكل البناء على التكوين الجمالي والدلالي لموجودات الخشبة عبر رمزية هذا الشكل وكأنه سفينة فضائية معدة للانطلاق فقد ساعدته على ان يتحول تارة الى رمز لثبات قضية هذا الجندي في إيصال رسالة او يتحول مرة أخرى الى مرتفع للإعلان عن ما يجول بخاطرهم من خلال الصعود فوقه وإلقاء الخطبة من أعلاه- او كانه زورق او طائرة تاخذه الى مقره المفترض ، وقد ساهمت هذه العلامة أيضا على تعيين الفضاء المسرحي(اداه 3) من خلال ثباتها في وسط الخشبة وأعطته حجمه الواقعي في استخدامه للصعود المستمر عليه وكأنه منبر للإعلان او لتبيان حدوده الوهمية من خلال سطوع اخشابه واعمدته ولمعانها بفعل

الضوء الساطع واللون واطلام ما حوله وكأنه سفينة فضائية محلقة في ظلمة السماء او خارج حيز الارض، وعند صعود الممثل الى هذا التكوين الخشبي نسمع صوتاً عاصفة عاتية حيث يؤدي الممثل دور (الربان) الذي تكاد سفينته توشك على الغرق والذي يصرخ بافراد طاقمه.

- لا شيء يمنعي من ان اصل- حتى الامواج العاتية او الرياح

ثم فجأة يقفز الممثل من هذا التكوين الى خشبة المسرح ويتحول صوت العاصفة الى مؤثر لاصوات قنابل وازيز الرصاص ثم ياتي مشهد الحرب حين يتحول الممثل من ربان سفينة يتحدى الامواج الى جندي مقاتل يحمل سلاح المعركة: هذا التحول السريع والناجح هو احدى العلامات المهمة في المونودراما إذ من خلالها يتمكن الممثل القدير والمتمكن ان يطوع كل علاماته الذاتية لخدمة علامات شخصياته بالرغم من تناقضها او يتنازل عن علاماته لصالح علامات شخصياته المختلفة او يركن علاماته المتضادة مع علامات شخصياته لحين انتهاء العرض(اداه 8) وهذا ما نجح فيه الممثل (محمود ابو العباس) في مختلف اشكال ادائه لتباين الفرز ووضوحه بين شخصية واخرى وعند هذه النقطة بين شخصية (الربان) وشخصية (الجندي) مع رفيقه (محمد) والذي يخاطبه وكأنه بجانبه فيموت بفعل اطلاقه رصاصة في قلبه ومن ثم يتحول المشهد بفعل اداء الممثل الطبيعي الى موقف حزين يخاطب الممثل في شخصية الجندي الذي صدم باستشهاد صديقه(محمد).

- هذا دمك محمد

- دمك غرق الارض وايدي

وترافق هذه الحوارات اصوات موسيقى حزينة إذ يغني الممثل اغنية شعبية معروفة بغية انهاء سيطرة احادية الاداء السردي وملل الحوارات الطويلة واستحداث منافذ للتلوين الادائي كالغناء والرقص او تفعيل عناصر العرض كالموسيقى او الانارة او المهمات المسرحية.

- يا محمد خوية محمد.. بدمك ليش تتعمد

- يا محمد هاذا امر الله- يمهل ما يهمل

ثم يبدأ بالصلاة على جثة محمد ولكن فجأة ومن اداء نفسي طبيعي غارق بالحزن والبكاء يتحول الى اداء راديكالي بمنتهى السرعة هذا التحول العاطفي الخاطف يصب في قدرة الممثل على استعادة سلوك شخصياته بالسرعة التي يريدها والزمن الذي يبتغيه والرؤية التي يطلبها كونه المهيمن في تحديد علاماتها وصياغتها كما يشاء ومتى اراد لانه الوحيد على الخشبة لذا فهو من يحدد زمن ايقاعها واختبار اماكنها ووقت حدوثها(اداه 9) بل يوحى هذا الانتقال السريع من نمط او سلوك او علامات شخصية الى اخرى ان الممثل هنا قد اشار الى الشخصية فقط من دون

تصويرها فوتوغرافياً (اداه16) وذلك لكي يكون قادرا على نجاح استجابة الشخصية الثانية او التالية من دون تاثير علامات الشخصية التي قبلها من ملابس او اكسسوار او علامات نفسية او شخصية او سلوكية ولا تبقى عالقة فيها بعض من علامات الشخصية الاولى او مخلفاتها وبذلك ينشا نجاح فرز الشخصيات واتمام استقلاليتها بوضوح تام، في نهاية هذا المشهد يرجع الممثل الى سابق رباطه جاشه والذي لا يخشى الموت ولا بد ان يقاتل من دون النظر الى صديقه محمد حيث يتلقى مخابرة من قيادته:

- نعم سيدي المواجهة مازالت مستمرة - نواجههم بصدورنا
- نعم - هي هاي المرحلة - المواجهة الحاسمة ما بيها مجال للتراجع

يقول هذا الكلام من دون قناعة مسوغات الحرب بل هو سخرية من زهق الأرواح دون طائل، حيث يعود الى نمطه الاول في الأداء حيث الهدوء والسكينة وكأنه انتقل الى عالم اخر عندما يطلق كلماته مشحونة بالحزن الانساني.

- اني اكره المواجهات الدامية
- هم تخلص - ونخلص وارجع - وراسي وعيوني مليانة صور حزينة

ثم وبحركة سريعة تنم عن استدعاه شخصية جديدة مغايرة لما قبلها حيث يمهّد لها بالتدريج على أرضية خشبة المسرح مع حركة سريعة من يده يعبث بشعر راسه وكأنه يبحث عن شيء ما فقدّه داخل دماغه الموجوع وتراقفه في ذلك موسيقى صاخبة وسريعة ويبدو انه تقمص ولفترة وجيزة دور من أصابته لوثه مفاجئة والذي زج به في المستشفى لسوء حالته النفسية.

- يضربوني ابرة واحس جسمي يتتمل
- وعبالهم من انام هاي الصورة تروح من راسي
- ما يدرون بي شكوا ماكو براسي
- وحتى هاي الاصوات تهدا - لازم الناس تعيش بسلام
- وامان لذا لازم اوصل رسالتي لمقر الضمير - لان حياة الملايين برقبتي

وينتقل الممثل الى شخصية اخرى وبسرعة خاطفة تختلف في ادائها عن التي قبلها من خلال امتلاكها الوعي والدهاء باعتباره يعرفنا انه سوف يبتكر الحيل لكي يتجاوز سيطرات الاعداء لكي يصل بالرسالة الى بر الامان ومن ثم تتم مهمته بنجاح وينقذ ملايين الارواح، هذه الانتقال من شخصية منكسرة مكثت فترة طويلة في المستشفى الى شخصية واعية تمتلك زمام

ارادتها وتبتكر الحيل للمرور بين المخاطر، ترافقها قدرة ادائية في تشكيل علامات للجسد والصوت وكأنه يتطور او يتأقلم للقيام بحيلة ما او ابتكار وسيلة ما، فان الممثل يجسد شخصية (المجنون) الطوعية على اعتبارها شخصية منبوذة او مسكينة لا يلتفت لها الناس او يتجاوزها الاعداء أي لا تثير الشبهات عند مرورها بسيطرات اعداء الحرية لذا فان الممثل عندما يقوم بهذه الشخصية من خلال الانتقال من شخصية مهزوزة الى شخصية مجنونة ولكنها قصدية ومرتبطة مسبقا، فان الممثل هنا يتقمص شخصيتين في شخصية واحدة، أي انتحال شخصية المجنون (التي يتكرر بها) اضافة الى الشخصية الاساسية وهي شخصية المنقذ، هذه الازدواجية بين شخصيتين وهذا الانتقال السريع مكن الممثل عبر قدرته الادائية من الفرز العلاماتي الصحيح لانه مهد لها بزمان قياسي لحظة الانتقال الخاطف عبر حساب دقيق لخاصيتين هما زمن الانتقال القياسي مضاف اليه قياس فترة التمثيل لكل شخصية وقدرته الواعية والحسية التي تمكن الفعل الدرامي من استحصال شكل جمالي وفعالية الزمنية لتقبل المتلقي شكل تلك الشخصية وإيقاعها أو فعاليتها الجديدة والمتعددة او قدرتها على سيطرة ما (حسية، جمالية، درامية) وهذا ما حدى بالممثل ان يؤكد ان الضغوط النفسية الاتية من الصالة قد تجاوزها على اعتبار ان قيمة الفرز العلاماتي لكثرة الشخصيات وتجسيدها ساعدته بالتاكيد على اعتبار ان الشخصيات التي يمثلها هم ممثلون متخيلون ومن ثم فان الهيكل الخشبي المقام على خشبة المسرح هو ايضا يرمز لعشرات الممثلين لا مجرد قطع من الديكور او من الخشب المتراص فوق بعضه، ومن ثم فان الممثل عندما يقرر التكرار بملابس المجنون فانه يضيف علامة جديدة باعتبار انه سوف يستدعي شخصية ثانية غير شخصيته والوقت نفسه مرافقة لها بوعي حقيقتها ومن ثم فانه يقرر الايهام المزدوج بمعرفة المتلقي من خلال الملابس او التصرف الاحمق كونه مجنوناً لاتمام طريقة في الهروب او الافلات من اعداء قضيته الانسانية(اداه 10).

- لازم انتكر
- لازم اتمكر - والبس زي يوهم الاعداء بانني امخبل
- حتى يقولولي - تعال - تعال - انت امخبل
- بعدين من يقول هم عقال - حتى تقول على نفسك مخبل
- لازم ابين للاعداء - اني مخبل - حتى يصرفون النظر عني
- اقلهم اني حمامة ولونها ابيض
- امشي لك مخبل - هواكو بالهلوكت حمامة ولونها ابيض

ثم يصعد الى التكوين الخشبي ويبدأ بالغناء والذي من خلاله يحاول الممثل ان ينوع ادائه بين الحوار السردي الدرامي والغناء الشعبي المحلي لتخفيف وطأة طول السرد الممل احيانا، وكذلك اضافة علامة جديدة يبنها التشكيل الخشبي حيث يشكل علامة من علامات الهيمنة او السيطرة اضافة الى غنائه المعبر عن فكرته عندما يعتبر نفسه حمامة سلام بيضاء تحلق في السماء كي تصل الى مبتغاها.

- هيا نطوي الفلاطيا- هلا هيا طيري
- وامضي بنا للماء والعشب
- هيا.. هيا نطوي الفلا طيا

وكم اصابته لوثة يتخذ لحظة صمت حزينة، حيث يبدأ ايقاعه في الغناء يخفت ويصبح ضعيفا، فينزل من مستواه العالي تعباً مصاباً بالخواء والخدر، حيث ينتقل من دور المغني الى دور الام التي تدلل ابنها عند الصباح، هذه الانتقال الحسية والمتمثلة في اداء يمتلك لونية صوتية هادئة تمثل قمة السلسلة في سرعة استدعاء الشخصية المتناقضة عن التي قبلها او الشخصية المتناقضة فسيولوجيا من صورة العنصر الرجولي للممثل والذي يتمص دور المرأة الام إذ ان هذا التناقض المزدوج بين الممثل وشخصية الموجود في الاساس يضاف اليه التناقض الجنسي بين الرجل(الممثل الذكر) والمرأة(الام) الشخصية يشكل ترابطاً صعباً في عمل العلامات عند الاستدعاء في عمل الممثل في المونودراما لذلك يحاول الممثل(محمود ابو العباس) ان يطاوع صوت وجسد المرأة قدر المستطاع ليعطينا علامات العطف والامومة والانوثة في ذات الوقت.

- يمة فدوة ولعطيته- صباح الخير- صباح ليترد الشر
- وصباح الكحل للعين- صباحك به صباحين
- صباح ليترد الشر- وصباح الكحل بالعين

ثم شيئاً فشيئاً تتصاعد نبرة الاداء الصوتي للممثل برفع طبقة الصوتية الى اعلى مستوى إذ يوحي لنا هذا الاداء بان الشخصية قد اصبحت في وضع غير سوي تصل الى حد فقدان السيطرة على فعلها الحياتي عندها يصمت الممثل لينتقل شخصية (رجل المخابرات) العربي الذي يحقق مع صاحب الرسالة الانسانية وبذلك يعطينا علامة واضحة في الياحء المسبق والاداء المعبر من خلال تغيير اللهجات العربية من مصرية الى خليجية الى تونسية الى سورية وبذلك فان الممثل لا يخشى الرقابة او جور الرقيب لانه يتحدث في الزمن الماضي لذا فانه

يسمح لنفسه ان ينتقد اعراف المجتمع البالية او السلطة واعوانها فلا حرجة عليه لانه يتكلم بصفة الامس.

- انت دخلت هنا ليه

- فنتشوه

- وصلت لهننا كيف

- خيو شو جابك هون

ثم بالعراقية

- لك- انت شنو توجهات ابوك

وهنا يجسد الممثل دور السجين الذي وقع في يد كل المخابرات العربية وقسوتها حيث يصف السجن العربي وعذابه بطريقة توحى لنا بالم المسجون من خلال حركات الممثل على ارضية الخشبة وتدحرجه او رفعه ليده الى السماء طالبا العون معطيا للمتلقى علامات توحى بدوامه القهر من خلال سرعة الحركة والتواء الجسد وانكماش قسماات الوجه.

- غرفة السجين غرفة ضيقة- واحد بصف واحد

حتى لا نستطيع حك الخشم- غرفة ضيقة ما بيهة شباك

واني حمامة ما تحب الغرف الصغار ولا الكبار- اني حمامة

احب السما الواسعة- وما احب الشبكة ولا عيون الصياد

الجادة- والسجين عمر من العذابات -السجن ايام وليالي

يعني الموت- انتظار قاتل- واني حمامة ما احب القفص

اني احب الحرية- الحرية حياة- وما من حق احد يسلبها

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا تقتلوا النفس البريئة الا بالحق- الا بالحق

ثم يتوجه الممثل الى الجمهور محاولا اشراكه في الفعل الدرامي من خلال الاداء الراديكالي القائم على مشاركة الجمهور في محنة من يقف على خشبة المسرح مدافعا عن فكرته الانسانية محاولا ادماج المكان المنصي مع مكان الجمهور في وحدة فضاء مسرحية شاملة لا تفرق بين الخشبة والصالة في بنائية الفعل والحدث والهم.

- ايها السادة المتواجدون- هل من حق احد ان يسحب حياة الناس بدون حق

وبالتاكيد فان الجمهور سوف يردد تلقائيا- لا-لا

- فباي حق ياتي احدهم يسحب تلك الروح من طفل- او شيخ او شاب بدون حق

- فما من حق احد مهما كان تفويضه ومركزه ان يسلب حياة الناس حياة الناس - هذا هو مطلبي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته- شكرا...شكرا..
- هذا الخطاب للممثل وكأنه في ساحة عامة او في اجتماع جماهيري او في قاعة محكمة حيث يؤدي شخصية الخطيب في صوت جهوري بعيد حتى يريد ان تسمعه الالاف او الملايين من البشر وكأنه يخاطب الارض ومن عليها- فهو يعطي علامات لفظية وجسدية منفعة الى الطغاة الذين يقتلون الناس بغير حق .
- وفي لحظة صمت يتوجه الممثل ساحبا خطاه المثقلة الى اعلى خشبة المسرح حيث يختار زاوية يجلس عليها يغني المقام العراقي شاعرا بنشوة الانتصار القادم لا محال.
- ثم يتحول المقام الى نواح ترافقه موسيقى حزينة حيث تشكل خلفية لحوار الممثل الساكن وادائه السلس الهادي عندما يحاور الجمهور الصاغي لماساته.
- من رجعت جاننت العيون مطفية
- العيون ناعسة- بس منين ناعسة- من الدموع والخوف والغضب والتمرد

- يقصد هنا الرجوع من الحرب او من السجن او من المستشفى بمعنى ان كل العلامات توحى بانه رجع من ماساة الى ماساة وهنا بدا الاداء ياخذ طابعاً اكثر ثورية عندما ضاقت به السبل في الوصول برسائلته الى مقر الضمير الانساني.
- ولكن هذه الرسالة لازم اوصلها لمقر الضمير
- حتى احمي بيها الناس
- دائما يمنعوني ان اوصل هذه الرسالة
- لازم اتحرك لازم اركض

- ثم يتصاعد هذا الاداء من خلال حركة الممثل ذهابا وايابا على عرض مساحة الخشبة وطولها ويتصاعد معه الاداء الصوتي بكلمة-لازم-لازم-لازم حيث يصعد الى التشكيل الخشبي المقام على خشبة المسرح ماداً يده كالطير علامة التحدي والارتقاء مخاطبا الجمهور .
- اطرودوا الخوف من قلوبكم
- هذه الرسالة برقيتي
- هي ضمير كل شريف
- بس رسالتي شو ضاقت- سرقوها
- يا ناس رجعولي رسالتي

- ليش.. شيسو العمر بلا رسالة
- يا ناس هاذي الرسالة بخطر - رجعوها - هي اخطر من الكراسي وكاميرات التصوير -يا ناس
- الحياة بخطر - الثقافة بخطر - مقر الضمير الناسم بخطر شكك دفعولك بخطر -الانسان بخطر

وهنا يرافق هذا الحوار السردي المؤلم صوت مؤثرات غير مفهوم محاولا التشويش على العلامات الثورية والاستنجد بالبشرية لخطورة ما يحدث والتي يطلقها الممثل الذي ما انفك يؤديها بصوت عالٍ ولكنه حزين ضارباً على اوتارة الصوتية مشوبة ببحة وكأنها من رجل يطلق الانذار الاخير او صرخة الغريق او من لف حول رقبتة حبل المشنقة ظلماً ويحاول ان يطلق كل ما عنده من امنيات واحلام ضائعة باتت في الماضي مذكرة المجتمع هول المؤامرات التي تمنع الاشراف من اتمام رسالتهم لخدمة البشرية.

ثانيا: مسرحية النهضة

تأليف وإخراج: عباس الحربي

تمثيل: عواطف السلطان

مكان العرض: مسرح المنتدى 1998

تتمحور معظم المسرحيات المونودرامية نحو تكثيف العلامات الحركية على السمعية او الصوتية او اللفظية يحاول الممثل من خلالها ابراز الجانب الجسدي في شكل حركات تعبيرية او في شكل تماسات مع موجودات الخشبة او عناصر العرض المسرحي عموما وقد نشاهد نمطا اخر من هذه المسرحيات يوازن بين الجانبين (الجسدي واللفظي) باعتبار ان الجسد والسرد الحواري يكمل احدهما الاخر في صياغة الفعل التعبيري ومكملاته على الخشبة ولكن قلما نشاهد عرضاً مونودرامياً تشكل فيه العلامات اللفظية الجانب الاكبر سلطة على العلامات الحركية، وهنا يبقى اداء الممثل في هذا النوع من المسرحيات المونودرامية على قدرة فائقة في جعل الفعل المونودرامي قادرا على تمتين صفة التواصل في الامتاع بشقيه الجمالي والفكري بين الصالة والخشبة، لان الفعل الحاد او طغيان الحركة قد يكون مهما في تكوين المحركات الحسية الملائمة للعرض المونودرامي عموما، ويبقى التنوع الادائي في صورته الحركية واللفظية انسب شكلا في العروض المونودرامية الحديثة، حيث التوازن في توزيع الموجودات على الخشبة او التوازن بين الفصحي والعامية وبين الفعل الحركي واللفظي.

وفي مسرحية (النهضة) تفرض هذه الجدلية او الخصوصية الادائية بين السرد والحركة نفسها حيث تتربط علامات الممثلة (عواطف السلطان) بتصويرها الجانب الفكري وايصال رموز علامات ثيمة نصها من خلال موازنة الفعل الدرامي (الحركي) مع مواصلة سردها الحواري المعبر من دون اللجوء الى افتعال حركي صاخب او طارئ او تداخلات علامائية سريعة تفرضها حالات استدعاء الشخصيات التي لا بد ان تمر بشتى انواع ازماتها او المحن التي عاشتها في الماضي او وجوب الانتقال السريع من شخصية الى اخرى وما يصاحبها من تركيز عالٍ في فرزها وتحديدها..

تدخل الممثلة (عواطف السلطان) الى الخشبة بدور (فضيلة) موضحة معاناتها من خلال طرح علامات لفظية ومن خلال حوارها مع ابنتها التي تبدو انها اصبحت لا تتحرك.

- كومي شمالي وهنتي . كل احنة كلوبنة توجعنه وتذك على شباغ صدورنه من حسرتها.

ولكنها تسارع برفدها بعلامة احتجاجية تمثل الشموخ والعزة

(لجن منتجين على ارامحنة... اللي بظهر الكنفذ موش شوك هاي رماح صبر شاهكة لربها)

ولكنها تطرح علامة اخرى تعزز فيها فكرة الظلم والالام والمعاناة التي تمر بها في فترة خطيرة من فترات العراق وهي الحرب بين العراق وايران عندما تبين ياسها بقولها:

(هم هاي دنية وتنكضي وحساب اكو تاليها)

ثم تطرح الممثلة عبر شخصيتها ب حوار هادي وحزين ينم عن اداء سكوني شفاف ومؤثر خطورة ما كان يجري عندما تكون هناك فتاة في العائلة تخرج للعمل اذ تصبح لقمة سائغة للمفترسين من اعوان السلطة والاشرار والطامعين يلحم البشر فلا الفتاة الجميلة سعيدة بهذا الجمال ولا القبيحة كذلك ولا حتى التي تضع البرقع على وجهها بمنأى عنهم

(لا الحلو حامي روحه ولا المبركع من حرشموسها)

وفي صراعهم بهموم عيشها ببيع الشاي في مراب(النهضة) وهموم تربية بناتها الجميلات اللاتي يعملن في معمل الجكليت تتمنى الموت حيث الخلاص من هذه الحياة وتعاستها حيث تعطي علامة لفظية واضحة

(كون الموت ما يوجع جان كل احنة رحنة)

وفي استعادة الممثلة من خلال شخصيتها لشخصية (القاضي) استطاعت عبر اداء ينم في سرعة التحول العلاماتي وعبر تجسيدها لها من خلال تغيير نبرة صوتها الانثوي الى رجولي وكذلك تكور الجسد ليمائل جسد القاضي كبير السن وحيث ينطبق القاضي بالحكم على (فضيلة).

(حكمت المحكمة حضوريا على المتهمة فضيلة مصباح مغباش بالسجن خمسة عشر

عاما لممارسة الصخام)

هذا الانتقال الزمني او التحول المحسوب من شخصية الى اخرى من خلال استدعاء الممثلة لشخصية القاضي ساعدها على اداء متوازن في فرز مهم لها وتكوينها الفكري والجسدي و تغيير نبرة الصوت والتشكيل الجسدي حين تشكل علامة في مهمة الممثل لزمان الانتقال من شخصية الى اخرى وفترة المكوث الزمني داخل كل شخصية بذاتها(اداه 8-15) وبذلك فان الممثلة قد رمزت الى شخصية القاضي من دون تصويرها فوتوغرافيا لمردها السريع في تجسيدها دون الغوص في تفاصيلها(اداه 16) كما استطاعت ان تتنوع في ادائها بين حوار القاضي الفصيح وبين حوارها الشعبي جالبة الامتاع والتنوع لاسيما في مشهد المحكمة من خلال السؤال والجواب الذي يحدث عادة في جلسات المحكمة.

- سؤال

- جواب يمة

- هل كان للمجني عليه عباس زغير جلوب الملقب بعباس ابو قامة صلة قربي معك- أي هل كان يزورك الى المنزل؟
 - عمة هذا فرار يومية شارد جدام الانضباطية -يندل النهضة وباب الشيخ دربونة دربونة انه كرايبي ما يلفون الغايب وطاخ الراس بعد عمتك
 - حسني ملافضك امام هيئة المحكمة انت لست على رصيف النهضة يا امرأة.. قلني سيدي القاضي
 - وحك سيد مالك.. ما عرفته الا بذيغ الساعة السوداء اللي ضاعت بيها الجولة.. انه لو ادري وراها هيچ طلايب انطيه فوكاها دبة غاز .
- وتحاول الممثلة ان تطوع جسدها كعلامة تحولت من استقلاليتها الى جسد اخر مستعار يمثل القاضي بكبر سنة او الشخصيات الاخرى بما يلائم اعمارها. وتبرز القيمة الدرامية لثيمة المسرحية من خلال طلب (فضيلة) حباية مجرد حباية من الشرطي مقابل الاعتراف بكل شيء حتى لو كان كذبا من دون ان تعلم بان هذه الحباية(القرص) التي كانت تبيعها من خلال (عباس زغير) هي ليست لوجع الراس بل انها حبوب هلوسة او مخدرات، وهنا يصل الاداء الى قمة التعبير الماساوي في مقارنة درامية تشحن الجو العلاماتي للعرض وتبث فيه ديناميكية متسارعة من خلال حركة الممثلة المتوترة وذهابها من اسفل يسار المسرح الى وسطه ثم يمينه اضافة الى الاداء السايكولوجي الحزين. عندما تقارن بين معاناتها مع رجال البلدية الذين يطاردونها لمجرد بيعها الشاي والكعك وبين معاناتها لذهاب ولدها الوحيد للقتال في جبهة الحرب حيث تسال الجنود الذاهبين الى الجبهة.
- امانة الله عليكم ان شفتوا وليدي لا تكلوله البلدية اخذت جولة امك، اخاف يلتاع كلبه.. لا تكلوله ما باعت ولا استكان جاي
- وباداء ساخر من الوضع السياسي الذي يحارب الفقير في لقمته البسيطة بينما ولدها الوحيد يقاتل في الجبهة، حيث تعطينا علامة من خلال اداء ينم على عكس مبتغاه في التاويل والمعنى
- كولو لابني.. كله خير وربيع.. كمرنة هادل زيغ الليل ومغركة فرح.. هاي البلدية تتمازح ويانة
- وبذلك فان الممثلة وعبر ادائها المتوازن من خلال شخصيتها لا تطرح معاناتها كفرد يشكو ليس الا بل الى نهج نقدي لاذع للمجتمع او السلطة السياسية(اداه 12) التي زجته في

حروب بينما افراده يعانون الامرين او يبيعون شرفهم مقابل سد الرمق وتدخل الممثلة هنا في اداء متسارع وشديد الحدة مع باقي النساء العاملات في (مراب النهضة) اللواتي يحتثها على ممارسة الدعارة للخروج من ازمتهالاقتصادية ولكن نفسها الابية ترفض هذه الموازنة بين العيش والحاجة وبين الرذيلة والحرام وهي علامة واضحة على عزة النفس وطهارتها وهي علامة فعلت ديناميكية الفعل الحركي والنفسي وقادته او اثرت فى بعده الدرامي والسايكولوجي على المتلقي.

- بعد عيني ان جانت السمة تريد نذورها الكاع هم تريد حكوها وعيون الناس تاكل كبل حلوها، انتي شخصرانة بشوية حمرة وعلج ماي اتطكين بيه طك.
- انه ام جواد... ملعونة السلفة. بالحلال وربنه غاضب علينا... اليوم اطلع بيج حركة الجولة والفكر هذا الجاثم على كلوبنة سنين

وبادائية محسوبة تنم على ذكاء تتحول الشخصية وبحركة سريعة ومفاجئة الى نمط ادائي استثنائي ففي اثناء هياجها تدفع احدهم تخيلاً حاول التدخل ومن ثم تعود الى صراعها مع المرأة الاخرى.

وخر انتة ما عليك بطلايب النسوان

الممثلة في هذا العرض اقدمت على مزوجة بين ذاتها الواعية في نمط ادائها وبين الشخصية المستدعاة، اذ نرى بساطة الاداء النابع من بساطة الشخصية وطبيعتها عندما يخذعها(عباس الافرار) ويطلب منها بحجة مساعدتها ان تبيع الحبوب(الاقراص) لوجع الراس مع كل استكان شاي حتى يكون هناك اقبال من الزبائن عليها وكذلك تعهده بارجاع (الجولة) التي صادرتها البلدية... ولكن المسكينة (فضيلة) لا تعلم بان هذه الحبوب هي ليست حبوباً لوجع الراس بل حبوب مخدرات وهلوسة.. وهنا تحيل الممثلة عبر شخصيتها (ولحماية نفسها من السلطة في ذلك الوقت) الزمن النفسي في الماضي للشخصيات عبر محاولتها كشف الحقائق ورمزها الحالي من خلال هلوسة او حوار هو محسوب على الماضي لا الحاضر او منسوب الى اخرين هم خارج القانون(اداه11)امثال (عباس الافرار) اذ نحدد زمن فعلها واسلوب طرحه بالعودة الى (المدعي العام) اذ تتقمص شخصيته بقوله

- سيدي القاضي- ارجو ان لا يفت عضد قراركم بالتعاطف مع شيخوخة هذا الشيطان المتلبس بجسد امرأة عجوز - تبدو للناظر انها قروية ساذجة

لكنها فعلت ما عجز عنه اكبر رجال المافيا بجريمة كالتى يحتويها ملفنا هذا- سؤال اية حيلة هذه التي استدرجت فيها المجني عليه الى مكان الجريمة؟

- الجولة يمة الجولة هية اللي جابتلي (عباس الافرار) الما يصدك ينشد ام فرحة- كليهم خية- شلون جان يكف يمي مثل دجاجة جويريرد.
- سيدي القاضي لقد سمع الجميع كيف ان المتهمة تتظاهر بعدم معرفة ما اقدمت عليه من دمار وفساد اجتماعي حتى انها للحظة وبالرغم من ان السلطات القت القبض عليها متلبسه -تسمي اقراصها المخدرة هذه حبوب وجع راس بالرغم من انها تناولت منها الكثير
- كل الحبوب بيضة يمة-لليوجعه راسه- واليوجعه كلبه وللمكسور خاطره- بيضة مال انكريز-انت شايف شلون الاولاد لازمين سره على عمتهم- هذا رياض الاعرج وهذا رحيم ابو ياخة

وهنا تحاول الممثلة عمل مشاركة وجدانية مع المتلقي ومن خلال زجه في المشاركة مع حدث المسرحية وثيمتها ومن الخروج او مغادرة الاداء الطبيعي (النفسي) الى الاداء التشخيصي(اداه 17) حيث تخاطب الجمهور مباشرة وكأنها تبيع الحبوب المخدرة الى الجمهور وكأنها حبوب لوجع الراس.

- كول بعد عمتك- جم حباية- خمسة.. وانت يا لحلو.. بعد لا تحف حواجبك.. عيب عمة.. وانت ليش مزين شواربك شوف شلون اوخوك هذا منزلهن على بلعومه

لقد استطاعت الممثلة ان تفعل موجوداتها على الخشبة من خلال توزيعها المتن للعباءة او الجولة او المكنسة او البرميل(اداه 13) الذي تعاملت معه على انه قاع لا منته من خلال التحدث من خلاله وبذلك فان هذا التوزيع ساعد الممثلة على تفعيل علاماتها المستحدثة من خلال تماسها مع موجوداتها باتجاه انشاء ديناميكية فاعلة نحو تكوين بؤر علاماتية رامزة على شكل مكان (مراب النهضة) وتفعيل سينوغرافيته من خلال التوافق الهارموني بين المؤثرات الصورية والسمعية وتوزيعها وبين حركة الممثلة من خلالها، هذه العلامات يسارا ويمينا اكتسبت قدرة على خلق ترابطات وعلاقات بينها وبين ديناميكية حركتها المستمرة وديناميكية استعادة الممثلة لسلوك الشخصيات من خلالها(اداه 4-13) او من خلال تحديد قيمة الفضاء الخارجي او الفضاء المنصي اذ شكل (مراب النهضة) ومن خلال تحديد علامات المكان الواقعي تحديداً اخر فقد شكل فيه المكان المبعثر دلالة رامزة على ثيمة الفكرة وعلاماتها الايديولوجية و شكل هذا التكوين المكاني دلالات على الموت او محطة للذهاب الى الحرب ومن ثم اللاعودة، وهنا تتعامل الممثلة من خلال سيطرة واضحة على موجودات الخشبة وعلاماتها اذ حددت من خلالها ايقاعاً خاصاً بها وخاصاً بالشخصية والحدث اذ كان لها الزمام في تحريك وجهة التعامل مع هذه العلامات ووقته وكيفيته باي اتجاه نشاء، ونصل الى ذروة المسرحية عندما يسرق احد الاشخاص

جولة وعباءة(فضيلة) اذ تشكل (الجولة) علامة العيش واستمرارية الحياة من خلال بيع الشاي اما العباءة فتمثل ستر الجسد الذي يعني الشرف في المنظور الاجتماعي وضياح هذين الرمزين او العلامتين يعني ذروة الماساة وانسحاق النفس ودمارها من خلال الاشارة الى رمزية الحدث في الوقت نفسه الذي نعلن فيه نعلن فيه صفارة الانذار قيام الغارة الجوية المعادية مع هجوم البلدية على الباعة المتجولين في (مراب النهضة) الذي يمتزج مع دلالاته كمحطة لوداع الموتى الاحياء او الاحياء الموتى وهنا تستذكر شخصية (فضيلة) ابنها الذي يحمي الوطن ولكنه لا يستطيع ان يحمي امه وجسدها العاري بلا عباءة حيث تتشاد زوجها الغائب والذي كانت عبائته ترجف السماء فتاتي باخر علامات النخوة والشرف عندما ترفض ان تشد عربانة الغاز او القاذورات على الحصان النبيل وهنا تتذكر نخوة الفرسان عندما تستجد بالارض وصلابتها مقرونة باسم الله وشرف اهلها الاخيار وهنا يمتزج الحس العاطفي المقرون بالنخوة والشهامة مع صوت ايقاع (الهاون) مع صوت الناي الحزين مع رقصة الممثلة (لهوسة الريفية) لتكون ذروة المسرحية هي انتصار(الرمز) الراكن في حواسنا النائمة وعقولنا فتؤدي الممثلة من خلال علامات السخط والاحتجاج بتحدي السلطة عبر ضرب الارض بالاقدام وكان لا سبيل لمواجهة الاعصار عندما ينطلق او البركان عندما يثور، فالحصان قد انفصل عن عربته واصبح من الصعب اعادته الى رسخه او لجمه مرة ثانية- لقد حددت الممثلة علاماتها من خلال القدرة على فهم واع لطبيعة الاداء في هذا النمط من العرض المونودرامي من خلال التحكم بالفترات المناسبة (الزمن) لاداء الشخصيات المستدعاة مثل (القاضي-المدعي العام- شرطة المحكمة- عباس الافرار- حمادة المصري) أي القدرة على التحكم في فترة بقاء زمن الفعل الدرامي داخل كل شخصية والسرعة الزمنية الخاطفة للانتقال من شخصية الى اخرى من دون حدوث فجوة في تناقض علاماتها(اداء 8) وكذلك والاهم قدرة الممثلة على العودة الى الشخصية الرئيسة مرة اخرى وبسلاسة دون ظهور مشكلات الفرز او بقايا خصوصيات الشخصيات الاخرى متعلقة عليها او بها- لقد جعلتنا الممثلة في هذا العرض ان نشعر بذلك التالف بين ذاتيتها كفنانة مبدعة مع شخصياتها المتخيلة اذ كلا يأخذ حيزه المختار ووظيفته المترابطة مع الاخر وبذلك فان الممثلة بادائها بينت ان المونودراما قد اعطتنا شمولية في كثافة علاماتها وجعلتنا نشعر ان كل ما في الخشبة مشغول وان الفضاء المسرحي قد استنفر طاقته في اشغال عقل المتلقي بان ما يشاهده عبارة عن خلية من الحركة لا تنتهي.

ثالثا: مسرحية الأحذب

تأليف : علي حسين

أخراج : فلاح إبراهيم

تمثيل : عبد الخالق المختار

مكان العرض : مسرح الرشيد 2002

إن فكرة التمرد من المنظور السيميائي يأتي من خلال قدرة الممثل في الموندراما على ضخ أو تشضي جملة من العلامات الحوارية و الجسدية قادرة على تجسيد فكرة هذا التمرد من قوى أكثر قدرة في إمكانياتها المادية، وهذه هي الطبيعة القدرية في الموندراما التي غالبا ما تعطينا حالة انكسار الشخصية طيلة العرض ومن ثم التمرد و الثورة في آخرها ، لذا اكتسبت هذه المسرحيات الموندرامية الكثافة الشعورية العالية لوجدان والتعاطف مع شخصياتها المنكسرة والنابعة من تركيز الحدث الدرامي في شخصية واحدة تشكو ما مر بها من ماسي وحرمان ، وشخصية الأحذب التي يمثلها الفنان (عبد الخالق المختار) في المسرحية الموندرامية بذات الاسم تمثل ذروة الانفجارية السيميائية في مطلعها عندما يصرخ الأحذب بأعلى صوته

- كلاب ... كلاب ... كلاب
- الكلاب تنبح ... أبتعد ... أبتعد أيها الموت
- طال بقائي في هذا المكان الموحش .. وتعفنت فيه

هذه العلامات أحالت العرض منذ بدايته إلى نسق انشطاري أبتعد عن سكونية التلقي وإحالة إلى تفجر علاماتي شديد الوطئه (أداة 1 / 2) ، وفجأة ينبثق جسدا من أغطية بيضاء كمن كانت أكفانا لميت يصرخ من تحت الأرض صارخا لوجت الظلم حيث تنبثق أصوات الكنائس لنجعل من هذا المشهد ترتيلا يبحث عن مغزى ما أو ذريعة ما ... حيث ترافق هذا الترتيل بقعة خضراء تلف المكان في وسطه وتجعل من الفضاء الفارغ ساحة للانطلاق نحو مساحات وهمية ليست لها إبعاد تحليلنا إلى إلا منتهي وتجعل من شخصية الأحذب في بقعة بؤروية ومركز هندسي للاهتمام (أداة 3) ، حيث العلامات تتدفق بمسارات أنشأتها جموح الشخصية نحو التحرير من قتلته العصر و الحب .

- ماذا تريدون مني أيها القتلة ؟
- ماذا تريدون مني ولأي شيء تعذبونني ؟

ويحاول الاحدب هنا أن يمثل انه سوف يستقل القطار من خلال عصا يحملها ويحركها كأنها عجلات القطار منتقلا فيها من زاوية الى اخرى على خشبة المسرح .

- لم تبقى سوى دقائق وأستقل القطار الاخير الصاعد الى قرיתי حيث الام و الحبيبة (زيمير الداو) والاصدقاء .

وفجأنا أحس الاحدب ان علاماته للوصول الى قرية قد اصابها الخذلان عندما بدأ يتحسس جسدة المنحني المعوق وأخذت الانكسارات تملأ الافق حيث تغوص السيميائية في علاماتها داخل النفس و الفكر لتعطي قدرا كبيرا من التأزم وخذلان الحياة والاصدقاء .

- تمنيت ان اصبح مجنونا ومن ذلك الحين اصبحت الخمر صديقتي فأختبأت ودفنت رأسي فيها وغدوت منسيا في ثبات الجنون .

وفي حركة سيميائية تنمو عن خيال المتدفق من رومانسية الفكر و الحس (أداة 7) تتحول العلامة في شكل المهمات المسرحية وبالتالي المعنى الدلالي (أداة 4) عندما تتغير الاضاءة من شدة عاليه الى خفوت ولون يميل الى الوردي حيث يسحب الاحدب القماش الابيض الذي كان يلفه ويربط الجانبين ليصبح ارجوحة ينام عليها حيث تبدأ الموسيقى بتكوي علامات لحياة جديدة حيث صوتا ينم على مكان ريفي حيث تذكر اللحظات الجميلة في الزمن الماضي .

- وصلت الى البحر , الى الغابة الساحلية , بيت صياد فقير .
- وأرجوحة ترتفع في الهواء وتهبط يجلس فيها طفل تحوم عليه سماء زرقاء ...

وفجأة تتحول تلك العلامات الجميلة وبفعل الصحوه الى كابوس دلالة على التحول في فكرة المشوش .

- أريد ان ارتجف فزعا وأحاول ان افهم اني وحيد بلا ارض وبلا شاطئ .

وفجأة نسمع قرع اجراس حيث يسقط من الارجوحة وكأنه افاق من حلم ليكون في كابوس اخر ، حيث يحس كأنه في قاعة محكمة يدافع عن نفسه بل يدافع عن قضية وعن فضح مايدور في كواليس السياسية و الحكم ، هو يرمز في كلمة المباشر ومن دون خوف (أداة 12/11) لانه يسرد عبر هلوسة او حلم أفكار و حقائق في الماضي (أداة 14) متجاوز فردانية الى نهج النقدي للمجتمع حيث تلعب الاضائة ايضا وأمتزاجها مع الموسيقى دورا سيميائيا في تفعيل الحدث وفكرته من خلال تشكيل علامات الحركة المسنجمة مع شبحية الصورة المرئية للاحدب وتكويناتها وأسقاطات الاشكال المتأتية من الضوء و الضل لخلق تنكوينات غير منسجمة للاشكال ، ولكنها تعبير عن حالة الفرع و الخوف وطغيان الخطوط العلاماتية المتوازية المشوشة مع فكرة وجود التناقض في الشكل بينما يطرحه الاحدب من انكسار وماتأتي بها الصورة العلاماتية في سيميائيتها المشكلة حديثا من انسجام الفكرة مع الشكل وهو انسجام يقود وحدة بناء الشخصية الموندرامية رغم تناقضاتها مع مكوناتها الاساسية لاسيما للممثل في خلق فجوة بين العلامتين حيث تشكل هاجزا في الاداء (أداة 8)

- أني اسخر من محاكمتكم ومن مراسيمكم الكاذبة ومن سجونكم النتننة

ويأخذ الاداء بسيميائية الواضحة عندما يتحول شكل الارجوحة حيث ينشر حبلها ليكون فيها حلبة رقص ويحمل معها فراشا الى احدى زوايا تلك الحلبة حيث يتحدث الاحدب مع هذا الفراش وكأنه حبيبته (أزمير الدا) حيث الموسيقى الرومانسية والرقص حول تلك الحلبة .

- عودي الى نومكي حبيبتي ... مازال الوقت مبكرا

- كنت هناك وتركت نفسي تنظر اليكي بأمعان .. حتى انني شعرت بالبرودة تسري في جسدي كلى .

وهناك تتوقف الرقصة ومعها الموسيقى لتعبر عن توقف الحياة

- لقد تأخر القطار عن موعدة ... اخشى ان لا يأتي

- لكنك يا زمير الداو مريضه ... وأنتي بحاجة الى العلاج ... اذا لم يأتي القطار فسأحملك على ظهري .

وفجأة يتحول اهتمام الاحدب العلاماتي الى وجة اخرى عندما يتحدث مع الفراش الذي أخرجته من حلبة الرقص وكأنه الجنرال العسكري أو ضابط الامن أو السلطة .

- ماذا تريد ... هل تريد ان تعدمني الى الموت ... نحن منفيون ... الا تعتقد ان هذا مبرر كافيا للموت او للقتل .
- أخيرا اصابة الذعر ومع هذا لن يكف عن النظر الي بقسوة ... كنت اعلم انه قادر على الانقضاء علي كوحش في لمحة بصر .

وفي التفاته سيميائية غاضبة يصقظ الشرشف من يد الاحدب وهو ينظر اليه كأنه جثة الجنرال وقد حز رأسه المتعفن .. أو مرة اخرى تبدأ العلامات تمتجز بأداء قاضب لتحيل اركان الخشبة الى ساحة قتال حيث يتحرك الفعل الدرامي نحو تأزم .. فهو في نقطة الا عودة وعليه ان يقتل الشر قبل ان يقتله .. وهنا تبدأ العلامات في تنشيط الفعل السيميائي للصورة المرئية على الخشبة (أداة 1 / 2) حيث يبدأ فعل الحركات وكأنها علامات ارتجالية قبل ان تكون قصدية حيث حركات الجسم المتوازن مع تحذب الظهر والتي تفرض نفسها في أنشاء علامات أدائية جديدة (أداة 18) حيث تتعمد الاضاءة خلق حراك سيميائي بتسليط الضوء الجانبي و الارضي .. ليصبح خيال الاحدب وكأنه الجبل الثائر حيث يكون مفهوم هذا التحول من خلال انشاء اساليب خداعية لاتمام أحداث موقف علاماتي خطير (أداة 14) ليكون قادرا على استحداث الحراك الدرامي لذات الفعل .. وفي لحظة القصاص القاضي لقتل الجنرال يحدث الصمت الطويل .. وهو صمت لغته المفارقة الدرامية بين انسان مرعوب ومهمل الى انسان قادر على التمرد و القتل .. وفراق لما كان وأستقبال عالم جديد من الاحلام .. ثم تعود الموسيقى تنبش ذكريات الامس وتقود الى الورا في عالم تسكنه الملائكة الخيرة .. ومع ذلك فهو خارج من أماكن المتعددة يملأه الحزن و اليأس حيث يخاطب حبيبته أزمير ألدا .

- أني غريب في عالم الاموات هذا
- أزمير الدا ... انظري الى القمر كم هو غريب هذه الليلة ... يبدو كوجه امرأة خرجت توا من قبرها

وهنا نسلط الاضائة على علامة مهمة في هذه المسرحية وهو صليب معلق عليه المسيح حيث يذهب الاحدب اليه يتفحصه بدقة وكأنه يكلم السيد المسيح عنوان للانسان المظلوم .

- وأنت الا تنزل من صليبك ... لقد أردت ان توثق العذاب بهذه المسامير الطويلة ...
يدك المبسوطتين نحو السماء ... دعني أنزلها عنك .

وهنا يمسك الاحدب بعصايتين ويسقط على الارض ويجعلهما كشاهد قبر في وسط المسرح حيث يظهر التابوت من الجانب الايسر للخشبة وهناك الصليب من الجانب الايمن في توزيع علاماتي رصين يظهر قيمة الفضاء السيميائي في توزيعه متوازنا مع الفضاء الفارغ للخشبة جاعلا من سينوغرافية العرض كأنها لوحة من الكريستال (أداة 3 / 4) حيث التحول السيميائي يبلغ اشددة بالمزوجة بين صليب المسيح وشاهد القبر والتابوت المركون .. يتجه الاحدب بعلاماته السوداء ويضع نفسه امام الصليب وكأنه يقول انه مصلوب لامحال كما كان السيد المسيح .

- ايكون هذا مصيرنا جميعا ان نعلق على خشبة وتدمي أيدينا بالمسامير .

وهنا يبدو ان الاحدب قد أفاق من سباتة المؤقت .. حيث يرفض فكرة الموت على الصليب وحيث تشكل حبيبة (أزمير الدا) نقطة البداية و النهاية فأنها علامة سيميائية للخلاص الزائف المحموم الممزوج بلوعة ذلك الضياع .. فلاحدب لايعرف كيف يخلص نفسه وحبيبة من براثم القهر و الظلم وكيف الوصول الى عالم بلا أحزان .

- أزمير الدا .. علينا ان نرحل .. هل نمتطي الجواد .. اتريدان ان نركب الزورق

- سنذهب معا ازمير الدا .. ها انا اراك واقفة كمنارة بثوبك الابيض .

وهنا تبدأ الموسيقى كمؤشر سيميائي يخضع لتكوين علاماتي في أداء ينم عن الفرح الحزين وخيبة الامل فيما جرى وسوف يجري ، حيث بارقة الامل تبدو جوفاء غريبة عن علمنا المقهور ، وشيء فشيء يدنوا الاحدب بتابوتة المهلهل وكأنه الطريق الوحيد لخلاص الفقراء و المظلومين حيث يبدوا صدى صوت الاحدب وكأنه يتلاشى مع مطرقات السندان وتهشيم الخشب وأصوات الغربان لتعلن ان من يريد الحياة عليه ان يختار الموت .. وأن يسوق حياة

قربان للآخرين حيث لامجال للتراجع وهنا يبدأ الاحدب بمخاطبة الاخيرة الى أزميرا الدا وكأنة سوف يبحر معها أو يودعها فلا احد يعرف ما تخبئة الحياة .. فالعلامات في نهاية هذا العرض تجعل من يشاهده يقع في حيرة سيميائية بين لعن الموت وأوهام السعادة حيث يتدرج الضوء مصوبا سهامه الى التابوت التي توسط المسرح والحوار الاخير للاحدب الى حبيبة أزمير الدا .

- أريد ان ارى البياض .. سنقوم وأنا بين ذراعيك .. سنقوم .. سنقوم .. سنقوم أزمير الدا .

رابعاً : مسرحية عودة أشيلوس

تأليف : مثال غازي

أخراج : عماد محمد

تمثيل : علاء حسين

مكان العرض : مسرح الرشيد 2004

تشاء ان تنفجر العلامات في بداية العرض المونودرامي (عودة أشيلوس) لكي تكون عنصرا هاما في جعل الفعل الدرامي مساهما في تنشيط الذهن لفك الصورة البصرية الاولى للعرض (أداة 1) لتكون مفتاحا للولوج الى عالم سيميائي متتابع في الابهار والخروج عن القاعدة التقليدية في نمطية المشهد الاستهلاكي (أداة 2) وذلك من خلال عرض فلم سينمائي عند بداية العرض على السايك الخلفي حيث تمثل شابا عراقيا يركض مفزوعا في شوارع بغداد وخلفة اعلانات الدعايات الانتخابية و الشعارات التي تمجد اصحابها ثم يتوقف هذا الفلم عند هذه الصورة التي تعبر عن فزع هذا الشاب طيلة زمن العرض .

(عودة أشيلوس) مسرحية مونودرامية يمثلها الفنان علاء حسين حيث يعالج العرض فيها قصص صراع الانسان وقلقة الوجودي الدائم بمواجهة مصيره وسط عالم يخلو من السلام و الامان ومثقل بالاستبداد والقمع و العبودية في ضل عناوين مختلفة للسلطة مع عرض لخيبات الحروب ومأسيتها وما افرزته من فقدان الهوية ومحنة التشظي للوجود الانساني الذي يبقى سجين الوحدة و الجنون والتطرف .

وأشيلوس هي سفينة يونانية كانت تنقل المهاجرين العراقيين والعرب الى أوروبا .. وأشيلوس هذه مثلت في ستينيات و سبعينيات القرن الماضي عند المثقفين رمز الحرية و الخلاص عند المستلب و المضطهد و الذي يجد في رحيله عبره جسر الخلاص .

والفنان علاء حسين الذي يمثل شخصية (منو) كعلامة لحيرة الرمز وفقدان الهوية وضياح جذوة العقل بفقدان الاسم الذي يعني الانا وانتائها الجذري .. فهو يسأل وهو في حالة الضياح هذه معطيا لعرضة المونودرامي علامات المشفرة التي تعقد رمزا مهما في حياة الانسان الا هو الاسم فيقع المتلقي في حيرة تحديد انتماء الشخصية وبالتالي جعله يتخذ من التأويل طريقا لفك هذه الشفرة .

- هل انا من الصغر حتى ... حتى ... أم انى من الكبر حتى ارى النور مرة ثانية

ويفرض (منو) وبحركة سيميائية تتخذ من الخيال او الوهم طريقا لمناجاة الاخر او افتراض وجوده في أي زاوية ما على خشبة المسرح فهناك من يناديه لعل شخص ما في خيالة المريض ربما هو السيد او الامر او المحتل القابع في احضان الوطن .

- لقد نظر في عيني طويلا .. اذا هو يعرفني .. او ربما لا .. ربما افترضني ..
نفايات .. أز زبالة

ويكرر (منو) وبطريقة شعبية لاذعة ذات ايقاع متسارع يتناسب وحركة الممثل المونودرامي في تفعيل الفعل وخلق جو مشحون دراميا حيث يقول كلمة زبالة وكأنها علامة سيميائية تبرز تفاهة ما ماتبغية هذه الشخصية من امتزاج للتنوع العلاماتي وتداخله الطبيعي و التشخيصي من خلال مزج الحوار الشعبي مع الفصيح لخلق المتعة و التواصل وكسر حالة الملل التي ربما تحدث في العرض المونودرامي لسبب وجود ممثل واحد يسرد شكواه وافتقاره الى ممثلين اخرين يصاحبوه ايقاع الحوار والحركة على المسرح (إدارة 17) .

وفي هذا التدفق السيميائي يتسائل (منو) تسائل المجنون المضطرب لما اصاب بلدة من ويلات وحرائق اشبة بما فعله نيرون في روما حيث يبرز انكسار الشخصية ليس من خلال فشلها مع الآخرين والصراع من اجل اموره الشخصية بل هو صراع بين الانسان وحسة العاطفي والألمة على ضياع بلدة .

- هل انا نيرون ؟ هل انا من اشعل كل تلك الحرائق التي اشعلت بغداد ؟

وعند ذلك وفي خضم هذا التسائل الخطير يقوم الممثل في حركة دائرية تنم عن فقدان التركيز الذهني حيث تتوضح تلك العلامات المتشخصة حين يربط الممثل علاء حسين عبر شخصيته منو بين الحاضر و الماضي عندما يربط حرائق بغداد لحظة الاحتلال مع حرائق خيام الحسين (عليه السلام) حيث يصرخ متوجعا ورافعا يده باثا علاماته الايقونية في شكل تطابقا معانياتيا بين الدال و المدلول او بين الصورة الصوتية وموضوعتها حين يطرح كلامة مباشرة الى الجمهور وكأنه يخاطب ضميرة

- هل من ناصر ينصرني ؟ هل من ناصر ينصرني ؟

هو وحيد كالحسين (عليه السلام) ولكن عليه ان يستمر في صراعه هذا ولا بد ان يقاتل حتى النفس الاخير مع ادراكه انه مقتول لامحال ، ومن هنا يقوم الفنان علاء حسين بشخصية (منو) بسحب عصا خشبية طويلة ليكون جنديا محاربا ضد قوى الظلم و الطغيان (أداة 15) وهو بذلك يشير الى الشخصية المستدعاه المتخيلة دون ان يصورها فوتوغرافيا حيث

تبقى هذه الشخصية ترتدي نمط ملابس سهلة وتعبيرية وهي عبارة عن ثوب قصير يلبسه مع سروال طويل الى أخمس قدمية (أداة 16) .

وهو بهذا الشكل يرقص رقصة المحارب مع موسيقى ايقاعية ليكون مع الموجودات بؤرة مركزية وسط المسرح حيث تتوزع الادوات المسرحية بغاية البساطة والتي هي عبارة عن عشرات من الاكف الابلستيكية المملوءة بالهواء وزعت داخل الخشبة وكأنها جثث القتلا او بقاياهم تصرخ ظلم الموت ترافق هذه التشكيلة تعليق عشرات من هذه الاكف على اعمدة ذات جذور وكأنها اشجار موحشة يابسة توحى كدلالة على الصلب و الموت او هي بقايا الصليب الذي قتل عليه السيد المسيح (أداة 13) ، وعند ذلك فأن شخصية منو تجد نفسها وحيدة في هذه البقعة تختفي خلف الكرسي ليتحول هو الاخر بفعل قلبة الى مدفع او ساتر للحماية وهذه احدى وسائل المونودراما في تحول المهمات المسرحية من حالة الى حالة وتغيير الدلالة تبع لذلك .

- ماذا ؟ ماذا الموقع اخذوه ؟ اخذوه ؟
- سيدي الموقع اخذوه ... سيدي اجب ... سيدي حول ... سيدي اين انت
- سيدي هل انا وحدي من يقاتل .

وهنا يربط الممثل علاء حسين شخصيته بشخصية الامام الحسين (عليه السلام) ندما يبقى وحيدا في ساحة المعركة ، حيث يعطي علامة الى التضحية للذين قاتلو معه وفي نفس الوقت علامة اخرى الى خيانة بعضهم وهو نقد قد يكون موجها لسياسة ما او نقدا على من يخونون الوطن في الماضي و الحاضر وهو نقد للمجتمع والسلطة في كل الازمان (أداة 10 / 11) حيث يصرخ موجوعا .

- هل ثمة وطن ورجال ؟ ام ثمة وطن ورجل
- ثمة من يهجم ولا من يدافع ... ثمة من يتصل ولا من يجيب

وفي اشارة يائسة من الحياة وزيفها حيث تعطي شخصية منو علامة راسخة بعبثية الحياة وما يجري فيها والم العيش فيها

- خائن كل من اعان على ولادتي

- خائن كل من رقص في تلك الليلة ونذر النذور

وفي حالة الضياع هذه تتعامل الشخصية مع الاكف الابلاستيكية المنفوخة بكلمات غير مفهومة وبحركات تعبيرية تلم عن ليونة جسدية لطرح علامات مشوشة وكأن احد من تلك الاشلاء يشتمه لسبب ما حيث تجيبة الشخصية .

- احترم نفسك ... ولكن انا من ... من انا

- انا السيد وأبن السيد وأبن سيد

ثم يكسر هذه الحدة بأهزوجة شعبية معروفة ويرقص كعلامة تتميز بها نوعية الاداء في المونودراما من خلال مزج الغناء و الرقص والايماء لكي تعطي ايقاع متنوعا في شكل الصورة الجمالية للعرض المسرحي متوحدا مع سينوغرافية العرض وصورتة الانية فيحاول الممثل عبر هذه الاهزوجة ان يثير في المتلقي نفسا مشحونا بالمشاعر المتدفقة .

- دار السيد مأمونه ... دار السيد مأمونه

- ياملعونة يابطيخ ... هو يوم واحد وانتهى به كل سادات الارض ولم يبق سوى العبيد .

ولتأكيد هذا الضياع تصرخ هذه الشخصية وهي بحالة هلوسة حيث يستدعي بأداء شخصية اخرى منكسرة تحاول ان تدافع عن حقوقها دون فائدة من خيال او حلم او هلوسة حيث تلعب الاضائة الدور العلاماتي في تشكيل صورة مشوشة مع مصاحبة الموسيقى التي تسخر من هذه المهمة (اداة 14) .

- سيدي انا لا أملك أي اثباتات رسمية ... مثل هوية او شهادة جنسية ,, انا لم اكن

أملك الا ابي وكما تعرفون سيدي فأنا لا استطيع ان اضع ابي في محفظتي .

وهنا تتعامل شخصية (منو) مع كرسي المعوقين كعلامة على عوق العقل قبل الجسم حيث يحاول ان يدور كدلالة عن الانسحاق و الالم او هو يشبه بذلك الناعور الذي يدور بلا توقف .

- لقد صاروا كل شيء ... الحلم ... الضوء
- وصورة امرأة ... من هي ... هل هي زوجتي ... أمي ... عمتي ... خالتي ... جدتي .

وكلما كان هذا الكرسي يدور بحركة متصاعدة اعنف من التي قبلها يذكر اسما من اسماء اقاربة ثم يحركة الى مقدمة الخشبة ويسقط بعدها متوجع وبحركة سيمائية يقترب من الجمهور ويصل الى الصالة صارخا من الم الوحدة والم الحسرة على الوطن المذبوح محدثا الجمهور (أداة 6) .

- ارسم هذا الوطن فلا اجد مكان فيه .
- فأى وطن لايسع لمربع صغير بحجم ورقة صغيرة
- وطن للبيع ... من يشتري ... وطني مستعمل ... وطن مخروم الجوانب ... من يشتري ... وطن وجد في قميص في سوق البالات ... من يشتري وطن بثمن بخس .
- وهنا يصرخ بعلامات الغضب طالبا الخلاص من وطن أحتله الطغاة حيث ينادي (أشيلوس) رمزا للخلاص و الحرية .. هو يحب وطنة لكنه يرفض الاحتلال .

- أشيلوس ... اقتربي ... اقتربي ... اقتربي
- اقتربي مثل راقصة شرقية عذبتها ذكرى ايام الجوع ... وتريد بأردافها ان تضرب العالم وأن تنتقم .

وهنا في هذا الجو المشحون تتعالى علامات الضوء لتحيل المكان الى ساحة حرب حيث الاشارات بسيمائيتها الواضحة تحيل المكان الى سينوغرافيا ممزوجة مع وحدات المهمات المسرحية لتشكل مكانا في فضاء لامنتهي عبر تحليق الخشبة وأضلام جوانبة (أداة 4/3) ونغادر الى عالم سيميائي محلق مؤكدا وحدة البناء الواقعي من خلال أمتزاج الكتلتين التي علقت عليها الاكف البلاستيكية حيث يقوم الممثل علاء حسين بظربها وكأنها اشلاء تحاول ان تتنفس بعقب الحرية . وينزع الممثل عبر شخصيته لباسه الوحيد كعلامة سيميائية على ان اخلاص من بقاء روائح لم تعد صالحة ومن ثم تقفز هذه الشخصية على ظهر سفينة اشيلوس ويصرخ بأعلا صوته .

- هيا ابتعدي ... اقفزي عبر المتوسط .

ويتشظى الفهم السيميائي العلاماتي عندما يحاول ان يرصد الابواب المقفولة لكي تخرج من خلفها الحشود للخلاص حيث يدعوا الى كسر تلك الابواب .

- أفتحوا الابواب ايها السادة ... فلا يسع احدنا ان يسأل الاخر ... من أنت بل من أنا بل من أنتم .

- أفتحوا الابواب ايها السادة ... فقد لأميز ملامحي ... ليعرفوا من انا

- افتحو الابواب ... افتحو الابواب ... افتحو الابواب .

وفي محاولة للخلاص الاخير تتعالى الموسيقى محدث صوتا كالجلبة لتعني سيميائيا المغادرة ونهاية الصراع باتجاه النتيجة الحتمية للبحث عن هذا الخلاص وتحول الماضي المظلم الى حركة جديدة باتجاه أفق اخر وأبواب جديدة ستفتح بأرادة الانسان نفسه وليس بأرادة قوى خفية ملعونة .

أن أمتلاك جسد الفنان علاء حسين الليونة ساعدته على ضخ المزيد من العلامات من خلال احتكاكه بالمهمات المسرحية ، وهو عنصر فعال في انتاج العلامات في العرض المسرحي المونودرامي حيث يشكل الجسد علامة ذاتية مع انتاجه لعلامات اخرى متشعبة او مركبة او ايقونية او اشارية او رمزية او اسطناعية او طبيعية . هذه العلامات قادرة على حسم الموقف لصالح المعنى الدلالي لطروحات الشخصية المستدعاة وفي اختيار لحظة ومكان وأنتاج علاماتها (أداة 9) . ولتعطي سيميائيا صورة مشهد ذا ايقاع خاص شكله وحجمه ووزنه والفنان علاء حسين في هذه المسرحية اعطى حالات ايقاعية ابهارية قادت على احداث حالة التنبيه لمن في الصالة (أداة 5/4/2) وكذلك خفت وسلاسة الملابس التي كان يرتديها التي لم تشكل عبا على الممثل في سهولة استدعائه للشخصيات دون ان تشكل عائقا في التحول او تناقض علامات تلك الشخصيات والسرعة الخاطفة في استدعائها . حيث يكون الفرز صعبا لشكل صراعا خفيا بينها على صعيد الاداء بوجود ممثل واحد وعدة شخصيات (أداة 8) .

خامسا: مسرحية إني في الظلمة ابحت

تأليف وإخراج: عواطف نعيم

تمثيل: عزيز خيون/ عباس فاضل

مكان العرض: قاعة محترف بغداد 2005

تبتعد هذه المسرحية عن المسار الواقعي في طريقة عرض محتواها أو أسلوب إيصاله إلى النظارة.. لتحيلنا على مستوى آخر من الدراما المونودرامية المبني على التكوينات الرمزية سواء في الشكل أو المضمون أو الإيحاءات أو المجاورات التأويلية بين ما يطرحه الممثل من فكر وبما يقوم به من فعل مسرحي درامي لترجمته، فالشخصية التي يمثلها الفنان (عزيز خيون) تطرح مفهوم الحرية من خلال تساؤلات ويفترض في آخر الأمر الإجابة عنها مباشرة أو من خلال ردة فعل الشخصية الرئيسة نفسها صاحبة الأسئلة أو عند المتلقي من خلال استفزازه الدائم أو عند شخصية (قرين الشخصية الرئيسة) مثلها الفنان (عباس فاضل) والتي لا تتكلم طوال مدة العرض بل تقف مراقبة الحدث أو مراقبة الشخصية الرئيسة وعلى ما يصدر منها من أفعال أو تقوم بضرب الدف ليتناغم صوته أو إيقاعه مع تصرفات الشخصية الأولى المضطربة بجنون فقدان تلك الحرية والبحث عنها.. ملابس الممثل هي كذلك غرائبية لا تنتمي إلى الواقع فهي عبارة عن شريط من القماش الأبيض يلف جسده العلوي مع سروال أبيض يلبس في الأسفل،

ثيمة المسرحية هي (البحث عن الحرية) والسؤال هو اين؟.. هل في شقوق الصخر او حفر داخل الارض او في سطوح المنازل، وزوايا الغرف؟ بالتأكيد لا انه يبحث عنها في عقول البشر النائمة.. المخدرة التي لا تعلم ان الطوفان قد غمرها وهي في سباتها.

يدخل الفنان (عزيز خيون) الى ارض المسرح ولا اقول خشبة المسرح لان المكان الذي يمثل عليه ليس مسرحا بل عبارة عن بيت عادي يحتوي على اقواس كخلفية له مع مساحة للتمثيل لا تزيد عن ثلاثه امتار وامامها مساحة تضم المكان الذي يجلس فيه النظارة والذين لا يزيد عددهم على ثلاثين فردا.. يدخل الممثل الى مساحة التمثيل وهو يغطي كامل جسمه ووجهه بملابس الشبح.. حيث يبدأ (القرين) بضرب الدف الذي يمسكه طوال العرض وبطريقة هستيرية تنم عن انزعاج الشخصية الرئيسة في متاهة ما سوف تواجهه من متاهات في بحثها المضني عن الحرية والسؤال عنها.

يحاول الممثل (عزيز خيون) ان يعطينا احياءاً انه ليس ادميا بل شبعا اتي من مكان ما ربما من هناك من الدنيا الاخرى او من السماء او من تحت الارض. ثم يرمي هذا الغطاء الشبحي اذ يمسك بدف يضرب عليه هو الآخر وتتناغم إيقاعاته مع إيقاعات (القرين) كعلامة على التوحد او الوصول الى فكرة ما سوف يبدأ هنا عمل قريب او لتنشيط العلامات المتوارية محاولا فك اولى صورتها البصرية المؤسسة للعرض حيث يبدأ اولى خطوات البحث عن (الحرية) المفقودة من دون ان يعلن عن غايته للذين حوله ولكنه مجرد اعلان علامة عن فقدان شي ما سوف يصرح به.

- انا بحث- انتم ماذا تفعلون... تتظرون... لماذا... تتظرون الي... فانا ابحت

ولكنه يدخل في دوامة السؤال وحيرة الموقف- فيدور بجسده حول المكان ويسال:

- عن ماذا ابحت- ولكن ما شانكم- ابحتوا انتم ايضا- الا يوجد ما تبحثون عنه- الم يعد هناك ما تبحثون عنه

وفي اولى علامات الترابط بين الاداء السايكولوجي مع الاداء الراديكالي في شكل التنوع الادائي القائم على المزوجة بين الحوار الفصيح والحوار الشعبي يقطع الممثل تساؤله بعصبية من خلال حركة جسده القوية الصارمة وارتفاع وتيرة نبضة الصوت- اذ يقول:

خلاص-خلاص (بالعامية) يعني (كفى)

ويعزز هذا الترابط بين تنوع ادائي قائم على المزوجة بين الفكرة والمتعة وبين الابتعاد عن سيطرة الآخر وثبات ذات الممثل المهيمنة يحاول من خلال ثبات قدرته الادائية ان يسيطر على النظارة وجعلهم في حيرة مستمرة عندما يسألهم مباشرة عيونكم مفتوحة لتعرفوا عن ماذا ابحت فيقوم الممثل باداء اغنية شعبية معروفة

- اولي العيون- العيون- حلوات العيون- لو تدرون العيون- حلوات العيون وفي محاول الممثل كسر الحاجز بين الممثل والمتلقي يقفز بعلاماته في البحث عن حريته باشارك الفعل الدرامي بين المكان النصي ومكان الجمهور عندما يذهب اليهم ويجلس بينهم فيقول:

- اني امثلك كامل حريتي لأبحت عن حريتي- انا حر

ثم ومن خلال جسده المرن يقفز الى مكانه المسرحي والذي تحددت ملامحه من خلال ديناميكية اشتغال العلامة بفعل موجودات المكان المسرحي حيث صاغت حدوده الواقعية بفعل وجود المهمات المسرحية ذات الايقونة الحياتية الواقعية مثل (حب الماء) و(السجاجيد) و(جرار الماء) و(النخلة) الموجود أصلا في المكان نفسه وكذلك أعطت هذه الموجودات علامات اخرى وابعداً لا منتهية وخيالية بفعل تركيز الممثل المستمر على ضوء مصباح (السبوت لايت) الذي ينتصب في اخر المكان المسرحي للدلالة على لا محدودية المكان في فضاء منفلت الاركان والابعاد ومجسدا بعدا سينوغرافياً من خلال ترابط البيئة الاصلية وما ادخل عليها من اضاءة متكسرة على الجدران والاقواس والالوان الغامقة، اذ ساعدت الممثل على تحفيزه في الحركة بحرية عند تحوله من شخصية الى اخرى ومن نمط الى اخر او اداء الى ثانٍ او مكان الى اخر يقتضيه الموقف او الحدث، وعند وسط المكان المسرحي يصرح الممثل كمن لدغته افعى حيث يتحول الى حيوان سرعان ما يطلق اصواتاً كانحراف او الماعز فهو مقاد وبلا حرية الاختيار مثل المسخ لا يجد من يعيد حياته المسلوقة او حبه او الفته

- انا ابحت عن حريتي.. انا حر في البحث عما اشاء واشاء شا -شا انا شا وليست شاه

- انا قوي -متمرد- انا ثائر والشاة غير قادرة على ذلك

ومن هنا ومن خلال اداء سايكولوجي مفعم بالعلامات الرمزية القابلة للتاويل السياسي او الاجتماعي يقارن اوجه الشبه بينه كفرد ممسوخ احس انه على الهامش وبين الشاه باداء يوحي بالقول انه صحيح ليس كالشاه في الشكل ولكنه مثله يتصرف عندما يساق الى الذبح

- الشاة تقاد الى السلخ- ليس لديها قدرة على الاعتراض غير قادرة على التمرد- او الاحتجاج- اما انا- فانا ثائر

والممثل هنا عبر شخصيته المنكسرة يريد ان يقول او يعني عكس ذلك ولكي يبين انه كالشاه يتفرج على ذباجة من دون مقاومة اذ يزج الممثل بجسده في مكان ضيق محصور بين ضلعين في الحائط الخلفي ذى الاقواس كعلامة على الاستسلام او الخنق او السجن او القبر فيقول:

- انا حر انا ثائر- قادر على الثورة- انا ثور- ثور فالثور حيوان مقبول- احيانا يؤكل مطبوخا- اة مشويا ازو يقتل كما يحدث في مصارعة الثيران

وينتقل الممثل هنا الى استدعاء شخصية (مصارع الثيران) كما يحدث في حلبات هذا النوع من المصارعة في اسبانيا حيث يؤدي الممثل شكل هذه المصارعة وطريقتها بين الثور ومنافسه بطريقة كارتونية سريعة داخل حيزه المكاني ساخرا من هذه العلامة الاجبارية التي تقود بالآخر في النهاية الى الموت دون رغبته ودون سبب- ثم يسقط الممثل كما يسقط الثور - الثور يموت- يطعنونه بالسيف ثم يفرون- ويبقى هو غارقا بدمه- يجد النجاة بالموت

وهذه احدى العلامات التي حاول الممثل ان يصلنا بها عبر ادائه المتغير الواعي المستلهم من رجل على حافة الجنون او هو الجنون فالانسان المضطهد في ظل الانظمة القاسية هو كالثور قد يجد او يتمنى الموت سبيلا للخلاص او يبقى ثائرا مع ذلك يصارع الى اخر المطاف..وهو بذلك لا يتحدث عن نفسه كفرد ليس همه سوى الشكوى.. بل هو اتهام واضح لقيود المجتمع الخائبة المستسلمة عبر اداء ساخر او عصبي تارة او حزين تارة اخرى يحيل هذه الفردانية الى نهج نقدي للسلطة او رمزها السياسي وبطريقة ادائية فيها كثير من العلامات الايحائية والتاويلية والرمزية اذ يجسد الممثل جزءاً من ذلك من خلال محاولته تمثيل طرد الذباب من على جسمه بعصبية مفرطة موحيا ان اجسامنا وعقولنا قد غزاها واصابها(الفايروس) اذ يذهب الى جهة (السبوت لايت) ويقف امامه يواجه الضوء الشديد وكأنه يريد ان يضع جسمه وعقله تحت المجهر وانه لا سبيل الى الخلاص ما دامت هذه الجراثيم ملتصقة على الجسم والعقل..

ويبقى (القرين) يتابع ما يحدث من خلال حركته المستمرة حول المكان ليس الامن دون تدخل وكأنه يخشى ان تحيد الشخصية عن مراميها، وفي اداء ينم عن وعي يتقمص الفنان(عزيز

خيون) دون المجنون الذي اصابته لوثة مفاجئة او هلوسة عنيفة وهو اسلوب يعتمد على ممثل المونودراما (للهرب من الرقابة السياسية) في طرح ارائه المتعارضة وبمساعدة عناصر العرض مثل الموسيقى والاضاءة والوانها لتفعيل الدور او الشخصية للوصول الى مراميها الخداعية وهنا يلجأ الممثل من خلال استعادة سلوك الشخصية (المجنون) وصياغتها وفق رؤيته او ادائها بالطريقة التي يحددها اذ تتلائم علاماته مع علامات تلك الشخصية دون تصويرها فوتوغرافيا حتى يستطيع بعد الانتهاء منها الرجوع بسرعة الى شخصيته الاساسية دون ان تترك بصماتها عليها- وعند هذا الاداء لدور المجنون تهلوس الشخصية اذ تخطط عبر حوار مرتبك ومتلعثم مقصود بين الحرية والحرار عندما يزداد في هذيانه المفاجيء فيقول:

- امنحك الحرية في البحث- اشعر بها في عيونكم وانا البحث -فتنا حر في البحث
- انتم احرار في البحث
- انا حر في ما اريد
- حر.. حر... حر... حمار

وبحركة مجنونة يضرب بيده ورجله الارض ويقفز كم اصابته لوثة ثانية سريعة ثم يستند على الحائط ويصرخ:

- لا -لا -لا
- انا لست حمارا
- ولن اسمح بان احمل اكثر من طاقتي

ويعني الممثل بادائه الساخر من خلال هذا التناقض ايصال علامات واضحة في طبيعة اللقاء الحوار نفسه بانه ليس حماراً ولكنه قي الاخر حمار من نوع ثانٍ(حمار على شكل انسان) لا يسمح بحمل طاقة اكثر من قابليته وبذلك اعتراف بانه حمار من نوع ثاني ضاربا قوله المتناقض بانه(ليس حمارا) عمل اكثر من طاقته وللخروج من شخصية المجنون او الذي اصابته لوثة يعتمد الممثل الى فترة طويلة من (الصمت) ربما لفرز الشخصية او اجبارنا على التأمل باحكام- ثم وبدون سابق انذار يفاجئنا بخروج علامة لفظية هادئة اعادت السكونية للشخصية الرئيسة من جديد اذ يقول باللهجة الشعبية مستنكرا من جديد مقارنته بالحمار كحمار.

- هزلت هاي العائزة

ثم يعود الممثل مرة اخرى ويضعنا في الدوامة من جديد ويجعلنا ننتهي في متاهة السؤال من دون جواب، اذ يزداد نبض العرض فيلجأ الممثل الى مزوجة بين اختراق ايقاع العرض المصنوع سلفا وبين الايقاع الجديد المستحدث من قبله والذي يتحكم بزمناه من خلال زمن فعله

وحركته قادرا على التحكم بمنظومته متى شاء واين يتعامل وكيف مع تلك العلامة او غيرها وفي حيزها المختار او المرتجل واسلوب بثها الحر ومن عرض الى اخر وبطريقة قد تكون مختلفة وحسب الاحتياج وطبيعة العرض ومزاجه وحضور الجمهور سواء كان من ناحية العدد او الوعي وحسب ظروف تحكمه الانني على المنصة او ارتجاله العلامة الجديدة او ارتجاله اسلوب طرح العلامات القديمة.

- انا حر في البحث وانتم احرار- تريدون ان تعرفوا عما ابحت.. خمنوا؟ فكروا؟
وفي اداء جسدي رصين يدور الممثل حول نفسه كالمكانة بطريقة سريعة مستخدما مفردة واحدة (-عن-عن-عن) كانه ثور يدور حول ساقيه او محرك سيارة لا يعمل- ثم وفجأة يتوقف عن الدوران يصمت طويلا في اختيار زمن الاداء القادم او محاولة لكي يستوعب المشاهد ماذا جرى قبل ذلك ثم بعد هذا الصمت يعود مرة اخرى ويشغل افكارنا بمعاودة السؤال:

- عن ماذا ابحت

- اجيبوا

- لا تدعوا البراءة

- انتم شغلتموني

- مسحتم ذاكرتي

ثم يعود صوت الدف الى (القرين) و يضربه مزاجا مع حركة الممثل وشخصيته الرئيسة لكي يعطينا علامة على انه أي (القرين) مازال موجودا وانه يراقب الموقف عن كثب- ثم ينتقل الممثل باداء هاديء الى موضوع اخر غير المقارنة بالحيوانات حيث يتناول موضوع فقره وملابسه البسيطة وشغف عيشه اذ يقول:

- انا والحمد لله لا املك جيوبا.. ومن اين تاتي النقودي

- ها- باصرني (بالعامية) اي (انظر اليّ)

ثم وبطريقة سريعة تتم عن نرفزة مفاجئة ينتقل من ادائه الهادي الى اداء سريع وعصبي اذ يدخل الممثل بجسده مرة اخرى في شق الحائط الضيق بين ضلعين محصورا حد الاختناق ثم يقول:

- انا حر في الوقت- من الاصدقاء- من الزمن- حر من الحرية- فانا في منتهى الحرية

وفي اداء هذا الحوار الذي يحاول الممثل ان يلقيه بصعوبة نتيجة ضيق المكان وبصفة ساخرة يحاول ان يعطينا علامات معاكساً لما يوحي به معنى الحوار السالف- أي انه ليس لديه حرية ان يقول ما يشاء فهو ليس في منتهى الحرية بل هو فاقدها تماما.. وبعد ذلك يحاول الممثل ان يقفز من شقه الضيق المرتفع بصعوبة على الارض حيث يكسرفى اثناء هذا السقوط

(جرة ماء) وكأنه يريد ان يعطينا عبر هذه العلامة المتحولة من جرة كاملة الى اخرى متشظية وبفعل حركة حريته بانها عبارة عن أي شيء يكسر في أي لحظة ومتى ما شاء من يريد كسرهما- فالشق هو السجن الذي يرادف كعلامة جرتة المكسورة- هنا سجن وهناك قمع فهو شريف لا يقبل المهانة والتي تعني السقوط الاخلاقي فالسراق يكبرون لانهم مرتشون و (حرامية).

- النمنمات تحتاج الى رشوات

- ولكن يكفي انا موجود كائن بشري موجود

ولكي يؤكد هذه العلامة الحسية اللفظية يذهب الى (حب الماء) فيغسل جسمه كعلامة على الطهارة فتمتزج قطرات الماء مع ضوء الـ(سبوت لايت) الشديد فيصبح المنظر وكأنه فيضان من المطر اذ تبتل ارضية المسرح فتصبح برائحة الطهارة المغسولة من (فيروسات الزمن المر) ثم يستعيد قوته الى خارت ويعيد السؤال:

- فكروا عن ماذا كنت ابحت

- اجيبوا ايها المراقبون

وهنا يحاول (القرين) ان يشرب الماء من الجرة ولكنه يجدها فارغة علامة على التوحد بينه وبين عطش الشخصية الرئيسة وما يحس به من خواء وضياح وفي حركة ادائية سريعة اشبه بانه قد مر بحلم جميل يحاول ان يمسك بكلتا يديه طيفا او شبعا او شيئا ما حيث يقفز في الهواء باحثا عنه ولكن لا جدوى حيث تخور قواه مرة اخرى

- با الهي اكاد امسك بها بكلتا يدي

ولكنه يفشل لانه وحيد والباقون متفرجون ليس الا فاليد الواحدة لا تصفق وهو مجرد فرد لا اكثر ولا اقل.. وفي غمرة يأسه من هذه الفرقة والانحلال يختم المسرحية بطرحه علامة مؤثرة عندما يتهم (الاخرون) الكل- المجتمع- السياسيون اهل الحكم بانهم وراء فقدان تلك الحرية فهي شيء عظيم صعب المنال ولا تؤخذ بالهين.

- الان كلكم اذان صاغية وعيونكم مفتوحة

- كنت ابحت عن

- عني.. هل وجدتم عني...

ثم يضع الجميع في متاهة ثانية غير الاولى- فيعطي علامة لفظية مغايرة لمفردة (النتيجة).

- انها النتيجة- كنت ابحت عن -عن

- الان كلكم اذان متضخمة- وعيونكم مفتوحة

- كنت ابحت.. عن

واخيرا يصل الى مبتغاه عندما يثور وبحركة سرعة حول المكان المسرحي وفي شدة ادائه المتوتر يصرخ كمن اصابه مس من الجنون يكيل الاتهام الى النائمين المخدرين الذين لا يعرفون معنى البحث عن الحرية والانعقاد من الظلم.

- ابحثوا جميعا ايها الصامتون- المراقبون
- المخدرون بالخوف
- ابحثوا قبل ان نضيع- قبل ان نتلاشى
- قبيل ان نتحول الى لا شيء

ثم وفي لحظة يغادر مكانه المسرحي دون ان يعرف الاجابة عن اسئلته ضاربا على الدف مع قرينه منسحبا الى غرفته المظلمة المجاورة.

الفصل الرابع

- تحليل النتائج ومناقشتها.
- الاستنتاجات
- التوصيات
- المقترحات

عرض النتائج ومناقشتها

من خلال مناقشة عينات البحث وتحليلها يمكن تلخيص النتائج التي توصل اليها الباحث بالنقاط الآتية:

1- تتطلق العلامة بفعالية وديناميكية في العرض المونودرامي لتكون مركزا بؤريا على الخشبة من خلال تداخلها بخصوصية اداء الممثل وتحريرها الخشبة من جمودها وسكونيتها.

2- تتناوب العاطفة والعقل في الهيمنة على اساليب الاداء المسرحي المونودرامي اذ يشكلان الاساس للفعل الداخلي للممثل والذي يظهر ادائيا على الصوت والجسد، فبروز العاطفة يعني ان الاداء يكون نفسيا، وعندما يهيمن العقل والوعي يبرز الاداء التشخيصي كما حدث مسرحية النهضة حيث ان شخصية صبيحة وأستسلامها في بدايه العرض ومن ثم يقضتها في اخره ورفضها الخنوع وأستخدامها الازوجة الشعبية للتعبير عن سخطها لما حدث ويحدث .. أو كما حدث في مسرحية (ياطيور) حيث خيبة الامل التي تعيشها شخصية المواطن في بداية العرض وثورته وهو فوق المربع الخشبي في نهاية العرض ليفضح بصوت عالي كل المزايد على الوطن

3- انطلاق الذات وهيمنتها على سلطة الاخر من خلال فهم واعى في ايجاد اليات استدعاء الشخصيات بادراك معنى زمن الانتقال من شخصية الى اخرى وفترة المكوث فيها خلال تجسيدها .. وهذا ماحدث في مسرحية (أني في الظلمة أبحث) حيث تنتقل الشخصية التي يمثلها (عزيز خيون) من شخصية الى أخرى طارحا علامات لزمين يدرك معناه الممثل عزيز في سرعته الخاطفة وفهم واضح للمكوث داخل تلك الشخصية حيث الرجوع و التقدم العلاماتي لفرز خصائصها المتفردة .

4- تكمن طاقة الممثل الادائية الصوتية والجسدية في انتاجه لعلامات شخصياته من خلال توظيفه تقنيات العرض المسرحي المونودرامي لبناء الحالة الشعورية لتحقيق الاندماج المتوازن من عدمه .. وهذا في جميع عينات البحث .. حيث تشكل المهمات المسرحية وتقنيات المسرح (موسيقى , أنارة , ازياء) علامات مهمة لتحقيق بناء الشخصية الشعوري وأختيار الاسلوب في التعامل معها سواء كان بالاندماج أو الفصل عنها .

5- ينشأ اسلوب الاداء المنوع في المونودراما من خلال ترابط انماط الاداء وفعاليات الرقص والغناء والايماء ، الذي حتمته جدلية وجود ممثل واحد وعده شخصيات مما اقتضى حل اشكالية طول السرد والتكرار .. وهذا ماحصل في مسرحية (ياطيور) حيث يقوم

الممثل محمود أبو العباس بالغناء و الرقص و الايماءه وكذلك مزج الحوار الشعبي مع الفصيح للمتعه وكسر الملل .. وكذلك في مسرحية (أني في الظلمة بحث) حيث يقوم الفنان عزيز خيون بالغناء ومزج الحوارين للسبب نفسه ونفس ذلك في مسرحية (النهضة) وأيضا مسرحية (عودة أشيلوس) .

6- يتميز الاداء في العروض المونودرامية بالايقاع المتواتر (السريع) في شكل استدعاء الممثل علامات السلوك الانساني المتكرر للشخصيات وبزمن قياسي مناسب مما حتم خلق الجو المهيأة لاستقبالها بالسرعة الممكنة وصياغتها على وفق رؤيته المسبقة والانية .. وهذا ملاحظناه في جميع عينات البحث .. حيث الايقاع السريع المتواتر لحركة الممثل لاسيما في مسرحية (عودة أشيلوس) ومسرحية (الاحدب) حيث السرعة الايقاعية في أداء علاء حسين وقدرته الجسمانية على توضيف ايقاع في خدمة البث العلاماتي .. وكذلك شخصية الاحدب للممثل عبد الخالق المختار وأنتقالة السريع بين ارجاء الخشبة .

7- تتطلق خصوصية اداء الممثل(الذات الماثلة بالجسد) باستعادة علامات السلوك الانساني للآخر(الشخصية المنشقة عن ذات الممثل) ولكن ليس على حساب غياب الوعي (الادراك الذهني والحسي الانبي) واللاوعي عنده (الصور والعلامات المخزونة في اللاشعور) باتجاه الحضور الخيالي او المثالي للشخصية فوق الخشبة .. تمثل جميع العينات قدرة الممثلين المونودراميين فيها على الوعي بالحدود المادي و الذهني لذاتهم .. والاحساس بأنهم مفتاح مهم لأستداع ذوات أخرى متخيلة ممزوجة بالتقاء علامات اللحظة الماثلة على الخشبة مضاف اليها ما يختارة ذات الممثل من علامات في باطنة الاشعوري .

8- يعمد الممثل في العروض المونودرامية مبدا التنوع العلاماتي في تكوين نماذج شخصياته على شكل دمي او تكوينات خشبية على هيئة انسان او حيوان لكسر حاجز الملل الذي قد يحدث بفعل وجود ممثل واحد يسرد مطولا على الخشبة .. وهذا ما حدث في العرض المونودرامي عودة أشيلوس حيث استخدم الممثل علاء حسين في أكثر من موقع العصي للتعبير عن رفض هذا الواقع و الثورة عليه والتعبير عنها وكأنها اسلحة وكذلك في شخصية الاحدب حيث يقوم الفنان عبد الخالق بتمثيل الموت في اخر العرض بأستخدامة التابوت كعلامة لرفضه الواقع المريض .

9- يعتمد استخدام مساقط الضوء الجانبية بدرجات ينشأ خلالها ظلال الضوء المنسحب خلف جسد الممثل وموجوداته بامتدادات وأشكال ثلاثية ورباعية او اكثر او اشكال غير منتظمة لاستخدامها في اداء المشاهد الخاصة (هلوسة، احلام، محاكمات الضمير او الرعب) ، وهذا ماشاهدناه في العرض المونودرامي الاحدب حيث تبدأ مساقط الاضاءة الارضية و الجانبية بتركيز الضوء على شخصية الاحدب لاتمام عملية قتل الجنرال حيث يتضخم جسده من الخيال المرعب له وبروز الحدة وكأنها نتوء ضخم يمثل هيمنة مطلقة على شخصية الجنرال .

الاستنتاجات

- 1- لا يمكن لاي عرض مونودرامي ان ياخذ مداه الدرامي الفكري او الامتاعي من دون احتوائه على كم من العلامات المنتجة (القصدية والمرتبلة) من خلال اداء الممثل مع موجوداته او عناصر العرض الماثلة على الخشبة وخارجها.
- 2- غالبا ما تكون علامات الممثل هي المهيمنة على علامات الشخصية لذا فان اداء الممثل في المونودراما يختار بين ان يتنازل او يركن علاماته جانبا وابرار علامات الشخصية لحين انتهاء العرض او يعمل توافقاً بين علاماته وعلامات شخصيته وهذا ما حتم ايضا عدم تصوير الشخصية فوتوغرافيا بل الاشارة اليها فقط.
- 3- انتاج العلامة في العرض المونودرامي يحتاج لممثل على علم بانماط الاداء وخصوصيتها لاسيما النفسي والرايكيالي حتى يستطيع ان يوظفهما في التعامل مع محيطه سواء على الخشبة او الصالة وذلك للتنوع العلاماتي وكسر حالة الملل السردى الطويل.
- 4- طبيعة الفعل الدرامي وجهده في المونودراما تتطلب من الممثل كونه وحيدا طوال مدة العرض استثمار طاقته الجسدية والصوتية وتنميتها في التدريبات الشاقة حتى يستطيع مواصلة زمن العرض والامتع والتنوع ومعرفته بفعاليات الموسيقى والرقص والغناء .
- 5- ضرورة ان يوفر الممثل في المونودراما طاقته في العمل بمسارح صغيرة ذات خشبة بسيطة لكي لا يبذل جهداً في حركته المجهدة، وحتى يكون مسيطرا على موجوداته داخل حيزه المختار مما يسمح له بتوزيعها على وفق نسق حركته او التماس معها.

- 6- للموسيقى والمؤثرات الصوتية والاضاءة وكل عناصر العرض قدرات على جعل اداء الممثل متمكنا من اقتناص فترات راحة اثناء الفعل الدرامي المتواصل او تغيير المشاهد او انشاء اساليب خداعية من خلال الهلوسة او الحلم او الخيال.
- 7- نجاح العرض المونودرامي قائم على احتواء الخشبة موجودات ذات احجام صغيرة وسهلة الحمل وذات قابلية للتحويل العلاماتي في اشكالها وفكرتها والاستغناء عن الكتل الديكورية الكبيرة والتي لا تمثل الا منظرا لا تشكل في جوهرها تغيرا علاماتيا مهما.
- 8- كلما كانت عناصر العرض من ازياء ومهمات مسرحية وقطع ديكورية واضاءة بسيطة في التشكيل زادت فرصة نجاح استدعاء وانتقال الممثل من شخصية الى اخرى.
- 9- العلامات الارتجالية بجانب العلامات القصدية سمة مهمة في الرؤية الادائية لعمل الممثل في المونودراما لانها تعطيه القدرة على الاكتشاف والابتكار بما يخدم اهداف العرض واللحظة الانية وعلاقتها مع متطلبات المشاركة مع الجمهور داخل الصالة.

التوصيات

- 1- اقامة المهرجانات المحلية والعربية الخاصة بالمونودراما.
- 2- ضرورة تدريس طرائق الاداء في معاهد وكليات الفنون الجميلة ولاسيما اساليب الاداء في المونودراما كونه يتميز بخصوصية وجود ممثل واحد يستدعي مجموعة من الشخصيات المختلفة الاداء طوال العرض.
- 3- ضرورة القيام والمشاركة بدورات داخل العراق وخارجه لغرض زيادة المعرف لهذا النوع من العروض.
- 4- التاكيد على درس الصوت واللقاء لاهميته في العرض المونودرامي بالذات لاحتوائه ممثلاً واحداً يجسد عدة شخصيات بالوان صوتية وجسدية مختلفة الاشكال.
- 5- يوصي الباحث تدريس الارتجال لاهميته للممثل في المونودراما لكي يكون منفذا مهما في تخصصه في حالة وقوع الخطا الانبي على الخشبة كنسيان الحوار او الحركة وكذلك اهميته في احتمالية استحداث علامات ارتجالية تؤكد العلامات الاساسية في العرض او تدعيمها.
- 6- يوصي الباحث تدريب الممثل على الرقص والغناء والموسيقى لانها تشكل علامات مهمة في العرض المونودرامي يتخذها الممثل لكي يتنوع في ادائه اضافة الى كونها شكلاً من اشكال كسر التكرار والملل السردى للعرض.

- 7- ضرورة تدريس التحولات العلاماتية للممثل في المونودرامي من خلال تكليفه بتجسيد عدة شخصيات في وقت واحد واختيارها من الحياة العامة (شحاذا - قصاب - مومس - قواد - ثمل - مجنون) وكتابة تقارير نفسية تفسر حالتهم السلوكية والنفسية ودراستها نظريا وتطبيقيا.
- 8- القيام بزيارات لاماكن تتواجد فيها نماذج لشخصيات تحمل علامات جاهدة واصلية داخلها (مستشفى المجانين - المعاقين دور العاهرات) وذلك لكي تكون خزيننا داخل ذاكرة الممثل بشكل عام وممثل المونودراما بشكل خاص لاحتياجه المستمر لانماط مختلفة من الشخصيات في العروض المونودرامية.
- 9- ضرورة التمرين المستمر من ممثل المونودراما (الرجل) على استدعاء العلامات الصوتية والجسدية للشخصيات النسائية وتطويعها وبالعكس لوجود التناقضات الفسيولوجية بينهما.

المقترحات

- 1- ضرورة اهتمام الباحثين من طلاب الماجستير والدكتوراه من خلال بحوثهم دراسة موضوع العلامات والاداء والاخراج وعناصر العرض والتلقي في العروض المونودرامية.
- 2- يقترح الباحث دراسة سيميائية اداء الممثل بين رؤى المخرج والمؤلف.
- 3- يقترح الباحث دراسة مقارنة بين العرض المسرحي التقليدي والعرض المسرحي المونودرامي.
- 4- دراسة اهمية العلاقة بين اداء الممثل والعلامة في العرض المونودرامي وكيفية انشاء العلامة وبثها واهميتها في اصفاء الجوانب المعرفية والامتاعية لهذا النمط من العروض.

الملاحق

ملحق (1)

يبين عدد العروض المسرحية المقدمة من 1995-2009 التي انتجتها الفرقة القومية للتمثيل

ت	اسم المسرحية	المؤلف	المخرج	سنة العرض	مكان العرض	الممثل
1.	الجنون	قاسم مُجّد	قاسم مُجّد	1996/5/22	مسرح الرشيد	حامد خضر
2.	منقار من حديد	سعدون العيدي	سعدون العيدي	1996/5/23	قاعة الشعب	خالدة مجيد
3.	من يشتري	عدنان شلاش	احلام عرب	ايلول 1997	منتدى المسرح	لبوة
4.	يا طيور	عواطف نعيم	عواطف نعيم	1997	مسرح الرشيد	محمود ابو العباس
5.	النهضة	عباس الحربي	عباس الحربي	1997	مسرح الرشيد	عواطف السلطان
6.	بياض الظل	ضياء سالم	فلاح ابراهيم	2000/11/10	المسرح الوطني	يحيى ابراهيم
7.	البريد الجوي	معاذ يوسف	عادل طاهر	2001/4/3	مسرح الرشيد	غانم حميد
8.	امسية صامئة للشيخ الصامت	طلال هادي	طلال هادي	2001/11/6	منتدى المسرح	طلال هادي
9.	الاحدب	علي حسين	فلاح ابراهيم	2002/5/22	مسرح الرشيد	عبد الخالق المختار
10.	عوده اشيلوس	مثال غازي	عماد مُجّد	2004/3/27	المسرح الوطني	علاء حسين
11.	ارجوحة الزمن الضائع	منهل الهاشمي	محسن العزاوي	2004/3/31	المسرح الوطني	بتول عزيز
12.	هم	يحيى ابراهيم	يحيى ابراهيم	2004	المسرح الوطني	يحيى ابراهيم
13.	التقدم الى الوراء	عقيل العيدي	علي رضا علي	2004/3/25	المسرح الوطني	عدنان الحداد
14.	ان اوان الصفح	جمال الشاطي	ستار خضير	2005/5/8	المسرح الوطني	ستار خضير
15.	منو	مثال غازي	يحيى ابراهيم	2005	المسرح الوطني	يحيى ابراهيم
16.	انا في الظلمة ابحت	عواطف نعيم	عواطف نعيم	2005	قاعة محترف بغداد	عزيز خيون

ملحق (2) الاداة بصيغها الاولى

ت	الفقرة	تصلح	لا تصلح	التعديل المقترح
1	تعمق العلامة الفعل الدرامي وتساهم في تنشيط الذهن لفك الصورة البصرية المؤسسة في العرض.			
2	تثقل العلامة العرض المسرحي المونودرامي من اساليبه الجامدة الى اخرى ديناميكية.			
3	تساهم العلامة في العرض المونودرامي على تعيين الفضاء المسرحي، شكله، حجمه، حدوده الوهمية والواقعية.			
4	العلامة تساهم في تكوين الشكل الجمالي والدلالي للمكان المسرحي (التقليدي والحر) وتحفز على تحوله من نمط إلى آخر.			
5	العلامة في النص متخيلة ونسبية من شخص إلى آخر وتتميز بالسكونية، بينما في العرض هي واحدة لكل النظارة.			
6	تتجاوز العلامة في المونودراما حدود المكان المنصي إلى مكان الجمهور ومن ثم إشراك الفعل الدرامي (الحسي والذهني) بين الخشبة والصالة.			
7	تساعد العلامة على تفعيل الخيال في استحداث علامات جديدة ومتنوعة لدى الممثل في المونودراما.			
8	العلامة في المونودراما بين الممثل الإنسان (الذات) والشخصية المتخيلة (الآخر) تشكل صراعا خفيا بينهما على صعيد الأداء بوجود ممثل واحد وعدة			

			شخصيات.
9			الممثل في المونودراما هو من يقرر زمن وإيقاع الفعل وعلاماته، واختيار مكانها ووقت حدوثها.
10			يركز الممثل في المونودراما بأدائه على التقليل من الضغط النفسي، باعتبار أن الشخصيات المستدعاة، وكل الموجودات على خشبة هم ممثلون وهميون.
11			الزمن في المونودراما هو زمن نفسي في الماضي يساهم في حركة وأداء الممثل لتجاوز قيود المجتمع وأحكامه فهو (يحلم، يهلوس، يتخيل).
12			الممثل في المونودراما يعمل على كسر ملل السرد من خلال التنوع العلاماتي في تكوين نماذج خشبية على شكل دمي، أو حيوانات، أو غير ذلك.
13			الممثل في المونودراما عبر أدائه يحيل فردانيته إلى نهج نقدي للجمع.
14			يعتمد إنتاج العلامة في أداء الممثل في المونودراما على الموازنة بين عناصر العرض وموجوداته (توزيعها، أحجامها، ضرورتها).
15			يستدعي الممثل شخصياته بواسطة: الحلم، الهلوسة، الخيال، وبمساعدة: الإضاءة، اللون، الموسيقى، المهمات المسرحية، على إنشاء أساليب خداعية لإتمام هذه المهمة.
16			يعتمد الممثل بأدائه في المونودراما استعادة علامات السلوك الإنساني للشخصية المتخيلة، وصياغتها وفق رؤيته.

			17	يعتمد الأداء في المونودراما الإشارة إلى الشخصية لا تصويرها فوتوغرافيا.
			18	يعتمد الممثل في المونودراما التنوع الأدائي وتداخله: الطبيعي، والراديكالي، لخلق المتعة والتواصل.
			19	يعتمد الممثل في المونودراما الارتجال العلاماتي المنظم، بما يحقق له فرصة استحداث علامات جديدة، ومحركة، تضيف للعمل متعة آنية، ذهنية وحسية.

ملحق (3) الاداة بصيغها النهائية

ت	الفقرة	غالبا	أحيانا	نادرا
1	تعمق العلامة الفعل الدرامي وتساهم في تنشيط الذهن لفك الصورة البصرية المؤسسة في العرض.			
2	تنقل العلامة العرض المسرحي المونودرامي من أساليبه الجامدة إلى أخرى ديناميكية.			
3	تساهم العلامة في العرض المونودرامي على تعيين الفضاء المسرحي، شكله، حجمه، حدوده الوهمية والواقعية.			
4	العلامة أ- تساهم في تكوين الشكل الجمالي والدلالي للمكان المسرحي (التقليدي والحر) ب- تحفز على تحوله من نمط إلى آخر.			
5	العلامة في النص متخيلة ونسبية من شخص إلى آخر وتتميز بالسكونية، بينما في العرض هي واحدة لكل النظارة.			
6	أ - تتجاوز العلامة في المونودراما حدود المكان المنصي إلى مكان الجمهور ب- إشراك الفعل الدرامي (الحسي والذهني) بين الخشبة والصالة.			
7	تساعد العلامة على تفعيل الخيال في استحداث علامات جديدة ومتنوعة لدى الممثل في المونودراما.			
8	العلامة في المونودراما بين الممثل الإنسان (الذات) والشخصية المتخيلة (الآخر) تشكل صراعا خفيا بينهما على صعيد الأداء بوجود ممثل واحد وعدة شخصيات.			
9	الممثل في المونودراما هو من يقرر زمن وإيقاع الفعل وعلاماته، واختيار مكانها ووقت حدوثها.			
10	يركز الممثل في المونودراما بأدائه على التقليل من الضغط النفسي، باعتبار أن الشخصيات المستدعاة،			

			وكل الموجودات على الخشبة هم ممثلون وهميون
11			الزمن في المونودراما هو زمن نفسي في الماضي يساهم في حركة وأداء الممثل لتجاوز قيود المجتمع وأحكامه .
12			الممثل في المونودراما عبر أدائه يحيل فردانيته إلى نهج نقدي للجتمع.
13			يعتمد إنتاج العلامة في أداء الممثل على الموازنة بين عناصر العرض وموجوداته (توزيعها، أحجامها، ضرورتها).
14			يستدعي الممثل شخصياته بواسطة: الحلم، الهلوسة، الخيال، وبمساعدة : الإضاءة، اللون، الموسيقى، المهمات المسرحية، على إنشاء أساليب خداعية لإتمام هذه المهمة.
15			يعتمد الممثل بأدائه في المونودراما استعادة علامات السلوك الإنساني للشخصية المتخيلة، وصياغتها وفق رؤيته.
16			يعتمد الأداء في المونودراما الإشارة إلى الشخصية لا تصويرها فوتوغرافيا.
17			يعتمد الممثل في المونودراما التنوع الأدائي وتداخله: الطبيعي، والراديكالي، لخلق المتعة والتواصل .
18			يعتمد الممثل في المونودراما الارتجال العلاماتي المنظم، بما يحقق له فرصة استحداث علامات جديدة، ومحركة، تضيف للعمل متعة آنية، ذهنية وحسية.

ملحق (4)

السادة الفنانون والمهتمون بالمرح ممن شاهدوا العرض الاستطلاعي (اما-او) واستبينوا على فقرات المشاهدة في الاستمارة الخاصة بالاداة وثباتها.

1. د. هدى هاشم الربيعي - استاذ.
2. د. حيدر جواد العميدي - استاذ مساعد.
3. د. عبد الوهاب الخطيب - مدرس.
4. د. محمد عباس حنتوش - مدرس.
5. د. معتمد مجيد حميد - مدرس.
6. د. اياد السلامي - مدرس.
7. د. فلاح قاسم عجيل - مدرس.
8. د. احمد عبد الامير - مدرس.
9. فارس شرهان - مدرس مساعد - طالب دكتوراه.
10. امير هاشم عبد العباس - مدرس مساعد - طالب دكتوراه.
11. علي رضا - مدرس مساعد - طالب دكتوراه.
12. زيد ثامر - مدرس مساعد - طالب دكتوراه.
13. رقية وهاب مجيد - مدرس مساعد - طالب دكتوراه.
14. احمد محسن كامل - مدرس مساعد - ماجستير فنون مسرحيه.
15. محمد الحربي ممثل - مخرج - مؤلف - ماجستير تربيه مسرحيه.
16. ياسر البراك - مدرب فنون - طالب ماجستير.
17. ثابت رسول - مؤلف مسرحي - طالب ماجستير.
18. علي عبد الحسين الشيباني - ممثل - مخرج - طالب ماجستير.
19. حسن كاظم الغبيني - معلم - ممثل - مؤلف - مخرج مسرحي.
20. احمد خليل ابراهيم ممثل - مخرج - بكوريوس فنون مسرحيه.

جامعة بابل
كلية الفنون الجميلة
قسم الفنون المسرحية
الدراسات العليا

م / استطلاع آراء الخبراء

الخبير الأستاذ الدكتور () المحترم

تحية طيبة :

يروم الباحث إجراء الدراسة الموسومة (سيميائية أداء الممثل في العرض المسرحي المونودرامي) من خلال رصد التأثيرات العلامية لأداء الممثل في العرض المسرحي المونودرامي بوصفه مُنتجا للخطاب المسرحي الرئيسي ومشكلا العلامة المركزية في الخطاب الشامل الذي تتدرج فيه خطابات: النص، الأداء التمثيلي، الوحدة السينوغرافية من منظر وإضاءة وأزياء، وكذلك الموسيقى والمؤثرات السمعية. ومن أجل تحقيق ذلك، وكشف آلية الاشتغال، عمد الباحث القيام بإجراء عينة استطلاعية يتحقق من خلالها اشتغال أدواته التي يروم استخدامها في التحليل، والتي تم استنباطها من مؤشرات الإطار النظري. ولما يعهده فيكم من خبرة ودراية وعلمية يتوجه الباحث بتقديم الاستبيان المرفق طيا لحضرتكم لغرض الاطلاع عليه وتدوين ملاحظاتكم السديدة على فقراته خدمة للبحث. شاكرين تعاونكم وستكون ملاحظاتكم دعما للبحث العلمي.... ومن الله التوفيق.

ملاحظة: الاستبيان المرفق بعد اطلاعكم عليه وإبداء ملاحظاتكم العلمية سيقوم الباحث بتوزيعه على نخبة من الأساتذة والفنانين المختصين أثناء العرض الذي أنتج خصيصا من قبل الباحث لأغراض هذه الدراسة، لتكون نتائج هذا الاستبيان مجسدا علميا لاستكمال إجراءات بحثنا. سائلين المولى رعايته في إتمام البحث.

الباحث

سامي محبس حسن الحصناوي

المراجع و المصادر

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المعاجم والموسوعات والقواميس

القرآن الكريم صورة الفتح - 29

1. بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، ج1، قم، منشورات ذوي القربى، 1427هـ.
2. البعلبكي، منير، المورد، بيروت، دار العلم للملايين، 1982.
3. تيلر، جون رسل: الموسوعة المسرحية، ت: سمير عبد الرحيم، بغداد، دار المامون، 1990.
4. تشاندلر، دانيال، معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات، ت: شاكِر عبد الحميد، القاهرة: أكاديمية الفنون، 2002.
5. الجلي، سمير عبد الرحيم، معجم المصطلحات المسرحية، بغداد، دار المامون للترجمة والنشر، 1993.
6. حمادة، إبراهيم، معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، القاهرة، دار الشعب، 2000.
7. ديكر، أوزوالد وجان ماري شافير: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ت: منذر العياش، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2007.
8. الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، بيروت: دار القلم، ب.ت.
9. الشريف الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، بيروت: مكتبة لبنان، 1978.
10. علوش، سعيد: المصطلحات الأدبية المعاصرة، الدار البيضاء: المكتبة الجامعية، 1984.
11. عناني، محمد، المصطلحات الأدبية الحديثة، بيروت، مكتبة لبنان، 1996.
12. معلوف، لويس: المنجد في اللغة، طهران، دار انتشارات اسلام، 1996.

ثانياً- المصادر العربية

13. استون، الين وجورج سافونا: المسرح والعلامات، ت سباعي السيد القاهرة، وزارة الثقافة، المهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، 1996.
14. أرسطو طاليس: فن الشعر، ت: عبد الرحمن بدوي، بيروت: دار الثقافة، 1973.

15. الخطابة، ت: عبد الرحمن بدوي، بغداد: دار الرشيد للنشر، 1980.
16. كتاب النفس، ت: احمد فؤاد الاهواني، القاهرة: دار احياء الكتب العربية، 1949.
17. العبارة، شرح الفارابي لكتاب ارسطو في (العبارة)، تحقيق: وللهلم كوتش اليسوعي وستانلي مارو اليسوعي، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1960.
18. اوزياس جان، ماري واخرون: البنوية، ت: ميخائيل فحول، دمشق: منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، 1972.
19. ايلام، كير: سيمياء المسرح والدراما، ت: رثيف كرم، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1992.
20. ايرليخ، فيكتور: الشكلانية الروسية، ت: الوالي محمد، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2000.
21. ايكو، امبرتو: التاويل بين السيميائية والتفكيكية، ت: سعيد بنكراد، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2004.
22. السيميائية وفلسفة اللغة ت: احمد الصمعي، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2005.
23. العلامة، ت: سعيد بنكراد، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2007.
24. اصلان، اوديت: فن المسرح، ت: سامية احمد اسعد، بيروت: مؤسسة ايف للطباعة والنشر، ب.ت.
25. الامام، مصطفى وانور عبد الرحمن: التقويم والقياس، (بغداد: دار الحكمة للطباعة والنشر، 1990).
26. بارت، رولان: هسهسة اللغة، ت: منذر عياش، حلب: مركز الانماء الحضاري، 1999.
27. باربا، اوجينو واخرون: طاقة الممثل، ت: سهير الجمل، القاهرة، وزارة الثقافة، مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، 1999.
28. بريت، ر،ل: التصوير والخيال، ت: عبد الواحد لؤلؤة، بغداد: دار الرشيد للنشر، 1979.
29. بنكراد، سعيد: السيميائيات : مفاهيمها وتطبيقاتها، اللاذقية، دار حوار، 2000.
30. بن جني، ابي الفتح: الخصائص، بغداد، دار الشؤون الثقافية، 1990.

31. برهيه، اميل: تاريخ الفلسفة ج2، ت: جورج طرابيشي، بيروت: دار الطليعة، 1982.
32. بوال، اوجستو: العاب الممثلين وغير الممثلين، القاهرة، وزارة الثقافة، مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، 1997.
33. توسان، برنار: ما هي السيميولوجيا، ت: محمد نطظف، بيروت: دار افريقيا الشرق، 2000.
34. تومسن، جورج: اسخلوس واثنين، ت: صالح جواد كاظم، بغداد: منشورات وزارة الثقافة، 1975.
35. جعفر، نوري: اللغة والفكر، الرباط: مكتبة التومي، 1971.
36. جوردون، هايز، التمثيل والاداء المسرحي، ت: د. محمد سيد القاهرة، وزارة الثقافة، 1999.
37. الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الاعجاز، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1989.
38. جلال، زياد: مدخل الى السيمياء في المسرح، (عمان: وزارة الثقافة، 1997).
39. الجيار، مدحت وآخرون: جماليات المكان، الدار البيضاء: دار قرطبة، 1988.
40. الحسيني، سليم: الميزان في تفسير القرآن، بيروت، دار السلام، 1996.
41. دين، الكسندر: اسس الاخراج المسرحي، ت: سعيد غنيم، القاهرة: وزارة الثقافة ، الهيئة العامة للكتاب، 1975.
42. ديور، ادوين: فن التمثيل، افاق واعماق، ج1، ت: مركز اللغات والترجمة ، القاهرة- وزارة الثقافة، مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، 1998.
43. رايلي، كافين: الغرب والعالم، ت: عبد الوهاب محمد المسيري وهدى عبد السميع، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، سلسلة عالم المعرفة 90، 1985.
44. الرازي، فخر الدين: نهاية الايجاز في دراية الاعجاز، عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع، 1985.
45. راى، وليم: المعنى الادبي من الظاهرية الى التفكيكية، ت: يوثيل يوسف عزيز، بغداد، دار المامون، 1987.
46. رسل، برتراند: تاريخ الفلسفة الغربية، ت: زكي نجيب محمود، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1978.
47. ريد، هربرت: تربية الذوق الفني، ت: يوسف ميخائيل ، القاهرة: دار النهضة العربية، 1975.

48. زاخوفا، بوريس: فن الممثل والمخرج، ت: عبد الهادي الراوي، عمان: منشورات وزارة الثقافة، 1996.
49. _____ اعداد الممثل، ت: توفيق المؤذن، القاهرة/ مكتبة مدبولي، 1998.
50. زويست، ارت: العلاماتية وعلم النص، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2004.
51. ستيس، وولتر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1984.
52. سفيلد، ان اوبر: مدرسة المتفرج ح2، ت: حمادة ابراهيم، القاهرة: وزارة الثقافة، مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، 1996.
53. سوسير، فردينان دي، علم اللغة العام، ت: يوثيل يوسف عزيز بغداد، دار افاق عربية، 1985.
54. شو، بازكير، سياسات الاداء المسرحي، ت: امين الرباط، القاهرة: مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، 1997.
55. صدفه، ابراهيم وآخرون: محاضرات الملتقى الوطني الاول - السيمياء والنص الادبي، الجزائر، منشورات جامعة محمد خضير، 2000.
56. صليحة، نهاد: التيارات المسرحية المعاصرة، الشارقة: مركز الشارقة للابداع الفني، 2001.
57. عبد الرزاق، اسعد وسامي عبد الحميد، فن التمثيل، بغداد: جامعة بغداد، 1979.
58. عبد المعيد خان، محمد: الاساطير والخرافات عند العرب، بيروت: دار الحداثة، 1981.
59. علي، عواد: غواية المتخيل المسرحي، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1997.
60. غادامير، هانز جورج: الحقيقة والمنهج، ت: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، طرابلس، ليبيا، دار اوياء، 2007.
61. غالب، رضا، الممثل والدور المسرحي، القاهرة، منشورات اكااديمية الفنون، 2006.
62. غاتشف، غيورغي: الوعي والفن، ت: نوفل تيوف، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة 146، 1991.
63. غيرو، بيار: السيمياء، ت: انطوان ابو زيد، بيروت: منشورات عويدات، 1984.
64. الفاخوري، حنا و خليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، بيروت: مؤسسة بدران، 1966.
65. فونتاني، جاك: سيمياء المرئي، ت: علي اسعد، اللاذقية، دار الحوار، 2002.
66. فرج، صفوت: القياس النفسي، القاهرة: دار الفكر العربي، 1980.

67. قاسم، سيزا وآخرون: مدخل الى السيميوطيقا، القاهرة: دار الياس العصرية، 1987.
68. كارلون، مارفن، فن الاداء، ت: منى سلام، القاهرة: وزارة الثقافة، مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، 1999.
69. كاظم، وسام مهدي، الضوء منظومة ديكورية في العرض المسرحي الحديث، بغداد، مطبعة صباح، 2007.
70. كروتووسكي، جيرزي، نحو مسرح فقير، ت: كمال قاسم نادر، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1986.
71. كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة اليونانية، بيروت: دار القلم، ب.ت.
72. كونل، كولن، علامات الاداء المسرحي، ت امين حسين الرباط، القاهرة: وزارة الثقافة، مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، 1998.
73. لويس، جون: مدخل الى الفلسفة، ت: انور عبد الملك، بيروت: دار الحقيقة، 1987.
74. مجاهد، عبد الكريم وآخرون: دراسات في اللغة، بغداد: دائرة الشؤون الثقافية العامة، 1986.
75. مختار، عمر احمد، علم الدلالة، الكويت، مكتبة دار العروبة، 1982.
76. مغنية، محمد جواد: مذاهب ومصطلحات فلسفية، قم: دار الكتاب الاسلامي، 2007.
77. ملروز، سوزان: اتجاهات جديدة في المسرح (علامات النص الدرامي)، ت: ايمان حجازي، القاهرة: مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، 2005.
78. هوايتنج، فرانك: المدخل الى الفنون المسرحية، ت: كامل يوسف وآخرون، القاهرة، دار المعرفة، 1970.
79. هونزل، يندريك وآخرون: سيمياء براغ للمسرح، ت: ادمير كوريه، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1997.
80. هلال، ماهر مهدي: فخر الدين الرازي بلاغيا، بغداد: دار الحرية، 1977.
81. هلال، محمد غنيمي: النقد الادبي الحديث، بيروت: دار العودة، 1973.
82. هوكز، ترنس: البنوية وعلم الاشارة، ت: مجيد الماشطة، بغداد: دائرة الشؤون الثقافية العامة، 1986.
83. هلتون، جوليان: نظرية العرض المسرحي، ت: نهاد صليحة، القاهرة، دار هلا للنشر والتوزيع، 2000.

84. ويلسون، جلين: سيكولوجية فنون الاداء، ت: شاكِر عبد الحميد، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة (258)، 2000.
85. يونغ كارل، غوستاف: الانسان ورموزه، ت: سمير علي، بغداد: دائرة الشؤون الثقافية، 1984.
86. يوسف، احمد، السيمائيات الواصفة، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2005.
87. اليوسف، اكرم: الفضاء المسرحي، الدار البيضاء: دار مشرق، 2000.
88. ي،م، رابو بورت، الممثل وعمله، ت: عادل كوركيس، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1990.

ثالثا: المجلات والدوريات

89. اسعد، سامية، الدلالة المسرحية، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الرابع، الكويت، يناير، 1980.
90. النقد المسرحي والعلوم الانسانية في: مجلة فصول القاهرة، العدد الاول، القاهرة.
91. بنكراد، سعيد: السيمائيات، النشأة والموضوع، ف: مجلة عالم الفكر، المجلد 35، العدد (3)، الكويت، 2007.
92. غيرو، بيير: سيمائيات التواصل الاجتماعي، ت: محمد العماري، في: مجلة علامات، العدد 112، مكناس، 1994.

رابعا: الرسائل والاطاريح الجامعية

93. علي، عواد: التحليل السيميائي للعرض المسرحي الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، جامعة بغداد، 1989.

- 94 . يعقوب ، ثورة يوسف : سيمائية الجسد عند الممثل ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، جامعة بغداد ، 1995 .
- 95 . هارف ، حسين علي : الخصائص الفنية في المونودراما ، أطروحة دكتوراة غير منشورة ، بغداد ، جامعة بغداد 1997 .
- 96 . محمد ، ليلي : اداء الممثل في مونودراما المسرحي العراقي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، جامعة بغداد 2004 .
- 97 . أبراميا ، اكرم وليم : علامات الاداء التمثيلي في العرض المسرحي العراقي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، البصرة ، جامعة البصرة ، 2007 .

خامسا: المصادر الأجنبية

Cronbach, 1964, psychology testing the macmillon. New York.